أصول العقائد

للعالم الرباني الحكيم الإلهي

السيد كاظم الرشتي الحسيني

أُصُولُ العَقَائِدِ

للعالم الرباني الحكيم الإلهي

السَّيِّد كاظِم الرَّشتي الحُسَيني

ترجمه إلى العربية العلامة الكبير

آية الله العُظمى ميرزا موسى الإحقاقي

تحقيق

الشيخ عبد الجليل علي الأمير

أُصُولُ العَقَائِدِ

تأليف : آية الله السيد كاظم الرشتي الحسيني

ترجمة : آية الله الميرزا موسى الحائري الإحقاقي

ملحق : مقالة ناصحة زاجرة لآية الله الميرزا علي الحائري الإحقاقي

تحقيق : الشيخ عبد الجليل علي الأمير

الطبعة الأولى رجب ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨ م

عدد الصفحات صفحة

عدد النسخ : ١٠٠٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مُقَدِّمَة

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ، من الآن إلى قيام يوم الدين .... وبعد .

إن كتاب (أصول العقائد) للحكيم الإلهي ، والفرد الصمداني ، السيد كاظم الحسيني الرشتي أعلى الله مقامه ، لهو من أهم الكتب العقائدية الروحانية ، فطرح فيه المؤلف من الدرر والنكات ، والأبواب يفتح من كل باب ألف باب من العلم .

وأيم الله تعالى ما من أحد درس هذا الكتاب دراسة حقيقية ، وعمل بالرياضيات الروحانية المطابقة للشرع ، وتخلق بأخلاق الروحانيين ، وتخلص من رذائل الأخلاق ، من الحسد والأنا وحب الدنيا إلا وحصل له نوع من الإنكشاف والفراسة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) [1] وكان من المتوسمين كما قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [2] ومن لم ير ذلك فليراجع نفسه ودراسته من جديد ، عله وعساه .

---

١. الكافي الشيخ الكليني ١ / ٢١٨ ، علل الشرايع للشيخ الصدوق ١ / ١٧٤

٢. سورة الحجر آية (٧٥)

ومن أراد التخلق بأخلاق الروحانيين ، و التمسك بحبلهم ، و السير على نهجهم ، فعليه بمراجعة كتاب (السلوك إلى الله) للعلم الأشم ، و الطود الأجل ، السيد كاظم الرشتي قدست نفسه ، وكتاب (كيفية السلوك إلى الله) لشيخ المتألهين ، علامة عصرة ، و نموس دهره، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رضوان الله عليه ، وكتاب (رسالة الإنسانية) كما على اسمها ، للإمام المصلح ، و العبد الصالح ، آية الله الميرزا حسن قدس الله نفسه ، ففيها من المطالب والمعاني مايحلق بها الإنسان إلى عرش الإنسانية ، و رتبة الناطقة القدسية ، باسلوب سلس ، ومعاني عالية ، ومقامات روحانية ، فالإمام المصلح في هذ الكتاب صاغ علم الأخلاق و السلوك بطريقة جديدة ، واسلوب مبتكر ، لم يسبقه سابق إلى الآن .

فيتميز هذا الكتاب عمن سواه في باب العدل ، حيث إن المؤلف السيد السند آية الله المولى كاظم الرشتي أودع فيه من أسرار العدل ، والأمر بين الأمرين ، وكيفية خلق الموجودات، من العقل إلى ما تحت الثرى ، ممثلا بذلك من الآيات الآفاقية والأنفسية ، بالخصوص آية النور والسراج ، ففي النور والسراج كل شئ من أسرار الخليقة ، فذكر كيفية خلق السراج للأشعة هل على طريق الإختيار أم الإضطرار ؟ وهل تقدم الوجود على الماهية أم لا ؟ ما معنى عالم الذر في السراج ؟ وما معنى قوله تعالى ألست بربكم ، إلى آخره من الرموز والأسرار .

ومن سبر غور هذا الكتاب ، واطلع على معانيه ، أدرك هذا الأمر جليا واضحا ، ورأى صحته في نفسه ، كما أن هذا الكتاب يعد من أهم المناهج الدراسية التي تدرس ، لحكمة شيخ المتألهين الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي رضوان الله عليه المطابقة للكتاب و السنة المطهرة عليهم السلام .

طبعات هذا الكتاب

هذا الكتاب المستطاب ألفه المولى السيد كاظم رضوان الله عليه باللغة الفارسية ، وطبع باللغة الفارسية مرتين في إيران ، فكان المستفيد منه العجم خاصة .

ثم بعد ذلك طلب من المولى آية الله البحر الفهامة ، والطود العلامة ، الميرزا موسى الحائري الإحقاقي ، صاحب كتاب إحقاق الحق ، تأليف كتاب في أصول الدين في التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد من بعض المؤمنين ، فرأى المولى الميرزا موسى قدس الله نفسه ترجمة كتاب أصول العقائد ، للمولى السيد السند كاظم الحسيني الرشتي رضوان الله عليه إلى اللغة العربية ، وإفادة المؤمنين من العرب والعجم ، للعامة والخاصة من اللغتين ، أولى وأجدرمن تأليف كتاب من جديد ، فسارع إلى ترجمته من العربية إلى الفارسية .

فأول طباعة لهذا الكتاب باللغة العربية ، قام بها الحكيم الإلهي ، والفرد الصمداني ، حاوي المعقول والمنقول ، آية الله المولى الميرزا علي الحائري الإحقاقي قدس الله نفسه ، في زمانه وبأمره ، قبل أكثر من أربعين سنة .

وثاني طبعة طبع باللغة العربية في قم المقدسة ، قبل عشر سنين تقريبا ، فإلى الآن طبع باللغة العربية مرتين ، وبالفارسية مرتين .

فقام الحقير كاتب هذه السطور ، بتحقيقه وتنقيحة من الأخطاء المطبعية ، وصياغة بعض العبارات نتيجة الترجمة ، والتعليق عليه بحسب الوسع و القدرة ، و الله ولي التوفيق و السداد .

والسلام على من اتبع الهدى
عبد الجليل علي الأمير
٧ / ٤ / ١٤٢٩هجري
١٤ /ابريل ٤ / ٢٠٠٨ م

مُقَدِّمَة

المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للهّ ربّ العالمين ، وصلّى اللهّ على ساداتنا محمّد وآله المعصومين ، وعلى أرواحهم وأجسادهم وشاهدهم وغائبهم وأوّلهم وآخرهم وظاهرهم وباطنهم ، ولعن اللهّ أعداءهم ومخالفيهم أجمعين إلى يومِ الدّين ......أمّا بعد:

فقد التمس منّي بعض طالبي الحق ، وسالكي سبيل الصّدق ، أن أُصنّف رسالة بأدلّة مختصرة ، مشتملة لأصول عقائد الدّين ، ومحتويه لجل مطالب الحق باليقين ،المعروفة بالأصول الخمسة:

التّوحيد ، والعدل ، والنّبوة ، والإمامة ، والمعاد ، حاوية لعقائد الدّين والمذهب ، مقتبسة من أنوار خير البشر ، وموافقة لطريقة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ، بعبارات واضحة ، وبيانات صريحة لائقة، من دليل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ، حتى ينتفع منها عامة الناس ، من الفضلاء وعوام الناس ، وينجلي عن قلوبهم الإشتباه والالتباس،ولايتمكن منهم الخناس ، فأجبت ملتمسهم مع قلة البضاعة ، وعدم الاستطاعة ،

رجاء ثواب يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى اللهّ بقلب سليم،وأنّ كنت معذوراً لكثرة الموانع،لكن الميسور لايسقط بالمعسور ، مضافاً إلى أنّ السائل إذا كان من أهل الإجابة وممن لايرد (لاتمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا يعطوها غير مستحقها فتظلمها) [١] لكن بينما كنت اتفحص بعض الكتب في خزانتها واتقلبها ، إذ عثرت على ماصنفه العلامة آية اللهّ السيد كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي أعلى اللهّ مقامه ـ باللغة الفارسية ـ المسمى {بأصول العقائد} فرأيته أحسن ماصنف وألف في المقام ، بحيث قد أتى بالمرام وفوق المرام .

وكان جامعاً مانعاً مستوفياً لمطالب الأصول الخمسة ، المذكورة على نحو الاختصار نافعاً حتى للخواص والفضلاء فضلا عن العوام والبعداء، مقتنصاً لأغلب المسائل المهمة في التوحيد والعدل ، رافعاً لأكثر الشبهات بين المسلمين وأهل العدل،ورأيت أنّ ترجمة هذا التأليف الشريف إلى (اللغة العربية) ربما يكون انفع ، ونشرها أولى وأجدر ، لعامة البشر .

وأيضاً أسرع إلى المطلوب والمراد من تصنيف رسالة مستقلة في المقام ، فسارعت إلى ترجمته ولم أتعداها راجياً من المطلعين فيها على الخطأ ، والواقفين على الزلل ، أنّ يصلحوه بقلم الإصلاح ، وربما لاتخلو ترجمته تحت اللفظ من ركاكة وعدم السلامة ، والأمل أنّ نكون معذورين لدى أهل المعرفة، فلنشرع في الترجمة سائلاً من اللهّ تعالى التوفيق والعصمة فنقول : أنّ السيد الأمجد قدس اللهّ نفسه الزكية رتب هذه الرسالة النفيسة على خمسة أبواب بعدد الأصول الخمسة ولكل باب فصول .

ميرزا موسى الإحقاقي

---

١. البحار للشيخ المجلسي ٣٦ / ٢١٧

(الباب الأول)

في التوحيد وفيه فصول أثنا عشر

الفصل الأول

في إثبات وجود الواجب تعالى شأنه

الفصل الأول

في إثبات وجود الواجب تعالى شأنه

أعلم أنّ كل فقير ومحتاج يقال له ممكن ، وكل غني في كافة الأمور بحيث لايحتاج إلى غيره أبدا وغيره محتاج إليه يعبر عنه بواجب ، ولاشك أنّ جميع الموجودات ليسوا بواجب كلهم ، لفقرهم واحتياجهم بالحس والوجدان ، وعدم غناء بعضهم عن بعض ، والواجب غني مطلق لايكون فقيراً ومحتاجاً ، وكذا لاشك أنهم ليسوا بممكن كلهم ، بحيث لايكون فيهم واجب . وإلا لما وجدوا ولما ظهروا من العدم إلى الوجود ، إذ الممكن فقير لايسد احتياج وفقر نفسه ، فضلا عن سد فقر غيره ، ولا يكون موجوداً إلا أنّ يرجح غيره وجوده على عدمه فيوجد ، وغيره لايكون مثله ، شعر:

ذات نايافته از هستي بخش کي تواند کند ازهستي بخش

فلا بدفي الموجودات من غني مطلق يسد احتياج الكل وفقرهم ، ويرجح وجود الممكن على عدمه فيوجده ، وذلك الغني المطلق الذي يسد احتياج الكل ، والكل يحتاج إليه ، هو واجب الوجود ، وبهذا المعنى وردت أخبار كثيرة (منها) الخبر الصحيح عن الرضا عليه السلام

لما سئل عن الدليل في إثبات الواجب وحدوث العالم . قال عليه السلام : (أنت ما كونت نفسك ولاكونك من هو مثلك)[1] .

يعنى: أيها الضعيف أنت ماخلقت نفسك ، وأنّ أمرك ليس بيدك ، وإلا كنت قادراً على دفع المكاره عن نفسك ، وجلب المنافع إليها ، والحال لست كذلك ، وإذا مرضت أو احتجت لاتتمكن من دفع المرض ، وجلب الحاجة إلى نفسك ، وهذا أقوى دليل على أنك عاجز صرف ، لاتتمكن من دفع مكروه جزئي عن نفسك ، فكيف تكون نفسك ؟ وأنك معدوم فلا بد لك من مكون غيرك ، وهو ليس مثلك ، والمكون لك هو الذي بيده تدبير أمورك ، وتكوين وجودك ، وموجدك من العدم إلى الوجود ، وليس فقيراً ومحتاجاً مثلك من جميع الوجوه ، فهو واجب الوجود ، وأنت وأمثالك ممكن حادث متغير ، والأدلة لإثبات الواجب كثيرة . لكنا اكتفينا بهذا الدليل لوضع الرسالة للاختصار ، وتصحيح الاعتقاد للعوام، والتطويل لا يناسب المقام .

---

١. عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام أنه دخل عليه رجل فقال له يا بن رسول الله ، ما الدليل على حدوث العالم ؟ قال : أنت لم تكن ثم كنت ، وقد علمت أنك لم تكون نفسك ، ولا كونك من هو مثلك . الأمالي للشيخ الصدوق ٤٣٣ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٢٣ ، الإحتجاج للشيخ الطبرسي٢/ ١٧١

الفصل الثاني

في إثبات أن واجب الوجود واحد

الفصل الثاني

في إثبات أن واجب الوجود واحد

فأعلم أنّه لو كان متعدداً لما خلى من إحدى صورتين :

أمّا الاتفاق في إرادتها أو الاختلاف فيهما . أمّا في صورة الاختلاف أي تعلّق أرادة إحداهما بإيجاد زيد وتعلّق إرادة الآخر بعدم إيجاده . فإمّا أن تقع الإرادتان معاً ، أو تنتفيان معاً ، أو تقع إحداهما وتنتفي الأخرى ، إن قلت : بوقوع الإرادتين فقد نطقت بالمحال ، إذ يلزم حينئذٍ وجود زيد وعدمه ، وهو باطل بالبداهة . وإن قلت : بعدم وقوع الإرادتين قلنا : أنّ كليهما ليس بواجب لعدم وقوع إرادتها .

وإن قلت بوقوع إحدى الإرادتين دون الأخرى ، سألتك عن سبب عدم وقوع الأخرى ، هل هو عجز المريد ، أو تبعية إرادته لإرادة الآخر ؟ ففي الصّورتين حكمنا بأن الواجب هو القادر المتبوع النّافذ الحكم ، الّذي لارادّ لإرادته.

وأيضاً نقول : أنّ سبب الاختلاف أي اختلاف الذّاتين بحيث يكونان اثنين ، إنّما هو الفاصل بينهما ، الّذي يسمى في لسان الأخبار "بالفرجة" فهو إمّا حادث أي لم يكن هذا الفاصل ثمّ كان ، وإمّا قديم أي كان قديماً مع وجودهما من أوّل الأمر . إن قلت : بالصورة الأولى قلنا : يلزم منه أولاً : كون الإلهين المتعددين واحداً أوّلاً . ثمّ تعدّدا ثانياً واختلفا بسبب

أمر خارجي الّذي هو الفرجة ، أعني انفرد كل منها عن الآخر بسبب الفرجة الّتي وقعت بينهما.

ويلزم ثانياً أنّ الحادث الّذي هو مخلوق لهما أثر فيهما ، وجعلهما متعدداً وهذا باطل بالبداهة والوجدان ، وإن قلت : بالثّانية يعني كون الفاصل بينهم الّتي هي الفرجة قديماً . قلنا : إن كان قديماً لزم أن يكون واجباً ، فصار القديم الواجب ثلاثاً الواجبان والفرجة بينهما ، ولاشك أن هؤلاء الثّلاثة كل واحد منهم غير الآخر ، ومنفرد عنه بما به الاختلاف والامتياز بينهم وهو الفرجة ، فحصل فرجتان مع القدماء الثّلاثة ، فصار الواجب خمساً ، فالخمس أيضاً مختلفون في الذّات ، وما به الاختلاف والامتياز لابدّ منه ، وهو الفرج الأربع بينهم ، فصار الواجب تسعة ، وهكذا تكون التّسعة سبعة عشر ، والسّبعة عشر ثلاثة وثلاثين ، والثّلاثة والثّلاثون خمسة وستّين ، والخمسة والسّتون مائة وثلاثين ، إلى مالا نهاية له ، وهذا باطل إذ لم يعقل أمور غير متناهية في الخارج ، مضافاً إلى أنّه لم يدع أحد ، ولم يقل بآلهة غير محصورة بلا نهاية .

وإمّا في صورة الاتفاق في جميع إرادات الآلهة المتعددة قلنا: إن تمكن واحد منهم أن ينفرد بالألوهية والربوبية { من الجميع } فهو الواجب ، وإن لم يتمكن أحد منهم فليسوا كلهم بواجب ، وإليه الإشارة بقوله جلّ وعلا (وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)[1]

وهذا الدّليل مقتبس من أخبار أهل العصمة والطّهارة تركناها خوفاً من التّطويل .

---

١. سورة المؤمنون آية (٩١)

الفصل الثّالث

في أن معرفة ذات الواجب محال

الفصل الثّالث

في أن معرفة ذات الواجب محال

إذ برهن في الحكمة ، أن بين المدرك بالكسر والمدرك بالفتح لابدّ من مناسبة ومشابهة ، وإلاّ لأدرك كل شيء كل شيء ، ولمّا لم يكن لذات الواجب شبيه ولامثيل ، لم يجز ولم يمكن إدراكه أبداً، ولزم أن يكون القديم حادثاً ، أو الحادث قديماً ، وبطلانهما بديهي ،ثم إن إدراك الشيء هو الإحاطة به ، كما أخبر به سبحانه بقوله ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ ﴾[1] وقوله ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾[2] فلا تدرك الذات الواجب ، إذ لايحاط لاحضوراً ولاتصوراً، والقائل بإدراك الواجب سبحانه ولو جزئياً كاذب كافر ، خارج جادّة أهل العقل والمعرفة ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾[3] . فلا يعرف ولايدرك جلّ وعلا ببصر العقل ، ولابصر الوهم ، ولا الخيال ، بل بكل مشعر ومدرك ، إذ لايدرك أحد فوق ذاته ، وكل يقرأ حروف نفسه ، مثلاً : إذا رأيتَ كوكباً في الماء لم ترى كوكباً حقيقياً خارجياً ، بل الّذي رأيته هو صورته ومثاله ، فالممكن كل مايدركه ممكن مثله ، فلا يدرك الواجب بوجه من الوجوه ، وسمّى أهل المعرفة هذا المقام بأسامي عديدة منها : المجهول المطلق ، والذّات البحت والذّات السّاذجة ، والذّات بلا اعتبار ، وعين الكافور ، واللاتعين ،

---

١. سورة البقرة آية (٢٥٥)

٢. سورة يونس آية (٣٩)

٣. سورة الأنعام آية (١٠٣)

وغيب الغيوب ، وأزل ألآزال ، ومجهول النعت ، ومنقطع الإشارات ، والمنقطع الوجدان ، وغيب الهويّة ، وعين المطلق ، والإشارات في الأخبار الصّادرة عن الأئمة الهداة إلى هذا المضمون كثيرة ، بل مانطقوا إلاّ بهذا الطّريق ، قال الإمام الرّضا عليه السلام في خطبته ، في حضور المأمون : ((فليس اللّه عرف من عرف بالتشبيه ذاته ، ولاإيّاه وحد من اكتنهه، ولاحقيقته أصاب من مثله ، ولابه صدق من نهاه ، ولاصمد صمده من أشار إليه ، ولاإيّاه عني من شبهه ، ولا له تذلّل من بعضه ، ولا إيّاه أراد من توهمه ، كل معروف بنفسه مصنوع ، وكل قائم في سواه معلول .... إلى آخره))[1] من خطبة الإمام الرضا (عليه السلام) المسماة بخطبة التوحيد رواه الصدوق (رضي الله عنه) في عيون الأخبار. فلا يمكن لأحد درك هذا المقام حتّى الأنبياء ، الّذين هم أشرف الخلق ، وحتّى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الّذي هو أشرف الأنبياء ، ولذا قال صلى الله عليه وآله (ما عرفناك حق معرفتك)[2] .

١. عيون الأخبار للشيخ الصدوق ٢/ ١٣٦ ، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٥ ، تحف العقول لابن شعبة ٦١ ، الإحتجاج للشيخ الطبرسي ٢/ ١٧٤

٢. البحار للشخ المجلسي ١١٠/ ٣٤

الفصل الرّابع

أنّه لا يجوز التّكلم في ذات اللّه سبحانه

الفصل الرّابع

أنّه لا يجوز التّكلم في ذات اللّه سبحانه

اعلم : أنّ الكلام إما معنوي وهو إدراك للشيء بلاصورة متمايزة في الذهن .

وأمّا صوري وهو تصورك للمعنى بصورة متمايز في الذهن.

وأمّا لفظي وهو إخراجك للمعنى المصور بصورة مخصوصة ، بمعونة التنفس والهواء في عالم الشهود والأجسام ، يسمّى أيضاً هذا بالكلام الجسمي . فانحصر أقسام الكلام في هذه الثّلاثة ، وإن كان يستخرج له باعتبار سائر المراتب أقسام أُخر ، لكن كلها راجعة إلى هذه الثلاث ، ولمّا عرفت أنّ معرفة الذّات تعالى شأنه بكل وجه محال ، علمت أنّ التكلم فيه أيضاً كذلك ، إذ التكلم لايكون ولا يمكن منك إلاّ فيما تعلم ، وأمّا مالا تعلمه فلا يمكن لك التكلم فيه .

أما ترى أنّ عوام الناس لايمكن لهم التكلم في المسائل العلمية ، وليس ذلك إلاّ لعدم إطلاعهم بها ، وكلّ من يتكلم بكلام لابد له من تصور مايتلفظ به ولو بطور من الأطوار ، وإن كان في الواقع ونفس الأمر خطأ وباطلاً ، كقولهم "شريك الباري ممتنع " حيث يتصورون : أمراً مخلوقاً شريكا للهّ سبحان ، ويحكمون عليه بالامتناع ، فالكلام اللفظي لايصدر من عاقل إلاّ بعد تصور معنى له وتعقله ، وكلاهما في اللهّ سبحانه محال ، فالكلام في

ذات اللهّ ممتنع ، فينبغي للجماعة الصّوفيّة الّذين يتكلّمون في ذات اللهّ ، أن يتصّوروا الذّات العياذ باللهّ ، ثمّ يتكلّمون فيها .

" فليس اللّه عرف من عرف بالتشبه ذاته " [1] والأخبار في النّهي عن التّكلّم في اللهّ كثيرة : منها ما عن الإمام الباقر عليه السلام ((قال تكلّموا في كلّ شيء ولا تكلّموا في اللّه ، فإنّ الكلام في اللّه لايزداد صاحبه إلاّ تحيّراً))[2] ومنها خبر أبي عبيدة الحذاء ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال :((يا زياد إيّاك والخصومات فإنّها تورث الشّك وتحبط العمل وتردّي صاحبها وعسى أن يتكلّم بالشيء فلا يغفر له ، إنّه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به ، وطلبوا علم ما كفوه حتّى انتهى كلامهم إلى اللّه فتحيّروا حتّى كان الرّجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ، ويدعى من خلفه ويجيب من بين يديه))[3] .

وفي رواية أُخرى : ((حتّى تاهوا في الأرض))[4] ليت شعري ما عذر من يتكلّم في اللهّ سبحانه بوجود هذه الأخبار وصراحة هذه الآثار في النّهي عنه .

---

١. عيون الأخبار للشيخ الصدوق ٢/١٣٦ ، البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤

٢. التوحيد للشيخ الصدوق ٤٥٤

٣. الكافي للشيخ الكليني ١/ ٩٢ ، التوحيد للشيخ الصدوق ٤٥٦ ، المحاسن للشيخ أحمد بن محمد البرقي ١/ ٢٣٨

٤. الكافي للشيخ الكليني ١/ ٩٢

الفصل الخامس

في أنّ اللّه سبحانه : ليس له مثل ولا مثال ولا يعرف بمثل ولا مثال

الفصل الخامس

في أنّ اللّه سبحانه : ليس له مثل ولا مثال
ولا يعرف بمثل ولا مثال

إذ لاشك أن الشيء الذي لا يناسبه و لا يشابه شيء لايمكنك أن تضرب له مثالاً ، كما لا يقال : أن الماء كالنار ، والحر كالبرد ، والهواء كالتراب ، إذ ليس بينهما مناسبة وجهة شبه ، ولو لم يكن المناسبة شرطاً بين المثلين والمثال والممثل ، لكان كل شيء مثالاً لكل شيء ، وهذا بديهي الفساد كما في المثال المذكور ، ولاريب أن غير الواجب تعالى موجود ممكن ، ولاشك أن الممكن لايعرف ولايدرك إلا الممكن ، فالممكن إذا أراد أن يضرب مثالاً للواجب لزمه أمران:

الأول : أن يدرك ذات الواجب ، حتى يعرف أن هذا المثال هل هو مثاله أو لا ؟ وهذا محال كما عَرَفتَ سابقاً.

الثّاني : أن يأتي بالمثال من الممكن ، إذ الواجب واحد والممتنع ليس بموجود ، وبين المثال والممثل لابد من مناسبة ، وإلا لم يكن مثالاً له ، كما أن النهار ليس مثالاً لليل وبالعكس لعدم المناسبة بينهما ، وإلا لزمه أن يكون للواجب مثل وشبيه ، واللّه عز وجل يقول ﴿ لَيْسَ

كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١] ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

والنهي حقيقة في الحرمة يعني : من ضرب مثلاً لله وارتكب ذالك فمأواه جهنم ويقول: أيضاً و ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٣] يعني : أن الله منزّه ومبرء من أن يضرب له مثل . وكلّما ضرب له مثل فالله أعلى منه . إذ الممكن لايعرف ولايدرك إلا ممكناً مثله ، والله سبحانه أعلى من الإمكان {و هو }واجب ، فظهر أن من ضرب له مثالاً أو شبهه بخلق فهو فاسد العقيدة باطل الرأي سخيف القول ، كالصّوفيّة حيث مثّلوا الله بالماء والخلق بالثلج ، ومثّلوا الواجب بالبحر ، والموجودات بالأمواج ، والواجب أيضاً بالحبر الّذي في الدواة والموجودات بالحروف ، والواجب أيضاً بالواحد والموجودات بالأعداد ، كما قال شاعرهم :

وما الخلق في التمثال إلاّ كثلجة وأنت لها الماء الّذي هونابع

لكن يذوب الثّلج يرفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وأمثال هذه الأشعار والخرافات منهم كثيرة لا حاجة إلى ذكرها .

---

١. سورة الشورى آبة (١١)

٢. سورة النحل آية (٧٤)

١. سورة النحل آية (٦٠)

الفصل السّادس

إن اللّه سبحانه ليس له مشابه ولا مماثل ولا مجانس ولا مساوي ، ولا مطابق ولا محاذي ولا مناسب

الفصل السّادس

إن اللّه سبحانه ليس له مشابه ولا مماثل
ولا مجانس ولا مساوي ، ولا مطابق ولا محاذي ولا مناسب

أمّا أنّه ليس له مشابه يعني في صفة من الصّفات ، فلأن المشابهة عند الحكماء هي الموافقة في الكيف ، والكيف عرض من الأعراض يعرض للأجسام، والعرض هو القائم بالغير ، يعني ليس له وجود واستقلال إلاّ بمحل ومكان وموضوع ، كعروض السّواد والبياض للأجسام ، وعروض الحرارة والبرودة للماء ، فالماءان الحارّان مثلاً متشابهان لموافقتهما في الكيف وهو الحرارة ، وكذلك الحار والزنجبيل ، والفلفل والزنجبيل متشابهان لموافقتهما في الكيف وهو الحرارة ، وكذلك الماءان الباردان ، والماء البارد والكافور والسّمك ونحوها من المتشابهات أيضاً لموافقتهما في الكيف وهو البرودة ، وحيث أن الواجب تعالى شأنه لايعرضه عرض وإلا لزم أن يتأثّر وينفعل ، فينبغي أن لايكون له عرض يعرضه ، فظهر أن ليس له كيف الّذي هو من الأعراض ، فليس له شبيه أيضاً ، إذ المشابهة كما قلنا هي موافقة شيئين في الكيف، أمّا المماثل يعني ليس له مثل ، فلأنها هي الموافقة في الحقيقة النّوعيّة، والحقيقة النّوعية هي الذّات والحقيقة ، مع قطع النّظر عن الأمور الخارجية ، فيقال إنّ زيداً وعمراً وبكراً وخالداً مثلاً ، مماثلون لموافقتهم في الحقيقة وهي الإنسان ، وإنّما اختلافهم وتعدّدهم باعتبار الأمور الخارجيّة ، كالطول والقصر. والعرض والسّواد والبياض والسمن والضعف وأمثلها من

الهيئات المختلفة ، لايصح على الواجب تعالى ، فظهر أن جميع المذكورات لايصح إطلاقها على الله تعالى وهو محال عليه [1] .

---

١. قال المقدس آية الله المولى الميرزا علي قدس الله نفسه : قال السبزواري في منظومته :

تجانس تمثال تساوى — تشابه تناسب توازي

إن وحد الشيئان جنساً نوعاً — كما و كيفاً نسبة و وضعاً

البيت الثاني تفسير للبيت الأول على طريق اللف و النشر المرتب ، و كلها صفات الخلق الممكن و الواجب منزه عن جميعها تعالى الله سبحانه عنها و عن غيرها .

الفصل السّابع

{ليس كمثله شيء من خلقه مطلقا}

الفصل السّابع

{ليس كمثله شيء من خلقه مطلقا}

أنّ مختصر الكلام في هذا المقام، أنّه كلّما ترى صفة من الصّفات الّتي هي صفة الممكن ، و يجب أن يتّصف بها ، وجب سلبه من الواجب تعالى ، إذ عرفت أن الممكن فقير محتاج ذليل لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً ولاموتاً ولاحياتاً ، وصفاته كلها صفات الفقر ، وأما الواجب تعالى فهو غني مطلق وقوي عزيز ، وجميع المخلوقات في قبضة قدرته، وجميع صفاته صفات القدرة والقوة ، فلايمكنك أن تثبت للغني القوي القادر صفات الفقير العاجز وبالعكس ، بل لابد أن تثبت لكلّ واحد منهما ما يختص به من الصفات ، وصفات الممكنات ممتنعة ومحال في حق الواجب تعالى للزوم النقص والاحتياج ، وكذلك صفات الواجب ممتنعة في حق الممكنات ، فما في الممكن ليس في الواجب وبالعكس ، فظهر أن جميع ماتتصور من صفات الممكنات ، كالجسم ، والجوهر ، والعرض ، والكم ، والكيف ، والمكان ، والإمكان ، والزمان، والقوة ، والفعل ، والأبوة ، والنبوة ، واللطف ، والغلظة ، والتوالد ، والتناكح ، والتناسل ، والإتحاد ، والمواخاة ، والنوم ، والغفلة ، والتجويف ، والأكل ، والشرب ، والآلات ، والأعضاء ، والجوارح، والملبوس ، والمشروب ، والجهل ، والعجز ، والغرابة ، وأمّا الذّات والحقيقة فلا اختلاف بينهم فيها ، فإذا سئلت عن حقيقة زيد وعمر وخالد يقال في الجواب : إنسان فهو حقيقة مشتركة بينهم ، وهم متفقون وموافقون في تلك الحقيقة ، فكل واحد من هؤلاء المماثلين مركب من شيئين :

الأوّل : الحقيقة المشتركة بين الكلّ.

الثّاني : الهيئات والحدود الّتي يمتاز بها كل واحد عن الآخر ، ويختص باسم مخصوص ، وليس للهّ سبحانه حقيقة مشتركة ، وإلاّ لزم أن يكون مركّباً من الحقيقة والهيئات والحدود المميزة والمشخّصة ، كما عرف في المثال المذكور ، فثبت أن ليس له مماثل .

وأمّا المجانس وهو المشابه في الجنس ، فهو بعينه كالمماثل ، ويعرف الفرق بينهما من له يد في علم المنطق لاتفيد معرفته للعوام فائدة مثمرة ، وإنّما وضع هذه الرسالة لفهم العوام ، ومفسدة كليهما واحد ، إذ ليس له جنس يعني حقيقة مشتركة بينه وبين غيره ، وإلاّ لزم التركيب ، وهو نقص إذ يلزم من التركيب الاحتياج ، إذ المركب يحتاج في تركيبه إلى الأجزاء ، والاحتياج صفة الممكن ، فالواجب تعالى شأنه ليس بمحتاج ، فلا يكون له مجانس.

وأمّا أنّه ليس للهّ مساوي ، فلأن المساواة هي الموافقة في الكم ، والكم عرض قائم بالجسم ، كالطول والعرض والعمق ، فالشيئان الموافقان فيها يسميان بالمتساويين ، وإن لم يتساويا فيها فبالمتفاوتين.

وأمّا الواجب تعالى فما ذكر محال فيه ، لما قلنا أنّه لايحله عرض ، وليس له طول وعرض وعمق ، فليس له مساوي .

وأمّا أنّه ليس للواجب تعالى مطابق ، فلأن المطابقة هي الموافقة في الوضع ، والوضع هو نسبة شيء لشيء ، سواء كانت النسبة بين أجزاء الشّيء ، أو بين الأجزاء وأمر خارج ، وهو أيضاً من الأعراض ، والعرض لاينبغي له سبحانه ، وأمّا المحاذي فهو الموافقة في الكون

والمكان ، فلا يصح على اللهّ سبحانه ، إذ ليس له مكـان ، وإلاّ لـزم أن يكـون ناقصـاً ومحتاجـاً ، وهو محال عليه تعالى شأنه.

وأمّا المناسبة : فهو الموافقة في الإضافة ، وهي أيضاً من الأعراض ، والعرض والعجب والمؤالفة والمجانسة والمماثلة والمشابهة والتّحاذي والتّساوي والتّطابق والمناسبة ، والافتراق والاجتماع ، والظلم والقتل والكبر والصّغر والتّغير والتّبدّل ، والنّقصان والزّيادة ، والتّصوّر والتّعلل ، وكلّما في الممكن وما هو صفة له محال في حق الواجب ، وجب تنزيهه عنها تعالى اللهّ وتقّدس ، وإلاّ لـزم أن يكـون كـالممكن والحـال ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[١].وأيضاً صفات كل شيء أُنزل من ذاته رتبة ، فصفة الممكن أنْزل من ذاته قطعاً، فإذا لم يجز هو في حق الواجب ، فصفاته بالطريق الأولى لاتجوز .

وأيضاً لا يمكن لك أن تثبت صفة لشيء إلاّ أن يكون بينهما ربط ونسبة ، فلا يصح أن تقول أنّ الحائط مشرق ، أو النّار باردة ، أو الجاهل عالم ونحوها ، فلا يمكن إثبات صفة لشيء إلاّ أن يكون بينها وبين الموصوف ربط ومناسبة ، فإن أردت أن تثبت تلك الصفة للواجب ، إما أن تلاحظ النسبة بينها وبين الواجب أوّلاً ، فإن لم تلاحظ المناسبة بينهما فهو باطل لما ذكرنا، وإن لاحظت المناسبة ، أمّا أن تلاحظ جهة إمكان الصّفة ، أو جهة قدمها ، أمّا الأول فباطل ، إذ ليس بين الفقير الصّرف والغنى المطلق مناسبة بوجه من الوجوه ، وأمّا الثّاني فباطل أيضاً ، لأنّه يلزم أن لاتكون صفة المخلوق مخلوقاً ، وهو بديهي الفساد ، إذ الصّفة متأخرة عن ذات الموصوف قطعاً ، فالموصوف أن كان مخلوقاً فصفته بالطريق الأولى مخلوقة ، فكل إمكان { ممكن } وصفاته مسلوبة من الواجب تعالى ، فلك أن تسلب عنه العلم الّذي تدرك الأشياء

---

١. سورة الشورى آية (١١)

به ، إذ كلّما تدركه أو تدركه به فهو مخلوق مثلك ، والقدرة الّتي تقدر بها على شيء وما تدركه منها ، وحياتك والّذي تدرك منها ووجودك وما تدركه منه ، إذ كلّها صفاتك وأنت ممكن وصفاتك مثلك ، ولكنك تعتقد وتقول إن الله عالم قادر حي سميع بصير ، لا بالطريق والطور الّذي يدركه عقلك وفكرك وتحيط به ، فإن سألوك أن الله هل هو عالم بالأشياء ؟ فقل : نعم إني أعتقد ذلك ، ولايغيب عنه مثقال ذرة ، وإلاّ لزم النّقص فيه ، لكن لا أعلم كيف علمه بالأشياء ، إذ العلم ذاته ، وذاته لاتدرك ، وسيمر عليك إن شاء الله تحقيق هذه المسألة ، عن قريب فانتظر.

فلا ينبغي لأحد في هذا المقام ، الّذي هو أشدّ من الليل في الظّلام ، التكلّم في ذات ذي الجلال ، إذ هو غوص في بحر الغواية والضلال ، بحر مواج ذو تلاطم وأمواج ، لن يصل الغوّاصون إلى قعره وأصله ، والسّفن السيّارة إلى ساحله ، من تنفس غرق ، ومن تظلم هلك ، طالب المحال دائماً حيران ، والقادم عليه واله خسران ، أما سمعت قول : رسول الله ﷺ أعلم من هو في دائرة الإمكان ، وأقرب الكل من الملك المنّان (ما عرفناك حقّ معرفتك) [1] وقوله أيضاً (اللهمّ زدني فيك تحيراً) [2] وأمثالها ، فدع عنك بحراً ضاع فيه السّوابح .

---

١. البحار للشيخ المجلسي ١١٠/ ٣٤

٢. شرح الأسماء الحسنى للملا هادي السبزواري ١٩٨/١

الفصل الثّامن

في كيفيّة معرفته تعالى شأنه

الفصل الثّامن

في كيفيّة معرفته تعالى شأنه

اعلم ياحبيبي وفّقك الله : أنّ الله سبحانه لم يخلق الخلائق والموجودات إلاّ لمعرفته وعبادته ، وارجع نفع هذين الأمرين أيضاً رحمة منه إليهم ، قال في القرآن المجيد ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] وفي الحديث القدسي (فأحببت أن اُعرف فخلقت الخلق لكي اُعرف) [2] فالسبب هو معرفته سبحانه ، وثمرة المعرفة العبادة ، وثمرة العبادة الفوز بالنعيم الأبدي ، و البقاء السّرمدي ، وقد عرفت سابقاً أنّ معرفة ذاته وكنهه وحقيقته محال وممتنع ، والآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة والعلوية إلى العسكريّة كثيرة في هذا المقام ، والعقل أيضاً يشهد بذلك كما عرفت سابقاً، فظهر أنّ المعرفة الّتي نحن مكلّفون بها ، وخلقنا لأجلها ، ليس معرفة الذّات والكنه والحقيقة ، فليس لنا بد إلاّ معرفته بآثاره وآياته وأفعاله ، اُنظر إلى السّماء تراها دائماً في الحركة ، وترى الأرض مسطحة ، والخلايق على أنواع وأقسام ، من ضعفاء الخلق ، والحشرات كالنّمل والهمج الرعاع ، ترى أرزاقها مع ضعفها مقرّرة مقدّرة، وترى السّماء تربي الأرض بسيرها ودورانها ونزول المطر عليها ، والأرض مخضرّة ضاحكة بأنواع الشّقايق والرّياحين والورود بألوان مختلفة ، وروائح متفاوتة ، وخواص

---

١. سورة الذاريات آية (٥٦)

٢. رسائل الكركي للمحقق الكركي ١٥٩/٣ ، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ٢٢/١ ، عوالي الآلي لابن أبي جمهور الإحسائي ٥٥/١

متعددة ، بعض منها يوجب قوة جسد الإنسان ، وبعض منها يوجب قوة الروح ، وبعض منها سبب ترتيب الدّواء والغذاء ، ويحصل منها نفع كثير ، وترى المخلوقات منتظمين بنظم محكم ونسق قوي مستحكم ، لهم في عين اختلافهم اتفاق ، وفي عين اتفاقهم اختلاف ، وبعضهم موافق ومؤالف ، وبعضهم معاند ومخالف ، وبعضهم قوي ، وبعضهم ضعيف ، وبعضهم فقير ، وبعضهم غني ، وبعضهم عالم ، وبعضهم جاهل ، وبعضهم رجال وبعضهم نساء ، وبعضهم سلطان وبعضهم رعيّة ، حتّى ينتظم العالم ويحكم أساسه ، وإن لم يكن هذا لاختل الأساس والنّظام ، وفسدت الأمور ، ولو أردنا أن نبين عجائب العالم وغرائبه ، والحكمة في وضعه على هذه الهيئة ، وفساد طور آخر غيرها ، لخرجنا عن وضع الرسالة إلى تأليف كتاب كبير ، فالعالم أمره عجيب ، و سرّه غريب .

الحاصل : إن نظرت إلى العالم بتأمل ودقة ، ترى دليلاً واضحاً وبرهاناً قاطعاً لايحاً ، بوجود صانعه وبانيه ، وعلمت أن ذلك الصّانع لايدرك أبداً ، وإلاّ لكان مثلك ، وعلمت أنه لابدّ أن يكون حكيماً ، يعني يضع كلّ شيء في موضعه ، وإلاّ لكان ظالماً والظلم نقص ، وعالماً إذ هذا البنيان المحكم والأساس المتقن ، الّذي هو في غاية الإحكام ، ونهاية الإتقان ، لاينبغي أن يصدر من الجاهل ولايتمكن منه أبداً ، وقادراً لأنّ العاجز لايتمكن من إقامة هذا الأساس المحكم المتقن ، بحيث إن الأشياء كلها خاضعون خاشعون له وذليلون بين يديه ، وهو سلطان بحيث لا يختلف عن إرادته أحد ، والكل في قبضته وتحت سلطنته ، وحياً إذ الميت لايتمكن أن يبقي هذا العالم حيّاً ، وإلاّ لأبقى نفسه حيّاً ، وسميعاً إذ الموجودات كلّهم فقراء ومحتاجون ، وفي كلّ آن ودقيقه يسألون الفيض و المدد من صانعهم و خالقهم ، فلو لم يسمع ضجيجهم في كلّ آن ، فكيف يمدهم في كلّ لحظة و زمان ، ولاختل أساس هذا البنيان ، وبصيراً بحيث لا يحجب عنه أحد ولايغيب عنه شيء ، إذ كيف يكون رباً لهم وهم يغيبون عنه ، ويحتجبون عنه ،

وكذلك لابدّ أن يكون كريماً ، وحليماً ، ورحيماً ، وغفوراً، وعادلاً ، وصاحب فضل وبطش وغضب .

فمن نظر بعين الدّقة والبصيرة في العالم ، عرف اللهّ سبحانه بجميع صفاته ، ولولا العجلة لبسطنا في المقام ، وأطلنا فيه الكلام ، لكن العاقل تكفيه الإشارة ، فتبين أن المعرفة الّتي كلّف اللهّ بها العباد هي المعرفة بالآثار والأفعال ، ولذا قال رسول اللهّ ﷺ للعجوز لّما سألها عن معرفة ربّها ، وهي كانت تغزل القطن بالدولاب ، فكفّت يدها عن الدولاب فسكن ، ثمّ حركت الدولاب ، قال لأصحابه (إنّ هذه المرأة عرفت ربّها) وهذه المعرفة لاتوصل ولاتؤدي إلى معرفة الذّات ، لأنها مارأت الذّات بوجه ، ولاأدركتها بعقلها ، ولم تر غير الصنع، والّذي عرفته هو الصنع ، فبالدلالة الإلتزامية (العقلية) نستدل بأن هذا الصنع له صانع ، الّذي لايحيطه عقلنا ، ولا يدركه فكرنا (إنّما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها)[١] . مثلاً إذا رأيت دخاناً صاعداً ، استدللت به على وجود النّار ، وحصل لك علم قطعي ثابت جازم بتّي على وجودها فقط ، فالدّخان أثر النّار وفعلها يدلك على وجود المؤثر ، وأمّا كيفية وجوده فلا ، فالصّفات الذّاتية له سبحانه حكمها حكم الذّات لافرق بينها وبين الذّات ، مثلاً نستدل بالمعلومات على أن اللهّ عالم ، لكن علمه بها بأي كيفية ، وأي نحو فلا نعرفه ، إذ العلم عين الذّات .

إيّاك ثم إياك أن تدعي معرفة علم اللهّ ، ومعرفة قدرته ، وحياته ، وسمعه ، وبصره ، وكرمه ، إذ لافرق بينها وبين ذاته ، كما أن معرفة الذّات محال ، فكذلك صفاته الذاتية ، فمن

١. البحار للشيخ المجلسي ٤/ ٢٣٠ ، الإحتجاج للشخ الطبرسي ١/٢٩٩

عرف تعلق علمه تعالى بالمعلومات ، وأدرك كيفيته فقد عرف الذات ، ومن ادعى ذلك فهو كافر...

فقد وقع بيني وبين واحد من الفضلاء مناظرة ، يعجبني نقلها وهي : أنه بعد ماجرى بيني وبينه كلام كثير ، انجر الكلام إلى مسألة ،العلم وكانت المسألة بيننا ، أن الأعيان هل هي مجهولة أمْ لا؟ فقال لي : كيف علم اللهّ سبحانه إذا علم المعلومات ، فالعلم لايكون بلا معلوم؟ قلت له : إن تسأل عن علم الذات ، أي العلم الذي هو من صفات الذات ، فلا أعلمه بوجه من الوجوه ، ولايمكن لي التكلم فيه أبداَ ، و قولك إن العلم لايكون بلا معلوم في الإمكان صحيح ، العلم يحتاج إلى معلوم ، وأما في الأزل فلا أعلم ، والذي أعلم أنه واحد وليس معه في رتبة ذاته أحد ، ولاشيء كانْ (كان اللّه ولم يكن معه شيء)[1] فقال لي : الفرق بيننا وبينكم إنا نعلم ومطلعون على كيفية علمه ووجه تعلقه بالمعلوم ، وأنتم لاتعلمون ، وليس لمن لايعلم حجة على من يعلم ، قلت له : قولك : حسن والفرق الذي بينته أحسن ، نحن نقر و نعترف بجهلنا ، ونعلم أننا لانعلم ، فجهلنا جهل بسيط . وأنتم لاتعلمون ، ولاتعلمون أنكم لاتعلمون ، فجهلكم جهل مركب ، و يكفينا فخراَ و فرقاَ أننا نتبع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، و نقول كما قال (ماعرفناك حق معرفتك)[2] وأنتم تتبعون المخالف وأمثاله ، حيث ادعيتم معرفة الذات ، وإدراك العلم الذي هو الذات .

---

١. الفصول المهمة في أصول الإئمة للحر العاملي ١/١٥٤ ، البحار للشيخ المجلسي ٥٤/٢٤٣ ،الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (كان الله وام يكن معه شئ)

٢. البحار للشيخ المجلسي ١١٠/٣٤

الحاصل الحق في المسألة هو الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام :((الطريق مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ووجوده إثباته))[1] وقال عز من قائل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2] .

وحقيقة هذه المسألة ، قد بينها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بأتم بيان ، وأحسن لسان بقوله : (من سئل عن التوحيد فهو جاهل ، ومن أجاب عنه فهو مشرك ، ومن عرف التوحيد فهو ملحد ، ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر)[3] فذكر روحي فداه : معرفة المحال ، ومعرفة الواجب التي نحن مكلفون بها ، بكلامين بليغين مختصرين . ونعم ما قال الاعرابي في المقام : "البعرة تدل البعير ، واثر الأقدام يدل على المسير ، أفسماء ذات أبراج ، وارض ذات فجاج ، لا تدلان على اللطيف الخبير "[4] .

ومختصر الكلام أن المراد من المعرفة بالآيات والآثار ، وفي هذا المقام مراتب ومقامات، لاينبغي ذكرها للعوام ، ولاينتفعون منها ، فالترك أولى إذ وضع الرسالة وتأليفها لهم ولانتفاعهم .

---

١. كشكول الشيخ أحمد الإحسائي ٢/٣٦٠

٢. سورة فصلت آية (٥٣)

٣. جامع الشتات للخواجوئي ١٢٨

٤. روضة الواعظين للفتال النيسابوري ٣٠- ٣٣

الفصل التاسع

في معرفة صفات اللّه جل وعلا

الفصل التاسع

في معرفة صفات الله جل وعلا

اعلم أنّك قد عرفت سابقاً ، أنّ اللهّ خلق الخلق لمعرفته وعبادته ، فالمعرفة هي العلّة الغائيّة للخلق ، وعرفت أيضاً أن معرفة كنه ذاته وحقيقته محال وممتنع ، لافرق بيننا وبين نبينا (ﷺ) الّذي هو أشرف وأعلم الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين في ذلك ، فانحصر تكليفنا بالمعرفة في الآثار والأفعال ، فنستدل بالمخلوق على الخالق ، كما إذا رأينا سريراً نستدل به على وجود النّجار ، وبالعمارة على وجود المعمار ، وهكذا فنثبت لنا وجود صانع ، ولما لم يكن مثلك مخلوقاً فقيراً عاجزاً محتاجاً ، ثبت أنّه واجب الوجود ، ولزم أن يكون جامعاً لجميع الكمالات والمحامد ، بحيث لا يكون لأحد كمال إلاّ ويكون أحسنه موجوداً فيه ، وإلاّ لزم النّقص فيه لفقدان الكمال المخصوص ، فكلّ ما هو كمال تثبته له ، وكل ما هو نقص تنزهه منه ، والكمالات الّتي تثبتها للهّ سبحانه هي الّتي نراها نحن كمالاً ، والفاقد لها ناقصا ، لا أنه في الواقع ونفس الأمر الواجب تعالى { متصف } بذلك الكمال حاشا وكلاّ ، كيف نحكم باتّصافه سبحانه بشيء ، والحال أنّه لانعرفه بوجوه من الوجوه وطور من الأطوار ، مثلنا مثل النّملة تثبت للهّ زبانتين حيث تراهما في نفسها وفاقدها نافصاً ، فالّذي هو أتمّ كمال عند نفسها أثبتته لخالقها وصانعها ، ولو أن صانعها منزّه مما وصفته به ، كما أن وصف اللهّ سبحانه به عندنا كفر محض ، لأنّ الزّبانتين نقص وموجب للنقص عندنا ، فيجب علينا أن ننزّه الواجب عنهما ، فمثلنا عند من هو أعلم منّا وأعرف وأقرب من المبدأ مثل النّملة عندنا ، ولمّا لم يكلفنا الله بما لا

طاقة لنا به ، ولانقدر على معرفة الذّات ، حتّى نعرف الصّفة اللائقة به ، قبل منا ماوصفناه به وعلمناه كمالا في أنفسنا ، مالم نغير فطرتنا وطبيعتنا التي خلقنا الله عليها ، لأنّ الله سبحانه خلقنا بحيث لو لم نعص الله ، ولم نتبع الشّيطان ، لعرفنا أوامره ونواهيه ، ووحدناه على النّهج الّذي أراده منّا ، ووصفناه بوصف لايق بجلال قدسه بحسب طاقتنا ، وهذا معنى الفطرة الإسلاميّة الواردة في الأخبار ((كل مولود يولد على الفطرة لكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[1] فكما أن المصاحبة والمعاشرة تغير الطبيعة وجداناً ، كذلك المعصية وعدم اتباع أوامره ونواهيه تغير الفطرة السّليمة ، يرى القبيح حسناً والحسن قبيحاً ، والأشياء الّتي حكم العقل السّليم بنجاستها ورجاستها حسناً ، فيكون كافراً ، ولذا بعث الله أناساً طاهرين مطهرين معصومين من الخطايا والمعاصي ، وهم الأنبياء الّذين لم يعصوا الله طرفة عين ، ولم تتغير فطرتهم من الهيئة الّتي خلقهم الله عليها ، بل بسبب كثرة الطّاعة والعبادة أنوار علومهم ومعرفهم ساعة بعد ساعة في التّرقي والتّضاعف ، ولذا أظهر الله سبحانه في كلامه المجيد : الرضا عنهم في وصفهم ربهم وخالقهم وصانعهم ، وأعرض عن المشركين والكفّار ، ونزّه نفسه عما وصفوه به ، قال تعالى شأنه ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[2] يعني : أن الله منزّه ومبرئ عمّا وصفه به المشركون والكفار ، إذ وصفهم لايليق بجناب قدسه وجلال عزّه وعظمته ، إلاّ وصف عباده المخلصين ، لأن وصفهم بطور الفطرة السّليمة ، وغاية بذل الجهد في المعرفة ، وأنا أجل وأعظم من أن أكلف بما لايطاق ، ولما نفي الله

---

١. الخلاف للشيخ محمد الطوسي ٣/ ٥٩١ ، تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي ٩ /١٧٠ ، الدروس للشهيد الأول ٣/٧٩ الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله (كل مولود يولد على الفطرة فأ بواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يعرب لسانه فإما شاكراً وإما كفوراً)

٢. سورة الصافات آية (١٥٩ ١٦٠)

سبحانه وصف المشركين وأثبت وصف المخلصين ، وتوهم من ذلك أن نفيه ربما لكون وصف المشرك بخلاف الواقع ، وإثباته لكونه موافقاً للواقع ونفس الأمر والحقيقة .

أزال هذا التّوهم بقوله ﴿ سُبۡحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1] يعني : أن هذا التّوهم فاسد ، وأن ربك رب العزّة والجلالة منزّه ومبرء عن جميع ما يصفه عباده المخلصون ، وملائكته المقربون ، وأنبياؤه المرسلون ، حتّى نبينا محمّد المصطفى وأوصيائه الطّاهرين صلوات اللهّ عليهم أجمعين ، لأن جميع الخلق مشتركون في عدم معرفتهم ، بأن صانعهم ماهو وأي شيء ؟ إنّما يرون الآثار ويستدلون بها على المؤثر ، فلا توصل الآثار إلى حقيقته وكيفيته وكميته أبداً ، إن قلت : إن اللهّ وصف نفسه لنا وهو عالم بحقيقة نفسه وذاته ، فيكون وصفه لنا وصف النّفس الأمري .

قلنا : إن اللهّ سبحانه عالم بذاته وحقيقته ، وقادر على وصف نفسه وذاته ، لكن لايكلف الخلق إلاّ بما يتمكنون من فهمه وإدراكه وتعقله ، وكيف يتمكنون من إدراك القديم؟ وإلاّلزمت المفاسد السّابقة ، لاجرم وصف نفسه بما يفهمونه ، وجعل مايدركونه ويتعقلونه ويفهمونه وصفاّ لنفسه ، ورضي بذلك ، كوصف النّملة للهّ زبانتين ، ولا نستبعد ذلك ، إذ النّملة أمة مثلنا ، وكما أن بيننا أنبياء وأوصياء وكتب ، ومطيع وعاصي ، وكافر ومؤمن ، كذلك النّملة وغيرها ، فما وصفت به النّملة صانعها هو ما أخبرها به النّبي بقدر قابليتها وفهمها ، وما أخبر به النّبي ليس من عند نفسه ، بل هو ما أخبره به اللهّ عزّ وجل ، واللهّ سبحانه لايخبر إلاّ ما تطيق به تلك الأمة وتفهمه ، كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا

---

١. سورة الصافات آية (١٨٠)

بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾[1] فثبت أنه لايمكن للممكن أن يصف اللّهّ تعالى على ما هو عليه ، من الوصف اللائق بذاته المقدّسة ، ولايصل أحد من الخلق إلى ما هنالك أبداً .

ولما نفي الله سبحانه في الآية الشّريفة ، وصف الواصفين ، وأثبت أنّه منزّه عن كل ما يصفون ، وكان يتوهم أن وصف الأنبياء والأوصياء والعلماء والكملين وساير النّاس باطل ، لأن وصفهم ليس بلايق لجناب قدسه ، وأراد أن يزيل هذا الوهم الفاسد ويبطل هذا المعنى الكاسد ، قال عز من قائل ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[2] أي : سلام مني ورحمة عليهم ، حيث قبلت وصفهم لي ورضيت بذلك منهم وممن تبعهم ، لأنهم ما غيروا فطرتهم ووصفوني على النهج الّذي أنا وصفت لهم ، فأنا راضي بوصفهم وأجازيهم بصالح أعمالهم ، حيث لم يقصروا فيما أمروا به وخلقوا لأجله ، فظهر أن الصّفات الّتي نصف اللّهّ سبحانه ، هي الّتي نحن معاشر الممكنات نراها ونعلمها كمالا ، وأن كانت عند من هو أعلى رتبة وأرفع منزلة نقصاً بالنسبة إليه سبحانه ، كتوحيد النّملة عندنا ، وترقى هذه السلسلة متصاعدة إلى حد فوقه الواجب ، وذلك الحد هو فوق الفوق ومنتهى الغايات ، ولذا يقول نبينا ﷺ (ياعلي ماعرف اللّه إلاّ أنا وأنت)[3] يعني : ياعلي لم يعرف الله سبحانه أحد كمعرفتنا إياه إلاّ أنا وأنت، وما عرفوه به فهو نقص في حق اللّهّ سبحانه ، ولكن معرفتي ومعرفتك غاية معرفة الممكن ، ولو كانت بالنسبة إلى معرفة ذاته المقدسة تعالى نقصاً ، لكننا لسنا مكلفين بها ، وغاية ما كلف به عباده ، هو ماعرفناه ووصفناه به ، تقدّست أسماؤه وصفاته .

---

١. سورة إبراهيم آية (٤)

٢. سورة الصافات آية (١٨١)

٣. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ١٢٥ ، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٢ / ٤٣٩

الفصل العاشر

{صفات اللّه سبحانه الذاتية والفعلية}

الفصل العاشر

{صفات الله سبحانه الذاتية والفعلية}

لمّا نظرنا إلى الصّفات الكمالية رأيناها على قسمين :

القسم الأول : يلزم أن تثبته لله سبحانه في رتبة ذاته ، يعني أن الذّات المقدّسة متصفة بها دائماً ، ليس وقت لاتكون متصفة بها ، وإلاّلزم أحد الأمرين : إما اثبات ضد تلك الصّفة إذا لم تكن هي ، وإما ارتفاع الضدين .

أما الصّورة الأولى وهي الإثبات فيلزم منها النّقص ، وأما الصّورة الثّانية فيلزم منها التّعطيل من الكمالات وهو أعظم النّقايص ، وهذا القسم من الصّفة يسمى [بالصّفات الذّاتيّة] يعني هي عين ذات الواجب ، ولايصح ولايجوز سلبها من اللهّ سبحانه كالعلم ، والقدرة ، والحيوة ، والكرم ، والرأفة ، والرحمة ، والحلم ، والسمع ، والبصر ، فلايجوز سلبها أبداً عن الواجب ، إذ لا يمكنك أن تقول إن اللهّ ليس بعالم ، لأنّه إن لم يكن عالماً إما أن يكون جاهلاً أو لاعالماً ولاجاهلاً ، ففي الصّورة الأولى يلزم النّقص ، إذ الجهل نقص عندنا ، وفي الصّورة الثّانية يلزم التّعطيل في الذّات المقدسة ، وكونها معراة من الصّفات الكمالية ، وهو من أعظم النّقائص ، وكذلك ساير الأوصاف الّتي كالعلم ، فلزم أن يكون الواجب تعالى عالماً دائماً ، أزلاً أبداً .

والقسم الثّـاني : هو الّذي نثبته لله سبحانه في مقام الفعل ، وهو إيجاد الأشياء ، وننفيه عنه تعالى في مرتبة الـذّات ، إذ هـو كـمال في مرتبـة الفعـل ، ونقـص في مرتبـة الـذّات ، فيجـوز ويصح سلبه عن الله وإثباته له ، كالمشية والإرادة ، والخلق ، والـرزق ، والأحيـاء ، والأماتـة ، وأمثالها ، فيصح إثباتها مرة ونفيها أخرى ، كما تقول أفعل هذا ألأمر إن شاء اللهّ ، وهذا دليل على أنّه بعد لم ترد ولم تشأ وإلا لكنت فاعلاً ، ومثل قوله تعالى :﴿ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ ﴾[1]. وأمثال هذه الآيات والأحاديث والمحاورات ، كما تقول : تكلم مع موسى ولم يتكلم مع زيد ، خلق عمروا ولم يخلق بكراً ، رزق فلاناً ولم يرزق فلاناً ، فصحة السّلب دليل على أن هذه الصّفات ليست في رتبة الـذّات ، وإلاّ لزم النّقص بالسلب عنها ، وهو باطل بالبديهية .

خلاصة المقام ومختصر الكلام أن الصّفات على قسمين ذاتية وفعلية : " فالذاتية " هي الّتي تثبتها للذات ، ولا يصح سلبها عنها ، ولايجوز اتصافها بضدها ، كالاتصاف بالعلم، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والحيوة ، والإدراك ، والكرم ، والرحمة ، والعطوفة ، وعدم اتصافها بأضدادها ، كالجهل ، والعجز ، والعمى ، والأصمية ، والموت ، والبلادة ، والبخل ، والغلظة ، وأمثالها .

" والفعلية " هي الّتي يجوز سلبها عن الذّات ، ويصح له الاتصاف بها وبضدها ، كالاتصاف بالإرادة ، والمشية ، والكلام ، والأحياء ، والأماتة ، وبضد الإرادة كقوله تعالى ﴿ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ ﴾[2]. وعدم المشية ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[3]

---

١. سورة المائدة آية (٤١)

٢. سورة المائدة آية (٤١)

٣. سورة الإنسان آية (٣٠)

وعدم الكلام ، وعدم الأحياء ، وعدم الأمانة ، فهذه الصّفات أمور متعلقة بالخلق ، فلما لم يكن الخلق في الذّات لم تكن تلك الصّفات أيضاً .

فالصفات الذّاتية قديمة هي عين الـذّات ، قـل علـم مـثلاً أوقـل ذات لافـرق بيـنهما ، كالألفاظ المترادفة كالسيف والصارم مثلاً ، والصّفات الفعلية حادثة .

الفصل الحادي عشر

{ الصفات الذاتية عين ذاته تعالى }

الفصل الحادي عشر

{الصفات الذاتية عين ذاته تعالى }

إياك ثمّ إياك أن تزعم أن الصّفات الذّاتية موجودة في رتبة الذّات ، يعني في تلك الرتبة، علم غير الذّات ، وقدرة غير الذّات ، وحياة غير الذّات ، حاشا وكلا ليس في رتبة الذّات شيء غير الذّات ، لأن الكثرة في رتبة الذّات محال ، إذا قلت علم وذات مثلاً .

أقول : إن العلم جزء الذّات ، أو خارج غيرها ، أو عينها ، فالأول يلزم منه التركيب ، والمركب محتاج ، والمحتاج ممكن لا واجب .

والثّاني وهو كون العلم خارج الذّات أيضاً فاسد ، إذ العلم إمّا قديم أو حادث ، فإن كان قديماً لزم تعدد القدماء ، وإن كان حادثاً لزم أن يصل الحادث إلى رتبة القديم وهو محال أيضاً .

والثّالث وهوكون العلم عين الذّات ، بحيث ليس هناك تعدد ولاكثرة ، فقولك صحيح .

ولاتتخيل ياحبيبي أن العلم في الواجب غير القدرة ، والقدرة غير الحياة ، وهي غير السمع ، وهو غير البصر ، فهذا كفر صريح . إذ يلزم منه الكثرة والتعدد في ذات الواجب تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، بل كل واحد عين الآخر ، فالعلم عين القدرة ، وهي عين السمع وهو عين البصر ، والكل عين الذّات بلا تكثر واختلاف ، إذا قلت : عالم فلايكون قصدك منه غير

الذّات البحت الواحد البسيط ، بحيث لاتكثر فيه ولاتغير ولااختلاف ، وكذلك إذا قلت قادر وحي وكريم وأمثالها ، فلك أن تقول إن الذّات بكلها علم وقدرة وحيوة وأمثالها ، لا أن لهذا الكل جزء ، بل التعبير به لضيق المقام ، يعني أقصد من العلم والقدرة الذّات ، ومن الذّات العلم والقدرة ، ولما لم تقصد التّكثر والتعدد والاختلاف في رتبة الذّات ، بل تقصد من هذه الصّفات عين الذّات المقدسة الكاملة ، أمكنك أن تقول ليس هنالك علم ولاقدرة ولاحيوة غير الذّات ، يعني ذات واحدة بسيطة كاملة جلت عظمتها ، بحيث لاتتطرقها كثرة ولاتعدد ولااختلاف ، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين " عليه السلام " بقوله : ((كمال التوحيد نفي الصّفات عنه))[١] يعني : أن التوحيد الكامل ، هو أن ننفي عن الواجب تعالى جميع الصّفات ، أي لانفرق بين الذّات والصّفات ، بل تعتقد أن الذّات هي الصّفات ، والصّفات هي الذّات ، وأقصد من هذه العبارة ، كالعالم ، والقادر ، والحي والسميع ، والبصير ، وأمثالها شيئاً واحداً بسيطاً ، وإنّما هذه العبارة تعبيرات عن الكمال ، وعنوانات الشيء الواحد ، فعلى هذا علمه هو ذاته ، وقدرته هي ذاته وكذا الحيوة، والسمع ، والبصر، فكما لا يمكن درك الذّات الواجب ، فكذا لاتعرف ولاتدرك صفاتها ، لأنّها هي الذّات ليست غيرها ، فمن أدرك علم الواجب تعالى ، أو قدرته فقد أدرك الواجب ، إذ لا فرق بين الذّات وصفاتها غير العبارات ، فالواجب عليك إثبات الصّفات الكمالية للهّ سبحانه ، فإن سألوك عن كيفيتها فقل لا أعلم كما لاأعرف الذّات المقدسة ، نعم أعلم أنه ليس في رتبة الذّات غيره جلّت عظمته ، فقد كررت المطلب بعبارات مختلفة ، حتّى يتضح لك المقام ، ويرتفع النّقاب ، إنه من المسائل الصّعاب ، الّتي ذلت لها الرقاب ، وزلت فيها أقلام الفحول ، وأقلام ذوي العقول .

---

١. في التوحيد للشيخ الصدوق ٥٦ قال أمير المؤمنين عليه السلام (ونظام توحيده نفي الصفات عنه) ، وفي نفس المصدر قال الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (وكمال توحيده نفي الصفات عنه) ٥٧

الفصل الثّاني عشر

{المشيئة مخلوقة }

الفصل الثّاني عشر

{المشيئة مخلوقة }

اعلم أن الصّفات الفعلية كلّها حادثة مخلوقة ، فالمشية والإرادة من صفات الأفعـال ، ومن قال : إنّهما من الصّفات الذّاتية فهـو مشر ـك لـيس بموحـد ، قـال الإمـام الرضـا عليه السلام : ((المشية والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أن الله لم يزل شائياً مريـداً فلـيس بموحـد))[١] واعتقد جماعة أنّهما من صفات الذّات واستدلوا بوجهين :

الوجه الأوّل : أن اللهّ خلق جميع الأشياء بمشيته ، فلو كانت حادثة لاحتاجت للإيجاد بمشية أخرى ، والأخرى أيضاً كذلك إلى النّهاية ، ولزم منه التّسلسـل وهـو باطـل ، فلـزم أن تكون من صفات الذّات يعني قديمة لاحادثة.

والجـواب أن المشـية لاتحتـاج في إيجادهـا إلى مشـية أخـرى ، بـل إنـما خلقـت بنفسـها لابغيرها ، كما قال الإمام الصّادق عليه السلام : ((خلق اللّه الأشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها))[٢] ونظيرها من قول الفقهاء النيّة توجد جميع الأعمال بها ، وأمّا هي فتوجد بنفسها ، ومن قول الحكماء في الوجود يقولون إن الموجودات كلها موجودة بالوجود وهو موجود بنفسه ،

---

١. التوحيد للشيخ الصدوق ٣٣٨ ، البحار للشيخ المجلسي ٤ / ١٤٥

٢. التوحيد للشيخ الصدوق ١٤٨ ، البحار للشيخ المجلسي ٤/ ١٤٥

ونظايره كثيرة ، بل إذا نظرت بعين الإنصاف والدّقة والاعتبار لم تر إلا ما ذكرناه ، ومن نظر إلى عالم الحقيقة انكشفت له الأمور الدقيقة.

الوجه الثّاني : إن المشية لاشك أنها صفة ، والصّفة لاتخلو من ثلاث صور : إما قائمة بنفس الواجب وذاته ، وإما قائمة بغيرها ، إن قلت : أنها قائمة بذات الواجب ، قلت لاتخلو أيضاً من صورتين : إما قديمة وإما حادثة ، إن كانت قديمة فهي عين المطلوب ، وإن كانت حادثة لزم أن يكون الواجب محل الحوادث ، وهو باطل بالإجماع ، وان قلت : إن الصفة قائمة بنفسها ، قلنا إن الصّفة عرض ، والعرض يحتاج إلى محل وإلاّ لما وجد ، فالسّواد والبياض مثلاً، لولا الجسم الّذي يعرضانه لما وجدا ، وليس لهما وجود استقلالي بالبداهة ، فالعلم لامحالة يحتاج إلى عالم ، والعلم بلا عالم لايوجد ، فهذا الشّق أيضاً باطل .

وان قلت : إنّها قائمة بالغير قلنا : أنه باطل أيضاً ، إذ لا يصح أن تقوم صفة شيء بشيء كالحرارة مثلاً صفة النّار ، لايمكن أن تكون قائمة بالماء وصفة له ، فإذا ابطلت الشّقوق، لا جرم تكون المشية قديمة .

والجواب أن المشية صفة اللهّ ، والصفة لاشك أنها قائمة بالموصف ، ولايلزم من ذلك أن تكون الذّات محلاً للحوادث ، إذ القيام ليس قيام عروض ، كما ذكرت فيلزم الكفر والزندقة بل القيام قيام صدور ، يعني المشية قائمة باللهّ قيام صدور لكن بلا كيف ، كقيام الأشعة بالشمس ، وقيام الكلام بالمتكلّم ، ولايلزم محذور أبداً . والحاصل العقل والنّقل والعلم من الآفاق والأنفس شاهد ودليل على أن المشية حادثة، والذّات المقدسة منزهة ومعراة من هذه الصّفة ، والأئمة عليهم السلام حكموا بكفر من قال بقدمها ، ولايتحمل هذا المختصر بأبسط من هذا في البيان ، وإقامة الأدلة والبرهان ، وقد استقصيناها في سائر الرسائل ، وتركناها هنا لعدم انتفاع العوام بأزيد من هذا ، والحمد للهّ ربّ العالمين وصلّى اللهّ على محمدوآله الطيبين

الباب الثّاني

في العدل وفيه فصول

الفصل الأوّل

{ العدل من الصفات الذاتية }

الفصل الأوّل

{العدل من الصفات الذاتية }

اعلم أن العدل من الصّفات الثّبوتية الذّاتية ، وهو وإن كان داخلاً في باب التّوحيد ، وبيانه في ضمن بيانه ، لكن لما جرت سيرة العلماء على بيانه وذكره بعنوان مخصوص ، جرينا على أثرهم وجعلنا له عنواناً خاصاً وباباً مخصوصاً ، ولما كان من الصّفات الذّاتية ، وعرفت سابقاً أنها عين ذات الواجب تعالى لافرق بينها وبين تلك الصّفات ، وليس فيها تكثر وتعدد ، كان معرفته والتّكلم فيه محالاً ، والقول بمقتضياته عبثاً ، إذ الذّات المقدسة بذاتها ليس فيها اقتضاء وميل وإرادة ، وإلاّ لزم في الذّات مراتب ثلاث : الاقتضاء والمقتضى- "بالكسر-" والمقتضي "بالفتح" .

وهي إما مركبة من هذه الثّلاثة ، وإما الثّلاثة الأمور خارجة متحققة ، ففي الصّورة الأولى لزم الاحتياج ، وفي الثّانية تعدد الآلهة كما أشرنا سابقاً ، فلا يتصور في مرتبة الذّات تكثر بوجه من الوجوه وإلاّ لزم النّقص ، إن قلت : إذا لم تدرك أنت الذّات الواجبة وحقيقتها ، فكيف تنفى عنها الكثرة ؟ فربما تكون هناك كثرة وأنت لاتعلم ، قلنا نحن مكلفون بسلب النّقايص واللوازم الإمكانية عن الذّات المقدسة ، وأثبتنا سابقاً أن ما في الإمكان محال في الأزل والواجب وبالعكس ، لأنه لاشك أن الآثار كما تدلنا على معرفة الصّانع ، كذلك تدلنا على

سلب النّقايص عنه ، إذ لو لم يكن كاملاً من كل جهة لما صدرت منه هذه الأفعال المحكمة المتقنة ، فما كان منافياً للكمال من النّقايص سلباه عنه ، والكثرة من النّقايص قطعاً .

واعلم أيضاً أن العدل كالعلم وأمثاله له لحاظان :

ملاحظة باعتبار الذّات ، تقول علم وتريد منه عين الذّات الواجبة ، وملاحظة باعتبار تعلقه بالمعلومات ، فلأول قديم ، والثّاني حادث ، لقوله تعالى شأنه﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].فرد اللهّ سبحانه بقوله هذا الكفّار والمشركين الّذين أثبتوا للهّ شريكاً ، ولاشك أن الصّفات الذّاتية كما قلنا عين الذّات ، فلايجوز سلبها عن الذّات ، وإلاّلزم سلب الذّات ، لأنّ الصّفة هي الذّات ، فبانتقاء الصّفة التي هي الذّات ، تنتفي الذّات وهو كفر وزندقة ، فلذا قالوا إن الصفات الذّاتية هي الّتي لايصح سلبها عن الذّات ، فثبت أن هذا العلم وهو المتعلق بالمعلومات غير الذّات وحادث وعين المعلوم .

خلاصة الكلام ومختصر المقام ، أنّك تارة تقول إن الله عالم وليس معلوم قط ، وقادر وليس مقدور قط ، ورب وليس مربوب قط ، وسميع وليس مسموع قط ، وبصير وليس مبصر قط ، وولي وليس متولى عليه قط وأمثالها ، ومرة تقول : سميع حين وجود المسموعات ، وبصير وقت وجود المبصر ، وعالم حين وجود المعلوم ، وقادر حين وجود المقدور ، وولي حين وجود المتولى عليه ، ورب حين وجود المربوب وأمثالها .

---

١. سورة يونس آية (١٨)

فالقسم الأول

تعبير عن الذّات البحت المجرد عن كل اعتبار ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : (كان اللّه ولم يكن معه شيء)[1] ولما سمع عارف هذا الحديث قال (الآن كما كان)[2] ومعلوم وبديهي أن في رتبة الذّات ليس وراءها شيء قط ، فالآن عالم ولامعلوم ، وقادر ولامقدور ، وكذا ساير الصّفات الذّاتية .

والقسم الثّاني

هو مرتبة الفعل ، لأنّ المتعلق بالخلق هو الفعل ، وذات الواجب لاتقع ولاتتعلق بشيء ، إذا عرفت هذا فقس عليه العدل ، لأنّك إن قصدت به الذّات كان من الصّفات الذّاتية ، فلا نعرف له معنى ولاندركه ولانتعقله كالذّات ، لأنّه سبحانه لم يخبرنا به ، وإلاّ لزم معرفة الذّات ، وهي محال كما عرفت .

وإن قصدت به العدالة المتعلقة بالخلق ، والمنسوبة إلى الموجودات فهو من الصّفات الفعلية الحادثة ، نعرف معناه ونتمكن بيانه ، إذ أخبرنا الله سبحانه به ونجد علامته في ذواتنا ، ووصفه في كلام اللهّ المجيد ، وأحاديث الأئمة الطّاهرين ، وبالعدالة الفعلية نستدل على العدالة الذّاتية (صفة استدلال لاصفة تكشف عنه) وذكرنا سابقاً أن الحادث لايدرك إلاّ ما هو حادث مثله ، فالآن نبدء في بيان معنى العدل الّذي نحن بصدده .

---

١. الرواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (كان الله و لم يكن معه شئ) في الفصول المهمة في أصول الأئمة ١ / ١٥٤ ، البحار للشيخ المجلسي ٥٤ / ٢٣٨

٢. قال الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (إن تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان) التوحيد للشيخ الصدوق ١٧٩ ، البحار للشيخ المجلسي ٣ / ٣٣٧

الفصل الثّاني

{العدل اللغوي والاصطلاحي }

الفصل الثّاني

{العدل اللغوي والاصطلاحي }

العدالة في اللغة خلاف الظّلم والجور ، يقال بسط الوالي عدله ومعدلته يعني رفع الظلم والجور عن الرعايا ، وعمل معهم بمقتضى الحكمة ، وسلك معهم بالعطوفة والرأفة ،

وأمّا في اصطلاح الفقهاء ، ففيه خلاف بينهم ، فكلٌ ذكر له حداً ومعنى ، لسنا نحن بصدده ولاحاجة لنا به ، والمقصود في المقام هو المعنى اللغوي .

ونقول إن اللهّ عادل وحكيم ، يعني لايظلم أحداً ، والظّلم هو وضع الشيء في غير محله وموضعه ، وعدم اعطائه للخلق ما يستحقه ، بل يعطى لطالب الشيء خلاف ما يريده ويطلبه ، مثلاً يعطى لطالب الخير الشر ، وطالب الشّر الخير ، وطالب العلم الجهل ، وطالب الجهل العلم وأمثاله ، هذه الأمور تسمّى بالظلم ، وفاعلها ظالماً ، والله سبحانه عادل حكيم ، يعني يضع كل شيء في موضعه ، ويعطي كل أحد مقتضى قابليته ، ويجعل الحسن في محل حسن ، والقبح في المحل القبيح ، ويكرم لكل أحد مايراه مستحقاً له ، فعلى هذا يلزم الليل أن يكون مظلماً ، والنّهار مضيئاً ، والنّار حارة ، والماء بارداً ، والحديد صلباً ، فلو خلق النّار باردة، والماء حاراً ، والهواء سيالاً ، وأمثالها فقد ظلم ، وهذا مقتضى الرحمة الواسعة ، وهذه الرحمة هي

العدل ، وإليه أشار بقوله عز وجل ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1] يعني أعامل مع كل أحد بمقتضى العدل والحكمة ، فأدخل الكافر في جهنم وأخلده فيها ، والمؤمن في الجنة وأسكنه فيها دائماً ، واجعل البعيد عن سّاحة عزى بعيداً ، والقريب قريباً ، وقلوب المؤمنين منيرة بإيمانهم ، وقلوب الكافرين مظلمة بكفرهم ، لأنّي لو فعلت غير هذا لكنت ظالماً ، وكان فعلي خلاف الحكمة ولايجوز ذلك لي ، لأنّي أرحم الرّاحمين ، وهذا يعني الرّحمة الواسعة ، الّتي هي صفة الرّحمن .

وأمّا الرحمة المكتوبة فهي رحمة فضل وإحسان مختصة بالمؤمنين يوم القيامة ، فالله سبحانه بفضله ورحمته يعطيهم الأجر والثّواب ، ويعلّي درجاتهم ويكرمهم من النّعم والموائد مالاتتناهى ، لاعين رأت ولاأذن سمعت ، وليس هذا كلّه بعدله ، إذ بعدله لايستحقون هذا الثّواب العظيم ، لقلة عملهم وتقصيرهم في دار الدّنيا بغلبة الشّهوات النّفسانية عليهم ، لكن لما رأى المحل قابلاً للفيض ، وطالباً له غفر لهم وزاد في قابليتهم ، وأعطاهم من الأجر مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ، اللهم اجعلنا منهم بالنبي وآله الطّاهرين ، وهذا معنى الرّحمة المكتوبة ، الّتي صفة الرّحيم ،فظهر أن الرّحمة الواسعة هي العدل بعينه والرّحمة المكتوبة المختصة بالمؤمنين هي الفضل بعينه (اللهم عاملنا بفضلك لابعدلك) .

---

١. سورة الأعراف آية (١٥٦)

الفصل الثّالث

{الحق تعالى لا يصدر عنه القبيح }

الفصل الثّالث

{الحق تعالى لايصدر عنه القبيح }

لمّا عرفت أن اللهّ سبحانه منزّه ومبرء من جميع النّقايص الإمكانية ، ومتصف بكل الأوصاف الكمالية الأزلية ، عرفت أنّه لايصدر عنه القبيح ، إذ كلّ شيء من الظّريف ظريف فكيف يصدر عنه القبيح ، والحال أنّه فعل النّاقصين وعمل الضّالين ، وفاعل القبيح لايخلو من أنّه إمّا جاهل للقبيح ، ويزعم في فعله أنّه حسن ، وإمّا عالم للقبيح لكن دعته الحاجة إلى فعله ، كي يسد به مقاصده وحوائجه الدنيويّة ، وإمّا عالم به وفعله لاحاجة إليه بل ارتكبه عبثاً.

ففي الصّورة الأولى لزم الجهل للفاعل واللهّ سبحانه متعال عن ذلك ، وفي الثّانية لزم الافتقار والحاجة وهما صفتا الممكن ، وفي الثّالثة السفه والدناءة ، إذ العاقل لايترك الحسن ويفعل القبيح مع علمه به ، وعدم الحاجة والدّاعي إليه ، فظهر أن القبح في حق الواجب لاينبغي بوجه ، ومن أقسام القبيح الظّلم والجبر وفعل خلاف الحكمة ، إذ ليس يخفى على كلّ عاقل أن اعطاء الشّر لطالب الخير ، وإعطاء الخير لطالب الشّر ، وتعذيب من هو مستحق الجنة والنّعيم ، وتنعيم مستحق العذاب والنّار قبيح ، ولايخفى على كلّ ذي لب قبح هذا ، وحسن خلافه ، ومن ليس له بصيرة لاحظ في المعرفة ، فثبت بالدليل والبرهان أن اللهّ سبحانه عادل ، ولاينبغي له الظّلم والقبح ، والآيات القرآنيّة والشّواهد الفرقانيّة كثيرة في المقام ، صريحة في المرام ، منها قوله عزّ من قائل ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ

يَظۡلِمُونَ ﴾١ . يعني أن اللهّ سبحانه لم يظلمهم بعذابهم وتعذيبهم بل عاملهم بمقتضى عدله، هم ظلموا أنفسهم فاستحقوا العذاب بمقتضى عدله ومنها ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾٢. وأن اللهّ عزّ وجل أتى بصيغة المبالغة ، حتّى يتبين أن الظلم الواحد في حقه كثير ، لا أنه سبحانه لايظلم كثيراً وأما القليل من الظلم فيرتكبه ، وهذا من قبيل (كرّار غير فرّار) فان أدنى الفرار بالنسبة إله يعد كثيراً ، ومنها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا ﴾٣. وأمثال هذه الآيات كثيرة ، وهذا المختصر ليس محل استقصائها .

١. سورة النحل آية (٣٣)
٢. سورة يونس آية (٤٤)
٣. سورة يونس آية (٤٤)

الفصل الرّابع

{اللّه تعالى لم يخلق الخلق عبثا }

الفصل الرّابع

{اللّه تعالى لم يخلق الخلق عبثا }

لّما عرفت أن اللهّ سبحانه منزّه ومبرء من أن يصدر منه القبيح ، عرفت أنّه لم يخلق الخلق عبثاً ، ولم يجعلهم مهملاً ، لأنّ الحكيم لايصدر منه العبث ، وإلاّ لم يكن حكيماً .

ونحن قلنا سابقاً أن فعله سبحانه في غاية الإحكام ، ونهاية الإتقان ، فلم يكن إيجاده للموجودات عبثاً وبلا علّة ومنفعة ، كما قال عزّ من قائل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[١] وفي الحديث القدسي (كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف)[٢] إياك ثمّ إياك أن تتوهم أنه يحصل للهّ كمال من معرفة الخلق وعبادتهم إياه يعني أنّه سبحانه كان ناقصاً العياذ باللهّ وبسبب إيجاد الموجودات صار كاملاً ، حاشا وكلاّ تعالى ربّي عن ذلك علوّاً كبيرا ، وهو كامل أبداً لايعتريه نقصان قط ، وهو على حال واحد لايتغير من حال إلى حال ، حاله قبل إيجاد الخلق وبعده وحينه على حدّ سواء ، لايتغير بتغير المخلوق ولا يتجدد بتجدده ، بل هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن ، أوليته عين آخريته ،

---

١. سورة الذاريات آية (٥٧)

٢. رسائل الكركي للمحقق الكركي ١٥٩/٣ ، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ٢٢/١ ، عوالي الآلي لابن أبي جمهور الإحسائي ٥٥/١

ومعلوميته عين مجهوليته ، وخفاؤه عين ظهوره ، وظهوره نفس خفائه ، قربه عين بعده ، وبعده نفس قربه ، لايدركه أحد ، كيف هو سبحانه في كلّ وقت بوجه .

نعم نعرف أنّه كامل في كلّ وقت ، و هو أجلّ وأعظم من أن يحصل له كمال بسبب الخلق ، أو يعرف به ، كمال تدل عليه الأحاديث الكثيرة ، وتشهد له العقول المستنيرة ، ففائدة المعرفة في العبادة راجعة وعايدة إلى الخلق ، حتّى يدركوا حظ أنفسهم من الوجود ، فالعلة الغائيّة انتفاع الخلق و انتشاء الرّحمة فيهم ، واستكمالهم لاستكماله عن ذلك .

الفصل الخامس

{ اللّه تعالى لم يجبر الخلائق }

الفصل الخامس

{اللّه تعالى لم يجبر الخلائق }

إذا عرفت أن الباعث إلى إيجاد الخلائق هو انتفاعهم وإظهار الرّحمة ، بالنسبة إلى حالهم ، عرفت أن اللهّ سبحانه ماجبر ولايجبر أحداً بأمر من الأمور ، إذ الجبر هو إعطاء مالا يريده ، وإكراه المقابل عليه ، فعلى هذا لايصله نفع و لا ينتفع منه ، والانتفاع يحصل إذا رضي المقابل بما أعطيته من الأمر ، وطلبه منك ، لاإذا أكرهته عليه ، فلا ينبغي للهّ سبحانه أن يجبر أحداً بإيمان أو كفر .

فإذا حكم كلف أحداً بشيء كلفه على وجه الاختيار لا الإكراه والإجبار ، حتّى يقبله باختياره وميله ورضاه ، ويكون ثمرة الإيجاد انتفاع الخلق ، وهو لايكون إلاّ في صورة الاختيار، وظهور الاختيار بلا تكليف باطل ، فالتكليف هو سبب الإيجاد ، فمن لم يكلّف لايوجد .

والأدلة على أن اللهّ لم يجبر أحداً بالإيمان والكفر و كثيرة ، منها ما ذكرنا أن اللهّ حكيم وعادل ، وأفعاله تماماً بمقتضى العدل ،والقبح لا يصدر عنه أبداً بوجه من الوجوه ، فلا يجبر أحداً بالإيمان أو الكفر أوالطّاعة أو المعصية ، إذ كلّ عاقل يفهم قبح أن يخلق خلقاً كافراً ثمّ يطلب منه الإيمان ، أو يخلقه جاهلاً بحيث لايكون مستعداً للعلم ثمّ يطلب منه العلم ، أو

يخلقه مشركاً ويطلب منه التوحيد ، ثمّ يعذبه على ترك مالا يتمكن بالذّات على أدائه ، أو يخلقه مؤمناً بحيث لايتمكن من الكفر ثم يعطيه الأجر والثّواب على إيمانه ، وهذا ممّا لا يشك أحد في قبحه .

وأيضاً إذا خلق اللهّ كلّ الموجودات مؤمنين ، لايصدق عليهم أنّهم مطيعون ولأنّهم ممتثلون ، لأن المطيع من يتمكن على خلاف العمل المأمور به ، ومن لم يتمكن على خلاف ما أمر به ، لاجرم يكون عمله بإكراه لا بالطاعة ، مثلاً إن سللت سيفاً على أحد بقصد أن تقتله ، إن لم يعمل برأيك ، فإن عمل برأيك وهو على هذه الحالة فلا يقال أنه مطيع وممتثل لأمرك ، إذ لولا فعلك هذا معه لما عمل برأيك .

الحاصل فلما لم يكونوا مطيعين لايجوز أن يدخلهم كلّهم الجنة ، إذ لو لم يجبرهم على الإيمان لقبلوا الكفر بمقتضى ذاتهم ، والذّات الخبيثة لاتدخل المكان الطيب ، وإلاّ لزم الظلم ، ولا يجوز أن يدخلهم النّار أيضاً ، إذ ظاهراً لم يصدر منهم عمل مقتضى للنار، ولوأدخلهم النّار لصارت لهم الحجة على اللهّ سبحانه وهذا باطل ، ولا يشك أحد في قبح هذا العمل .

وأيضاً لوخلق اللهّ سبحانه كل الخلق عاصين ، بحيث تكون المعصية ذاتية لهم ، للزم منه أمران.

الأمر الأول : عدم كونهم عصاة ، لأن المعصية إذا تمكن المكلف من الطاعة ولم يطع ، وإّما إذا لم يتمكن من غير المعصية ، ولم يقدر على غيرها ، وعصى فلا يستحق النّار ولا يصدق عليه أنه عاصي ، إذ ليس المعصية باختياره ، وأما لو كان خلقهم باختيارهم ، لاختار جمع منهم الإيمان ألبته ، وتبرؤا من الكفر ، فكيف يدخلهم في النّار وذاتهم طيبة طاهرة ؟

ولا يدخلهم الجنة أيضاً ، لأن دخول الجنة بمقتضى العمل ، ولم يعمل هذا المجبور على المعصية عمل أهل الجنة ، ويمكن له أن يحتج على اللهّ سبحانه ويقول : كيف تدخلني النّار وأنا ذاتي طيبة ؟ و لو لا جبرك لي على المعصية لقبلت الإيمان ، وتدخل من أجبرته على الطاعة الجنة وذاته خبيثة ، إذ لو لا جبرك إياه على الإيمان لقبل الكفر .

الأمر الثّاني : لزوم البخل ، إذ منع عنه الخير وهو الإيمان بدون أمر وعمل مقتضى للمنع ، ولايبخل إلاّ دني الطبع ، أو محتاج فقير ، واللهّ سبحانه أجل وأكرم من ذلك .

وأيضاً لزم في صورة الجبر على الطاعة أو المعصية بطلان إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وتكليف الخلق بالطاعة ، ونهيهم عن المعصية ، وتخويفهم من العذاب ، وبشارتهم بالنعم والثّواب ، إذ لو جبرهم بالطاعة والإيمان لكان تكليفهم بالإيمان عبثاً ، لأنه ليس فيه استعداد قبول خلاف الإيمان ، فتكليف الإيمان ثانياً لإرسال الرسل ، وإنزال الكتب لامعنى له، وأيضاً لزم أن يكون التكليف أصلاً باطلاً ، إذ التكليف يصح لمن كان له جهتان ، ويظهر التكليف بقبوله إحداهما ، وأما إذا لم يكن له إلاجهة واحدة ، فكيف يتصور التكليف هنا ؟ أما في صورة الجبر على الكفر و المعصية ، فتكليفه بالإيمان الّذي ليس في قوته بوجه تكليف باطل ومحال ، كتكليف المولى عبده الأسود أن يكون أبيضاً أو بالعكس ، ثمّ يعذبه لأجل أنه لم يكن أبيضاً أو أسوداً ، وتكليف الإنسان بالطيران وأمثاله ، وقبح هذه التكاليف لايخفى على أحد .

وأيضاً لو جبر بعض الخلق على الطاعة ، وبعضهم على المعصية ، يعني خلق بعضاً مؤمناً مجبوراً ، وبعضاً كافراً مجبوراً ، لزم الترجيح بلا مرجح ، إذ بلا سبب وجهة جعل البعض عزيزاً والبعض ذليلاً ، وليس هذا شأن الحكيم .

ويلزم أيضاً لو جبر اللهّ الناس على الطاعة والمعصية ، لما بقي للطائع مدح ولا للعاصي ذم ، بل ينعكس الأمر ويكون الذّم للمطيع والمدح للعاصي ، إذ معنى الجبر هو إعطاء الشّخص ما لايريده ، ولو أعطاه ما يريده لما كان جبراً ، فالطّائع بالإجبار لو خلى وطبعه لما أطاع بل عصى ، والعاصي بالإجبار لو خلى وطبعه لما عصى بل أطاع ، لأنه يريد الطاعة وأجبر على خلافها، فيكون الذم للطائع ، لأنه عاصي بالذّات وطاعته عرضي جبري ، والمدح للعاصي، لأنه مطيع بالذّات ، لو لم يجبر لما عصى بل أطاع ، فعصيانه عرضي جبري ، أما ترى أنه لو أجبر واحد على الصّلاة فصلى لما عد طائعاً ، أو على الزنا فزني لما عد عاصياً ،بل هو مطيع ، إذ لو خلى وطبعه لما زنى.

فالمستحق للمدح هو الطائع بالذّات لا بالجبر والعرض ، وكذا المستحق للذم ، وهذا معنى قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((لو كان كذلك لكان المحسن أولى بالإساءة من المسيء ، والمسيء أولى بالاحسان من المحسن))[1] .

فثبت أن اللهّ تعالى لم يجبر أحداً على أمر من الأمور ، وأن قول المعتزلة : بأن اللهّ جبر الخلق في أعمالهم ، وليس لهم فعل إلاّ فعل اللهّ سبحانه ، قول باطل خلاف مذهب الحق .

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام (إنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب ، والأمر والنهي ، والزجر من الله ، وسقط معنى الوعد والوعيد ، فلم تكن لائمة للمذنب ، ولامحمدة للمحسن ، ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن ، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب ، تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان ، وخصماء الرحمن ، وقدرية هذه الأمة ومجوسها) الكافي للشيخ الكليني ١ / ١٥٥ ، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٨٠ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ١٢٨

الفصل السّادس

{ في اختيار الخلائق للتكليف }

الفصل السّادس

{في اختيار الخلائق للتكليف}

خلاصة الاستدلال ، ونتيجة المقال ، أنه لاشك ولاريب أن الموجودات كلا وطراً لم يكونوا مخلوقين ، فخلقهم اللهّ بإيجاده ، وهذا الإيجاد لايخلو من صور أربع : الجبر كلا على الطاعة ، والجبر كلا على المعصية ، وجبر بعض على الطاعة ، وبعض على المعصية ، أو خلقهم بمقتضى قبولهم .

فالشق الأول باطل بالدليل السّابق ، والشق الثّاني أيضاً باطل للزوم البخل كما ذكرنا ، والشق الثّالث أيضاً باطل لترجيح بلا مرجح ، فلم يبقى إلاّ الشق الرابع الّذي هو مقتضى الحكمه والعدل، والرحمة ، والرأفة ، وشأن الحكيم وهو خلق الموجودات بطور رضاهم ، وطلب صلاح أنفسهم واختيارهم ، حتى لايكون لأحد على اللهّ حجة ، ولا يقول لِمَ خلقتني كذا وكذا ، وهذا معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام : ((لو كشف لكم الغطاء لما اخترتم إلاّ الواقع))[1] .

إذا عرفت ما ذكرنا نقول بعبارة واضحة ، وبيانات لائحة ، أن اللهّ سبحانه خلق جميع الموجودات والمخلوقات أولاً في عالم الّذر ، بكمال الشعور والاختيار ، في حالة لم يكونوا

---

١. البحار للشيخ المجلسي ٤٠ / ١٥٣ ، الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ١٣٧ ، حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ٢ / ٦٢

محكومين بحكم الكفر ولا الإيمان ، كما ذكر اللهّ في كتابه العزيز ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ﴾[1]. أي بسبب التكليف ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

وبيانه أن اللهّ سبحانه لما خلق الخلائق في عالم الذّر ، الّذي هو قبل هذا العالم ، وأوسع منه بسبعين ألف مرتبة ، فكلّفهم بقوله : ألست بربكم ، ومحمد نبيكم ، و علي و ليكم و إمامكم ، والأئمة من ولده أولياؤكم وأئمتكم[2] ؟

فانقسموا ثلاثة على أقسام :

قسم منهم بالإخلاص والمعرفة والبصيرة والإيمان ، قالوا : بلى آمنا وصدّقنا بما أنزلت من أوامرك ونواهيك.

وقسم بمعرفة منهم وبصيرة ، عاندوا ونافقوا وأنكروا وقالوا : نعم لست بربنا ، وليس محمد المصطفى بنبينا ، وعلي بن أبي طالب بإمامنا والحاكم علينا وولينا ، وكذا أولاده .

فتبع القسم الأول جماعة في الإيمان والتصديق والإقرار ، لكن الأولين سبقوا التّابعين لهم وقال اللهّ سبحانه في حقهم ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي

---

١. سورة يونس آية (١٩)

٢. عن زرارة بن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن تبارك وتعالى حيث خلق الخلق ، خلق ماءا عذبا ، وماءا مالحا أجاجا، فامتزج الماءان ، فأخذ طينا من أديم الأرض ، فعركه عركا شديدا ، فقال لاصحاب اليمين ، وهم فيهم كالذر ، يدبون إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال ، يدبون إلى النار ولا أبالي ، ثم قال ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين ، قال ثم أخذ المثاق على النبيين ، فقال ألست بربكم ؟ ثم قال : وأن هذا محمد رسول الله ، وأن هذا علي أميرالمؤمنين قالوا بلى ؛ فثبتت لهم النبوة ، وأخذ المثاق على أولو العزم ، ألا إني ربكم ، ومحمد رسولي ، وعلي أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاة أمري ، وخزان علمي ، أن المهدي أنتصر به لديني ، واظهر به دولتي، وانتقم به من أعدائي ، واعبد به طوعا وكرها ، قالوا أقررنا ، وشهدنا يارب) الكافي للشيخ الكليني ٢ / ٨ ، بصائر الدرجات للشيخ محمد الصفار ٩٠

جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[1] . لأن إقرارهم بالاصالة ، وقال في حق التابعين الّذين هم أصحاب اليمين ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴾[2]. فهم شيعة الأولين ، لمشايعتهم ومتابعتهم لهم في الإقرار .

وتبع القسم الثّاني في الإنكار والعناد بمعرفة وبصيرة أيضاً جماعة ، وهم أهل الشّمال ، الّذين ذكرهم اللهّ في كتابه ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾[3] .

القسم الثّالث وهم المستضعفون أقروا لاعن بصيرة ومعرفة ، بل عن جهل وعدم إدراك ، ولم يعرفوا أنفسهم لمن تبعوا ، ومتبوعهم من هو ، والحق أي واحد من القسمين ، والباطل أي واحد منهما .

الحاصل فخلق اللهّ سبحانه طينة القسم الأول وهم الأولون ، من أعلى عليين وأصل الجنة ، وطينة تابعهم من الطينة المخزونة المكنونة ، أنزل من طينة متبوعهم بسبعين مرتبة ، في مقام التابعية مثلاً : خلق طينة المتبوعين الأولين من جرم وقرص الشمس ، وطينة تابعهم من شعاع الشمس ونورها ، ولذا سموا بالشيعة ، لأنهم خلقوا من شعاع نور متبوعيهم ، وخلق في كل من التابع والمتبوع بحسب قابليتهم واستعدادهم نور الإيمان ، وشرح قلوبهم للإسلام ،

١. سورة الواقعة آية (١٠ – ١٢)
٢. سورة الواقعة آية (٢٧ – ٤٤)
٣. سورة الواقعة آية (٤١ – ٤٤)

وأطلعهم على الحقائق والأسرار ، وقال في حقهم خالقهم(هم للجنة ولا أبالي)١ وهذا كله لإيمانهم وإطاعتهم وقبولهم أوامر ربهم ونواهيه ، وإلاّ فليس للهّ قرابة مع أحد .

وخلق طينة المنكرين ، وأعداءه الأولين ، من سجين وأسفل السّافلين ، وخلق فيهم الظلمة ، والسواد ، والجهالة ، وعدم المعرفة ، والشيطنة ، والحمق ، والسفاهة وكل خباثة ، كما قال اللهّ تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾٢ وقال أيضاً ﴿ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾٣ .

وخلق تابعي هذا القسم أيضاً من سجين ، لكن أنزل من طينة متبوعيهم بسبعين مرتبة، فكل ما جرى في المتبوعين يجري في التابعين ، لكن بالتبعية ، وفي المتبوعين بالأصالة .

والقسم الثّالث : وهم المستضعفون ، فليس لهم حكم من الإيمان والكفر ، بل أمرهم معوق إلى نزولهم إلى الدنيا ، وقبولهم وإنكارهم ، فهاهنا يحكم عليهم بالإيمان والكفر ، فإن جهلوا هنا أيضاً ، تعوق أمرهم إلى يوم القيامة ، ويكلفون هناك ، ثم يحكم عليهم بالكفر والإيمان ، فخلق في هذا العالم وهو عالم الشّهادة الخلق ثانياً ، وجدد تكليفهم حتى يظهر إيمان الّذين آمنوا في عالم الذّر ، وكفر من كفر فيه ، كما قال اللهّ سبحانه ﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُ ﴾٤. فما ذكرنا كله ، حقيقة بيان هذه المراتب المذكورة ، على ما بينه

---

١. المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١ / ٢٨٢ ، شرح الأسماء الحسنى لملا هادي السبزواري ١ ٣٨

٢. سورة البقرة آية (٧)

٣. سورة الأعراف آية (١٧٩)

٤. سورة الأعراف آية (٩٩)

لنا أئمتنا صلوات اللهّ عليهم ، وكتب الأخبار مشحونة بذلك مفصلا ، ونحن اختصرناه خوفاً من التطويل ، ويجب على العام والخاص الاعتقاد والإيمان بما ذكرناه.

ولما كان لكل ظاهر باطن ، وكل قشر لب ، وكل صورة ولفظ معنى ، أردت أن أشير إلى بعض بواطن هذه الظواهر ، المستنبطة من أنوار آثار أهل بيت العصمة والطهارة ‘ بحيث لا تكون مخالفة للظواهر ، حتى ينتفع منه الخواص من أهل العلم والمعرفة ، ويكون لهم أيضاً حظ وافر من هذا المختصر ، ويكون مطلوباً للقسمين العام والخاص .

الفصل السابع

{ الماهيات مخلوقة }

الفصل السابع

{ الماهيات مخلوقة }

لماأثبتنا اللهّ لم يجبر الخلق في خلقهم ، بل إنما خلقهم بمقتضى قابلياتهم ، فنقول حينئذ: إن هذه القابليات الّتي يعبر عنها مرة بالحقائق ، ومرة بالماهيات ، هل هي موجودة غير مجعولة؟ أي قديمة غير مخلوقة ، تطلب من اللهّ سبحانه ما هو ذاتيها من الشّقاوة والسّعادة ، ويفيض اللهّ عليها الوجود ، أو هي مجعولة أي مخلوقة حادثة ؟ وفي الصّورة الثّانية ، هل هي مخلوقة قبل خلق الوجود ، أو بعده ، أو حينه ؟

أمّا الصّوفية فقالوا : بالقسم الأول أي أنّها : موجودة قديمة غير مجعولة ، إذ بعدما أثبتوا بطلان الجبر ، وذكروا أن اللهّ لم يخلق الخلايق بطريق الإكراه والإجبار ، بل خلقهم بمقتضى قابلياتهم ، قالوا : لايجوز أن تكون تلك القابليات معدومة فيوجدها ، ثم يعطيها ما تطلب وتريد ، إذ المعدوم ليس بشيء ، فكيف يقبل الوجود ؟ فلابد أن تكون ثابتة ، حتى تكون قابلة للطلب ، ولما لم يجدوا لها مكان تستقر فيه ، ولايجوز أن يكون مكان هذه الحقايق غير مجعول في الإمكان ، وإلا لزم حدوثها ، أي لم يكن ثم كان ، والحال أنها عندهم كانت أزلاً وأبداً ، ولم يكن غير الإمكان إلاّ الأزل ، فقالوا : إن مكان تلك الحقايق والقابليات هو الأزل ، أي الماهيات أزلية ، ولما رأوا أن الأزل ليس ظرفاً ، ومكاناً وفضاء وسيعاً حتى يشمل كل أحد، مع أن الأزل هوعين ذات الواجب ، وإلاّ لزم أن يكون للواجب مكاناً ، ولزم الافتقار .

لم يكن لهم بد من أن يقولوا : إن الماهيات عين الواجب ، واستدلوا بأن اللهّ في مرتبة ذاته عالم ، والعلم لايكون إلاّ أن يكون هناك معلوم ، وإلاّ لزم الجهل ، فتلك الأعيان والحقايق هي المعلومات ، ولا يلزم التكّثر والتّعدد هناك ، إذ هي تحت ذات الواجب مندمجة ، ومندرجة بطور البساطة والوحدة ، لا بطريق التّكثر الموجب لتعدد القدماء ، أو التركيب ، لأن الكثرات هناك إن كانت أجزاء الذّات ، لزم التركيب ، وإلاّ لزم تعدد القدماء .

الحاصل فطلبت تلك الأعيان والحقايق الثّابتة في الذّات الوجود ، فأعطاهم الله سبحانه ذلك ، وقبلوا حظهم ونصيبهم من الوجود ، من السّعادة والشّقاوة ، فالقوابل والماهيات ليست أشياء مجعولة أي مخلوقة ، بل هي موجودة قديمة ، ثابتة أزلية [١] .

وهذا مذهب فاسد ، واعتقاد كاسد ، والقائل به كافر ، إذ لو قلنا بأن حقايق الأشياء موجودة في مرتبة ذات الواجب ، فان كانت عين الذّات فليس هناك شيء غير الذّات ، وليس

---

١. قا ل الملا محسن الفيض الكاشاني في كتاب الكلمات المكنونة (قا ل أهل المعرفة : حقئق الأشياء عبارة عن تعينات وجود الحق ، وتميزاته في مرتبة العلم ، ومنشأ تلك التعينات و التميزات ، خصوصيات الشؤن الذاتية التي هي نسب وأعتبارات مستجنة في غيب الذات ، مندرجة فيه اندراج اللوازم في الملزومات ، كاندراج النصفية والثلثية مثلاً في الواحد العددي ، قبل أن يصير جزء الاثنين والثلاثة ، لا اندراج الأجزاء في الكل عقلية كانت أو خارجية ، ولا اندراج المظروف في الظرف، فالوجود يتجلى بصفة من الصفات ، فيتعين ويتميز عن الوجود المتجلي بصفة آخرى ، فيصير حقيقة ما من الحقائق الأسمائية ، وصورة تلك الحقيقة في علم الحق هي المسماة بالماهية والعين الثابت.

وأن شئت قلت : تلك الحقيقة هي الماهية فإنه أيضاً صحيح ، فالأعيان الثابتة هي الصور الأسمائية المتعينة في الحضرة العلمية ، وتلك الصور فائضة من الذات الإلهية بالفيض الأقدس ، واليجلي الأول بواسطة الحب الذاتي المشار إليه بقوله سبحانه (فأحببت أن أعرف) وطلب مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو ظهورها وكمالها ، ثم تحصل تلك الأعيان في الخارج ، مع لوازمها وتوبعها بالفيض المقدس ، فهي من وجه عين الوجود ، ومن وجه غيره كالاسم والصفة .

وهذه الصور المتميزة للأسماء في علم الحق على وجه الحقيقة عين الحق وهي بوجه عين الأعيان ، فهي بالنسبة إلى الأسماء أبدان ، وبالنسبة إلى الأعيان الخارجية أرواح ، وواسطة في إيصال فيض الحق للأعيان الخارجة) الكلمات المكنونة ٣٧

عزيزي القارئ هل هذه الكلمات توافق الشرع أم .... ؟

هناك أيضاً معلوم ، بل الموجود هو الذّات ، وهوالعالم وهو غير المعلوم ، نعم يكون العالم عين المعلوم ، إذا كان علمه بنفسه وذاته فقط .

وأما علمه بغير ذاته فهو غيرها البتة ، فإن قالوا : " إنها عين الذّات بلا تكثر واختلاف، فلا تكون هناك معلومات حتى تطلب الوجود " وذات الواجب هوالوجود ، وهو لايحتاج إلى وجود على حدة .

وكيف تطلب الحقايق السّعادة والشّقاوة ، والحال أن الواجب تعالى لا يخرج منه شيء، ولا يدخل فيه شيء ، فان قلت : إن الحقايق والماهيات خارجة من الذّات ، موجودة في رتبتها ، قلت : يلزم تعدد القدماء ، ووجود شيء غير الذّات الواجب في مرتبة القديم ، وهو خلاف ما قاله الإمام عليه السلام ((كان اللّه ولم يكن معه شيء))[١] ولزم أيضاً أن تكون حقايق جميع الموجودات قديمة ، وتكون أرباباً وآلهة غير ذات الواجب ، بحيث لا تكون لذات الواجب اختيار وتسلط عليهم ، ولا تتمكن من منعهم وقلب حقايقهم ، وكيف يتمكن من ذلك وهو لم يخلقهم ؟

ومعنى الإيجاد عند الصّوفية ، هو إظهار الأشياء ، لا إيجاد الأمور المعدومة ، وإلا لزم اتصاف الشيء بنقيضه وهو باطل ، فلا بد أن تكون الأمور أزلية وأبدية ، ولذا سلبوا الاختيار عن الواجب تعالى ، وقالوا بأنه ليس له إلا جهة واحدة ، كما قال ملا محسن الفيض في الكلمات المكنونة والوافي ((فان الاختيار في حق الواجب تعارضه وحدانية المشية)) ، وقال فيهما أيضاً

١. الفصول المهمة في أصول الإئمة للحر العاملي ١/١٥٤ ، البحار للشيخ المجلسي ٥٤/٢٤٣ ،الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (كان الله وام يكن معه شئ) .

((المشية نسبة تابعة للعلم ، والعلم نسبة تابعة للمعلوم ، والمعلوم أنت وأحوالك)) [١] انظر إلى هذه الكلمات وأمثالها كيف يتكلّمون في ذات الواجب ، وأحاطوا بها ، وأخبروا عن شيء لا يعلمونه ، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علواً كبيراً .

ونحن نقول مختصراً في إبطال هذه المقالات ، وتزييف هذه الخيالات ، إن هذه الحقايق والماهيات هل هي في رتبة الخلق ، أو في مرتبة الواجب لاثالث بينهما ؟

إن قلت إنها في مرتبة الخلق ، قلنا إن كل مخلوق حادث بالبداهة ، فلم تقولون بقدمها؟ وإن قلت إنها في مرتبة الذّات ، قلنا : إن الذّات لاتدرك بوجه كما تعترف به أنت أيضاً ، ومحال وممتنع معرفتها ، فما هذه الخرافات ، الّتي لا تتفوه بها السّفهاء فضلاً عن العقلاء ! وإن قلت إنك عرفت الذّات بالآثار ، قلنا إن معرفة الآثار لا توصل إلى هذه المرتبة من معرفة الذّات ، لأنك إذا رأيت سريراً ، استدللت بذلك على وجود النّجار ، ولا يدلك على كيفيته وكميته وكينونته ، فنستدل بالسرير على وجود النّجار ، وعلمه بهذه الصّنعة ، وحكمته في هذا العمل ، وحياته حال صنعه وقدرته ، وأمثال هذه الأوصاف ، ولا يمكنك أن تستدلل به على كيفية هذه الأوصاف ، مثلاً : بأن علم النّجار هل هو حصولي أو حضوري أو انكشافي أو عين المعلوم ؟ وأمثالها ، وعلى جميع صفات النّجار وأحواله ، فربما يكون عالماً أيضاً ، وخياطاً ، وصائغاً ، وسيّافاً ونحوها ، فالآثار لا تدل على جميع أحوال المؤثر وصفاته وكيفياتها وكمياتها ، بل تدل على وجود المؤثر من حيث التّأثير ، فهذه مجرد إثبات ، بلا معرفة كيفيته وكميته ، فالآثار لا

---

١. وهذان القولان مأخوذان من ابن عربي في الفتوحات المكية حيث قال (أما العلم بكونه مختارا ، يعارضه أحدية المشيئة ، فنسبته إلى الخلق أذا وصف به ، إنما ذلك من حيث ما هو الممكن عليه ، لا من حيث ما هو الحق عليه) ١ / ١٦٣ ، وفي كتاب فصوص الحكم حيث قال (فمشيئته أحدية التعلق ، وهي نسبة تابعة للعلم ، والعم نسبة تابعة للمعلوم ، والمعلوم أنت وأحوالك ، فليس للعلم أثر في المعلوم ، بل للمعلم أثر في العا لم ، فيعطيه من نفسه ما هو عليه في عينه) شرح فصوص الحكم لمحمد القيصري ٥٩٠

توصلك إلى حقيقة ذات المؤثر أبداً ، فإذا لم تر النّجار ولا تعرف حقيقته ، لا تدرك بمجرد هذا السّرير والصّنعة ، أنه بسيط ، أو مركب ، أو واحد ، أو أحد ، أو أن وحدته بأي كيفية ، أو بساطته بأي درجة ومرتبة .

فظهر أنك لا تتمكن أن تستدل بالآثار على ثبوت هذه الأمور للواجب تعالى ، نعم تدلك على معرفة وجوده فقط .

وأمّا نحن فنقول : إن اللهّ بسيط ، لأن التّركيب صفة الممكن ، وصفة الممكن ممكن بالطريق الأولى ، وهو سبحانه منزّه ومبرء عن هذه الصّفة ، وأيضاً التّركيب مستلزم للاحتياج، والواجب ليس بمحتاج ، وأما كيفية البساطة من أن الأمور مندمجة فيها أولا ؟ فلا نعلمها بوجه من الوجوه ، ومن ادعى ذلك يلقم حجراً ، حيث تجرأ على اللهّ سبحانه ، وقال بما لم يقله هو ، ورسوله ، وأولياؤه صلوات اللهّ عليهم أجمعين .

الحاصل فهذا المذهب والاعتقاد باطل بإجماع أهل بيت العصمة والطهارة ، وأما ما قالوا : إن العلم لايكون بلا معلوم ، وهونسبة إلى المعلوم وتابعه له فغلط صرف ، إذ العلم عندنا أي علمنا ، كما قالوا لايكون بدون المعلوم ، وأما علم الواجب تعالى شأنه عين ذاته ، والوجوب مخالف للإمكان من كل جهة ، فلو كان علمه تعالى لا يكون بدون معلوم أيضاً ، فلا فرق بيننا وبينه وهو الكفر الصّريح .

فعلمه عين ذاته ، وذاته لا تستدعي شيئاً ، ولا تقتضي أمراً بالدليل السّابق ، فاللهّ عالم ولامعلوم أبداً هناك ، وقادر بلا مقدور وأمثالها ، وصرح بذلك أمير المؤمنين والأئمة الطّاهرون ، في أصول الكافي يروي ثقة الإسلام الشّيخ الكليني عن الإمام الصّادق عليه السلام قال

(لم يزل اللّه عزّ وجلّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ، والسّمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مبصر ، والقدرة ذاته ولا مقدور)[١] الحديث وأمثاله من الرّوايات كثيرة ، ومن نظر إلى الكافي والتّوحيد والوافي وعيون أخبار الإمام الرّضا عليه السلام تبين له الأمر ، وانكشف له المطلوب .

فظهر أن اللهّ سبحانه عالم وليس في رتبة الذّات معلوم قط ، وحقايق الأشياء معلومة له سبحانه ، لكن لا يلزم منها أن تكون في رتبة الذّات ، بل هي موجودة ومعلومة في المراتب الإمكانية ، بطور الإمكان لابطور الأعيان ، وكلها حادثة ومخلوقة له سبحانه ، وليس قديم إلاّ الواجب تعالى .

ولما ثبت بطلان القول بقدم الحقايق والماهيات ، ثبت المذهب الثّاني ، وهو القول بحدوثها ، وهو المذهب الصّحيح ، والحق الصّريح .

---

١. الكافي للشيخ الكليني ١ / ١٠٧ ، التوحيد للشيخ الصدوق ١٣٩ ، البحار للشيخ المجلسي ٤ / ٦٨

الفصل الثّامن

{ كل ممكن زوج تركيبي }

الفصل الثّامن

{كل ممكن زوج تركيبي }

كل شيء مركب من شيئين ، بعبارة أخرى : كل ممكن زوج تركيبي من قابل ومقبول، والمراد من القابل هو الهيئة والصّورة ، والمقبول هو المادة ، فالهيئة تعرض المادة وتعينها في صورة معينة ، وتخرجها من الإطلاق إلى التقييد ، وتكون هي القابلة للمادة ، كالسرير مركب من الخشب ، الّذي هو المادة والمقبول ، والصّورة الّتي هي القابلة للمادة المخصوصة ، وهو عند قطع النّظر عن هذه الهيئة ليس بسرير ، بل مادة وخشب ، صالح للباب والصّنم والضريح وغيرها ، فإذا صورته بإحدى هذه الصّور كالسرير مثلاً تعين له ، فلا يصلح لغيره ما دام هو على هذه الصّورة ، فإذا سلبت عنه هذه الصّورة رجع على الحالة الأوّلية الأصليّة ،ولاشك أن المادة المخصوصة للسرير قبل تصورها بهذه الهيئة والصّورة ما كانت موجودة ، وكذا الهيئة المخصوصة قبل هذه المادة ما كانت موجودة ، فالمادة المخصوصة الشّخصيّة والهيئة المخصوصة الشّخصية وجدتا معاً في زمان واحد ، نعم المادة الكليّة النّوعية والهيئة الكليّة النّوعية كانتا موجودتين من قبل ولكن وجدتا معاً أيضاً ، ليس لأحدهما من دون الأخرى وجود أيضاً كالشّخصية ، فلا يمكن أن يوجد الشيء في الخارج إلاّ بالهيئة والصّورة ، إذ لايحصل الامتياز بين الأشياء إلاّ بها ، كالإنسان بما هو إنسان لا يوجد في الخارج إلاّ أن يكون شخصاً مقيداً بالهيئة والصّورة المخصوصة ، كزيد وعمر وبكر مثلاً .

وكـذا الهيئـة والصـورة لاتوجـد إلاّ بالمـادة بالبداهـة ، فالمـادة موقوفـة عـلى الصّـورة والصّورة موقوفة على المادة ، ولا دور هنا إذ الصّورة موقوفـة عـلى المـادة في البقـاء والوجـود ، والمادة موقوفة على الصّـورة في التّصـور والظهـور والتّشـكل ، فلـو لم يكـن التّوقـف مـن جهـة واحدة فلا دور كما هنا ، والدور المحال هو ما كان التّوقف في جهة واحدة ، مثل أن [الألف] موقوف على [باء] و [ب] موقوف على [الألف] في الجهة الّتي [ألف] موقوف عليه ، وأمّا إذا كان [الألف] موقوفاً على [ب] في الظهور ، و [ب] موقوفاً على الألف في الوجود ، فلا يكون دوراً وان وجدا معاً ، كالأبوة والبنوة ، فلا تكون الأبوة إلاّ بالابن ، والبنوة إلاّ بالأب ، فإذا توقف الشيء على أمر موقوف على الشيء بمرتبـة واحـدة فهـو مصرح ، أو مـرتبتين فهـو مضمر وكلاهما محال ، وأما الدور المعي المعبر عنه بالمتساوقين والمتضايفين فلـيس بمحـال ، و المادة و الصّورة من هذا القبيل .

إذا عرفت هذا ظهر لك أن القابل والمقبول يوجدان معاً ، لاتقدم لأحدهما على الآخر، ولاتأخر في الوجود الخارجي ، وإن كان المقبول في الذّات ورتبته مقدماً عـلى القابـل ، فـالقول بأن القابليات قبل الموجودات ، أو الموجودات قبل القابليات ، قول باطل واعتقاد عاطل .

فثبت أن القابليات التي هي حدود وهيئات للمقبولات مخلوقة وحادثة ، والقابليـات والمقبـولات تكونـان شـيئاً واحـداً في الظهـور والوجـود ، لاتقـدم بيـنهما ولاتـأخر إلاّ بالـذات والعرض ، كالكسر والانكسار ، فالكسر لايظهر إلاّ بالانكسار ، وهو لايوجـد إلاّ بالكسر ، والانكسار قائم بالكسر قيام صدور وتحقق ، والكسر قائم بالانكسار قيام ظهور .

الفصل التّاسع

{ كيفية خلق الموجودات }

الفصل التّاسع

{كيفية خلق الموجودات }

اعلم أن نسبة الفاعل والموجد إلى جميع المفعولات والموجودات على حد سواء ، فلم يجعل الحسن حسناً ولاالقبيح قبيحاً بلا سبب وداع وباعث ، وإلاّ لزم التّرجيح بلا مرجح وهو باطل ، فنسبته إلى جميع مفعولاته على حد سواء ، ونسق واحد ، واختلاف المفعولات إنما هو باعتبار الحدود والهيئات الحاصلة حين الفعل ، كالشمس والسّراج فان نسبتها إلى الأشعة نسبة واحدة ، لكنها لما صدرت منهما وانبثت وانتشرت اختلفت ، بعض منها بعيد من السّراج منتهى البعد ، وبعض منها قريب نهاية القرب ، وبعض منها متوسط ، فنسبة السّراج إليها حيث إنه الفاعل متساوية ، والاختلاف من نفس الأشعة ، لكن بالسّراج لأن وجودها وقوامها بالسراج ، لو لم يكن لما كان لها وجود وقوام .

فالشّعاع الّذي هو واقع في منتهاه ، ليس له حجة على السّراج ، بأنه لم أقمتني في هذا المحل البعيد ؟ إذ له أن يجيب ويقول : إني ما أقمتك في هذا المحل والمكان إلاّ باختيارك ، وطلبك وليس بيني وبينك غضاضة ، ونسبتي إليك وإلى ساير الأشعة متساوية ، إنما أقمت كلا من أشعتي في المحل الّذي طلبه وتمناه مني ، وعملت بما سأله مني واختاره بمقتضى إرادته، فالشّعاع القريب طلب القرب فأجبته ، وأنت طلبت البعد فأجبتك أيضاً ، وماظلمها ولكن أنفسها تظلم باعتبار القرب والبعد ، فالنور الصّادر من السّراج والمنبث والمنبسط هو المادة

للأشعة ، والمقبول وتلك الحدود والهيئات والتعينات التي تمتاز الأشعة بعضها من بعض بها هي الصّورة والقابلية ، التي تعين ذلك النور في حد خاص ومحل مخصوص ، وكل من الأشعة لايتعدى مرتبته ومحله ، ولا دخل له في مرتبة الآخر ، فالبعيد بعيد دائماً ، والقريب قريب دائماً .

إن قلت إن الأمر إن كان كما ذكرت فلا معنى للتكليف ، لأن البعيد لايمكنه أن يكون قريباً ، فالإجابة في حقه كانت محالاً ، والقريب لايمكن أن يكون بعيداً ، فالإنكار في حقه كان محالاً.

قلت : ليس التّكليف من أجل أن يخرج كل من مرتبته ، ويطلب السّافل مثلاً مرتبة العالي ويخلي مرتبته ، بل مرتبة كل هي الّتي قبلها في أول إيجاده ولايتعداها ، وإنما كلف كل في مرتبته و بحسب رتبته ، بالإطاعة لأوامر اللهّ سبحانه ونواهيه ، وبإطاعته تزيد قابليته ويكون نورانياً ، ومحلاً للفيوضات الربّانية والفوائد السّبحانية ، فيكون من العالين والمقربين وهو في مرتبته.

أوما ينظر إلى أشعة السّراج الّتي هي في آخر مراتب الأشعة ، الّتي وراؤها الظلمة إذا جعلت مكانها صيقلياً وصافياً ، أو تجعل فيه مرآتاً يزداد نوره ، وربما يظهر فيه مثال السّراج أيضاً وهو في أسفل مراتب الأشعة ، وإلى الأشعة القريبة للسراج بحيث لا أقرب منها إليه ، إذا كان مكانها كثيفاً حجراً أسوداً ، يكون ظهور النّور فيه قليلاً جداً ، بحيث يتخيل لك أن الشّعاع الّذي هو في آخر المراتب ، بسبب صيقلية مكانه ومحله وظهور مثال السّراج ، فيه أقرب إلى السّراج من هذا الشّعاع القريب إليه ، فالصقالة هي قبول التّكليف والكثافة إنكاره ، فظهر أن التّكليف له ثمرات كثيرة ، لا أنه لا معنى له .

الحاصل إذا تأملت في هذا المثال ، عرفت أن الله سبحانه خلق الخلق لإدراك الحقايق والمعارف ، وعرفت كيفية الإيجاد ، وأن القابليات والمقبولات وجدا معاً ، وأن الأشعة مطلقاً ليس لها وجود قبل إشراق السّراج ، لا القابليات ولا المقبولات ، وأن ليس شيء من الأشعة في رتبة ذات السّراج ، بل كلها مخلوقة للسراج ، وموجودة في رتبة أنفسها ، وأن حدوث الأشعة من السّراج حدوث ذاتي لاحدوث زماني ، يعني أن الأشعة دائماً في مراتب الحدوث موجودة ، ولم يفقد السّراج خلقه وأشعته أبداً ، لا أن السّراج يكون وقتاً من الأوقات ولايكون له أشعة أبداً .

وأن السّراج خلق الأشعة لا من شيء ، أما كيفية الإيجاد فلأنّك ترى للسّراج فعلاً واحداً وهو النّور السّاطع المنبسط ، وليس فيه اختلاف وتفاوت أصلاً وقطعاً ، وإنما هذا الاختلاف من القرب والبعد ، باعتبار الحدود والهيئات ، وهذه الأشعة وجدت دفعة واحدة بفعل واحد ، بتقدم بعض على بعض بالذّات ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[١] بل فعله واحد ومقتضاه واحد ، والاختلاف بحسب الحدود والهيئات والقابليات ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾[٢]. ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[٣] . ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[٤]. و أمثال هذه الآيات والروايات كثيرة ، ولسان حال السّراج يقول دائماً مضمون هذه الآيات لأشعته ، وفي كل آن من الآنات يخاطبها ، بأن فعلي بالنسبة إليكم واحد ، ولا أرى

١. سورة الملك آية (٣)
٢. سورة القمر آية (٥٠)
٣. سورة لقمان آية (٢٨)
٤. سورة النساء آية (٨٢)

تفاوتاً بينكم في أصل الإيجاد ، ولكن لما أردتم الاختلاف خلقتكم مختلفين ، فالاختلاف منسوب وعائد إليكم ومنكم ، لكن قوامه وتحققه بي ومني .

وأمّا أن القابليات والمقبولات وجدا معاً ، فلأنا قلنا إن المقبول هو مادة الأشعة ، وهو فعل واحد للأشعة ، نسبته إليها على السّوية ، وقابلها الهيئة والصّورة ، التي بسببها اختلفت كل حصة من المادة وعينتها بصورة خاصة ، ولا شك أن قبل اشراق السّراج لم يكن شيء موجوداً لا المادة ولا الصّورة أي القابل والمقبول ، ولا يقال إن قابلية الأشعة هي الأرض ، إذ القابلية عين ذات الشيء ، والبداهة تحكم بأن الأرض ليست عين ذات الأشعة ، ولا جزءها ، بل بانطفاء السّراج تنطفئ الأشعة ، والأرض باقية فلا يصح أن تكون الأرض قابلية ، بل القابلية نفس الأشعة ، وهي حدود وهيئات وتعينات وتشخصات ذلك النّور ، ولاشك أن هذه الحدود لم تكن موجودة قبل ذلك النور ، بل وجدت حال وجود النّور ، وكذلك النور لم يكن موجوداً قبل الحدود والهيئات ، يعني كان النور في الخارج ثم وجدت الهيئة وطرت وعرضت ، بل وجد النور والهيئة كلاهما معاً دفعة واحدة ، بكمال الاختلاف كما مر عليك ، فالنور الذي هو المقبول يعبر عنه تارة بالوجود ، وعن الهيئة التي هي القابل بالماهية ، ومرة بالأب ، وعن الثّاني بالأم وعليه يحمل كلام الإمام عليه السلام : ((الشّقي من يشقى في بطن أمه ، والسّعيد من يسعد في بطن أمه))[1] والمراد ببطن الأم هي الصّورة والقابلية ، إذ الأشياء تختلف ويحكم عليها بحكم باعتبار الصّور ، أما ترى الخشبة قبل تصورها ليس لها حكم ، وبعدما صورتها وجعلتها ضريحاً أو صنماً تحكم بالسّعادة والشّقاوة ، وبالاحترام والتّعظيم ، والتّقبيل في الأول ، والحرمة والإهانة والحرق في الثّاني ، مع أن مادة كليهما واحدة .

١. شرح أصول الكافي للمولر محمد صالح المازندراني ١٣٢

وذكر الفقهاء أنه إن تولد من بين الكلب والغنم حيوان يشبه الكلب فهو حرام اللحم ونجس العين ، وإن شابه الغنم فهو طاهر العين وحلال اللحم ، فالشقي شقي بإنكاره وهو صورة الشّقاوة ، والسّعيد سعيد بإقراره وهو صورة السّعادة ، وأما أنه لم يكن قبل إشراق السّراج شيء من الأشعة موجوداً ، لا القابليات ولا المقبولات فظاهر بين لايحتاج إلى البيان ، وأما أن الأشعة ليس شيء منها في مرتبة السّراج فظاهر أيضاً ، إذ الأشعة آثار ومعلومات السّراج ، والأثر لايكون أبداً في مرتبة المؤثر ، وإلاّ لكان المؤثر بدون الأثر وهذا خلف .

وأما ما قاله الصّوفية والحكماء : من أن السّافل لابد أن يكون في مرتبة العالي بنحو أشرف ، إذ المعطي للشيء ليس فاقداً له ، فغلط صرف وباطل محض ، إذ المعطي لابد له من القدرة الكاملة ، والعلم حتى بكمال قدرته ، ومنتهى عظمته ، يخلق الموجودات لامن شيء أي لامن مادة ، إذ لو كانت من مادة ، فالمادة إما عين الذّات المقدسة فهو ظاهر البطلان ، لأن الذّات لم يلد ولم يولد ، وأما غير الذّات ، ففي هذه الصّورة إما حادث أو قديم ، إن كان قديماً لزم تعدد القدماء ، وإن كان حادثاً فكل حادث مخلوق ، والمخلوق على كلامهم لابد له من مادة ، ننقل الكلام إلى المادة أيضاً .

ونقول : إنها إما حادثة أو قديمة ، فقلنا فيها ما قلنا إلا أن يقولوا : إن اللهّ سبحانه خلق الأشياء لامن مادة ، وهذا بقدرته التامة الكاملة ، فلا يكون شيء من السّافل في مرتبة العالي بوجه من الوجوه ، لا بنحو أشرف ولا غيره كما عرفت ، فلم يكن السّراج في مرتبة الأشعة بذاته ، ولا الأشعة في مرتبة السّراج ، فالأشعة تسير إلى طرف السّراج بلا نهاية ولاتصل إليه أبداً .

وأما أن الأشعة ليس لها اتصال بالسّراج ، ولا لها انفصال منه ، فلأن الأمرين إذا اتصلا فلا بد من مشابهة أحدهما بالآخر في الملتقى ، يعني في المكان الّذي يتلاقيان فيه ، وإلا فلا يكون الاتصال لفقدان شرطه ، فعلى هذا لابد أن يكون ملتقى كل من السّراج والأشعة كالآخر ، فان كان كذلك لزم كون السّراج بما هو سراج شعاعاً ، أو كون الشّعاع سراجاً ، والكل باطل ، فظهر أن لا اتصال بينهما .

وأما أنه لا انفصال بينهما ، فلأن الفاصل بينهما ، إما سراج أو شعاع أو غيرهما ، والثّالث باطل إذ لم يكن غيرهما بينهما ، والثّاني أيضاً باطل إذ الشّعاع إن كان متصلاً فهو أيضاً باطل كما ذكر ، وإن كان منفصلاً فهو أيضاً باطل ، إذ الفاصل أي واحد كان من الثّلاثة المذكورة يلزم التسلسل ، أو القول بعدم الانفصال ، والأول أيضاً باطل ، إذ الفاصل إما هو ذلك السّراج أو السّراج الآخر ، والثّاني باطل بالبداهة ، والأول هو عين ذلك السّراج ، فثبت أنه لاانفصال بينهما أيضاً كما قلنا .

وأما معنى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ ﴾ [١] . فاعلم أنا قد بينا سابقاً ، أن الله لم يجبر الخلائق في الإيمان والكفر ، ولم يخلق بعضهم بلا موجب ومرجح من العليين وبعضهم من سجين ، بل خلقهم بمقتضى اختيارهم وقابلياتهم واستعداداتهم ، حتى يتحقق التّكليف وهو على قسمين :

تكليف وجودي وتكليف شرعي ، ونعبر عنهما أيضاً بالشرع الوجودي ، وبالوجود الشّرعي .

---

١. سورة الأعراف آية (١٧٢)

أما التكليف الوجودي : فهو اعطاء الوجود وانبساطه على طريق ونحو قبولهم ، وتخصصهم بالهيئات والحدود والهندسات والتعينات ، كالسراج يكلف أشعته بتكليف واحد ، وهو الإنبساط الأول بفعله الذي هو النور ، يعني خلق وأحدث نوراً واحداً وبسطه ونشره ، حتى يتعين كل حصة منه بحدودها وهيئاتها ، ويتخصص بكل محل وموضع طلبته من القرب والبعد والوسط ، فيقول مثلاً السّراج لأشعته : ألست بربكم ؟ فتقول الأشعة كلها بلى ومعنى ألست بربكم : هو إفاضة النور دفعة واحدة ، ومعنى بلى هو قبول النور بحسب قابلياته ، فبعض منه يقول : بلى بقلبه ولسانه ، فيقع قريباً من السّراج ، وبعض منه يقوله بلسانه وينكره بقلبه فيقع في آخر الأشعة المخلوط بالظلمة ، وبعض تبع الأولين فصاروا من الأقربين ، وبعض تبع الآخرين فكانوا من الأبعدين ، والمتوسطات متوسطات فلك أن تقول إن أشعة السّراج على خمسة أقسام :

الأوّل : المقر بالقلب واللسان ، وهو المخلوق طينته من عليين ، الّذي هو الشّعاع القريب من السّراج ، والمخاطب بخطاب (للجنة ولا أبالي)[1] .

الثّاني : المنكر بالقلب والمقر باللسان استهزاءًا ، وهو المجيب بقوله : نعم ، ونعم إجابة المنفي ، يعني لما سئل السّراج مثلاً من أشعته بقوله : ألست بربكم ، ومحمد نبيكم ، وعلي وليكم وإمامكم ، والأئمة من ولده أولياؤكم وأئمتكم[2] .

---

١. المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١ / ٢٨٢ ، شرح الأسماء الحسنى لملا هادي السبزواري ١ ٣٨ .

٢. قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في تفسير الآية الشريفة (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) قال الإمام عليه السلام (أن تعالى أخذ الميثاق على الناس لله بالربوبية ، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة ، وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بالإمامة ، ثم قال : ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي إمامكم والأئمة الهادون أولياؤكم فقالوا بلى "

قالت الأشعة : نعم لست بربنا ، ومحمد نبينا ، وعلي ولينا وإمامنا ، والأئمة من ولده أوليائنا وأئمتنا ، فخلقت طينتهم من سجين ، وهو كمال البعد من السّراج ، وهو الظل الموجود من انعكاس النور ، ومثال (الجهل الكلي) الموجود من انعكاس (العقل الكلي) ، والمخاطب بخطاب (وللنار ولا أبالي)[1] .

الثالث : المقر بالقلب واللسان عن معرفة وبصيرة ، لكن بتبعية الأولين وهو الشعاع الذي في كمال الضياء والنورانية ، وخلق طينته أيضا من عليين ، لكن أنزل من طينة الأولين بسبعين مرتبة ، وخوطب بخطاب (للجنة ولا أبالي)[2] لكن بتبعية الأولين ايضاً .

الرابع : المنكر قلباً ولساناً عن معرفته أيضاً ، لكن بتبعية الآخرين ، وهو الشعاع المختلط بالظلمة ، بحيث لايشخص و يميز شيء عن شيء هناك ، وخلقت طينته أيضاً من سجين وأسفل السافلين ، لكن أنزل من طينة الآخرين .

فصار القسم الثالث أصحاب اليمين ، والقسم الرابع أصحاب الشمال .

الخامس : المقر لاعن معرفة وبصيرة ، وهم المستضعفون والجهال وأصحاب الأعراف ، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم .

منهم اقرار بالسان ، ومنهم تصديق بالقلب ، فقال الله عز وجل لهم (أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) فأصابهم في الذر من الحسد ما أصابهم في الدنيا ، ومن لم يصدق في الدنيا بالله وبرسوله وبالأئمة في قلبه ، وإنما أقر بلسانه، أنه لن يؤمن في الدنيا وبرسوله وبالأئمة في قلبه ، وإنما أقر بلسانه والدليل على تكذيبهم في الذر قول الله عز وجل لنبيه ﷺ (ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به) ألا إن الحجة كانت أعظم عليهم في الذر ، لأن الأمر من الله عر وجل مشافهة) مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ٢٢٧

١. المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١ / ٢٨٢ ، شرح الأسماء الحسنى لملا هادي السبزواري ١ ٣٨

٢. المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١ / ٢٨٢ شرح الأسماء الحسنى لملا هادي السبزواري ١ ٣٨

إذا عرفت هذا فاعلم أن أمر الخلق أيضاً هكذا ، فخلق الله سبحانه جميع الموجودات كل واحد منها مثالاً ودليلاً للآخر ، فكل واحد دليل ومدلول ، و في كل شيء ما في العالم كله ، ففي الذّرة ما في كل الموجودات .

فإذا تأمل الإنسان بعين البصيرة في الخلق ، وجميع ذرات العالم عرف هذا المعنى عياناً ، ولكن نحن نذكر دليلاً عقلياً في المقام ، وإثبات المرام ، حتى لايبقى لأهل الجدال جدال ، وللأفكار مجال ، فيكونون مصداقاً للآية المباركة ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾[١] .

فنقول : إنا ذكرنا سابقاً أن الحكيم لابد أن يكون فعله في كمال الأحكام ، ونهاية الإتقان ، ومن ادعى الحكمة فلا بد له من أن يضع كل شيء في محله وموضعه ، بقدر وسعه وحسب طاقته ، ولو تخلف في أمر واحد فهو علامة قصوره وعجزه وإلاّ لما تخلف ، ولاشك أن الله حكيم وعادل وليس لعلمه وقدرته غاية ولانهاية ، وإلا لزم الإمكان والحدوث والعجز ، فكل شيء عده العقل السّليم حسناً ، لا محالة أن فعله يحمل عليه ويعد حسناً أيضاً ، وإلاّ لزم إما ارتكاب القبيح مع العلم والقدرة ، و إما الجهل والعجز ، وكله في حق الواجب محال ، ولاريب أن العقل لايشك في حسن أن الله يخلق أمورا متعددة ، تكون في الظّاهر أجزاء الكل والمجموع ، وفي الباطن يكون كل واحد منها تمام المجموع والكل ، يحتوي كل واحد منها ما في الكل ، إذا نظرت وتأملت في كل واحد واحد تشاهد فيه تمام الأمر ، وفي المجموع أيضاً إذا دققت النظر تشاهد تمام الأمر ، وكلما دققت النظر أزيد رأيت انطواء الأجزاء على الكل ، وجميعها أكثر ، ولذا كان القرآن المجيد أحسن الكلام ، وأفصح اللغات احتوت كلمة واحدة

---

١. سورة يونس آية (٣٩)

منه جميع ما حواه القرآن ، وانطوت بكل ما انطوى مجموعة ، كما في الخبر المعتبر المعروف بحيث لاينكره أحد من العلماء : (إن ما في القرآن كله فهو في الحمد وما في الحمد كله في بسم اللّه وما في بسم اللّه فهو في الباء)[1] .

فانظر إلى هذا الخبر وأمثاله حتى تعلم سبب عجز الفصحاء والبلغاء من قريش وغيرهم ، عن إتيان سورة مثله ، فبوجود هذه الخصوصية ، وهذه الجهة في القرآن عجزوا مع فصاحتهم التّامة ، وبلاغتهم الكاملة عن مقابلته بسورة مختصرة صغيرة .

أما سمعت الخبر الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام ، وقال عليه السلام بعدما بين بعض أسرار حروف الصمد مامعناه : ((إن أردت استخرجت من هذا اللفظ جميع الشّرائع والسّنن والواجبات و المستحبات وجميع ما يحتاج إليه الخلق))[2] .

نعم لو أراد روحي فداه من [الألف] و [اللام] هذا اللفظ ، أن يستخرج ما ذكر لفعل بلى إن ربي على كل شيء قدير .

الحاصل إذا كان هذا النّوع مستحسناً وعده العقل حسناً ، فلا بد أن نحمل فعل اللهّ عليه ، وإلاّ لزم القبح والعجز والجهل ، ومن هنا يعلم قول الشّاعر :

---

١. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال (إن كل العلوم تندرج في الكتب الأربعة ، وعلومها في القرآن ، وعلوم القرآن في الفاتحة ، وعلوم الفاتحة في بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلومها في الباء من بسم الله) نور البراهين للسيد نعمة الله الجزائري ٢ / ٤ ، وروي عن أمير المؤمبين عليه السلام قال (جميع القرآن في سورة الحمد ، وجميع سورة الحمد في بسم الله الرحمن الرحيم ، وجميع بسم الله الرحمن الرحيم في نقطة باء بسم الله ، وأنا النقطة) الفضائل والرذائل للمظاهري ١٠٦ ، وفي رواية عن الشيخ محمد حسين الأصفهاني في مقدمة تفسير القرآن (وأنا النقطة تحتها) ومعنى الرواية موجود في كتاب مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ١ / ٢٦٩

٢- قال الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام في تفسير كلمة الصمد (لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز وجل حملة ، لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد) مسترك سفينة البحار للشيخ علي النمازي ٢ / ٣٩٨

كـل شـيء فيـه معنـى كـل شـيء

فــتفطن واصـــرف الــذهن إلـــي

كثــــرة لاتتنـــــاهى عــــــددا

قــد طوتهـا وحــدة الواحــد طــي

وفي هذا المقام خطرت ببالي شبهة ، من بعض الغافلين عن مقامات العارفين ، والحقير من جهة استحكام ماذكرنا من الأساس والبنيان ، أذكر تلك الشبهة وأتعرض لجوابها ، حتى تنغسل عن قلوبهم الادناس ، وتصفى أذهانهم عـن الأرجـاس ، وتنطبـع فيهـا صـورة حقيقـة الدعوى ، و يرتسم فيها عكس حقية المدعي وهي هذه :

إن ما ذكر من الدليل والمدعى صحيح ، إن كان سبحانه وتعـالى جـبر الموجـودات في خلقهم ، بحيث جعل كل شيء منطويا على كل شيء ، فحينئذ يفعل ما يشاء ويحكم مايريد ، لاراد لقضائه ولامانع لحكمه ، وأما إذا خلقهم بمقتضي اختيار هم وتحمل قابلياتهم كما ذكر ، فكيف يجري هذا الأمر ، إذ بعض الموجودات لضعف قابليته وقلـة اسـتعداده لايتحملـه وإلا لتساوت القابليات وهو باطل بالبديهة ، كما يظهر من استقراء حـال الوجـود ، فـلا يمكـن أن يقال إن تمام العالم في البرغوث أو البق مثلاً موجود ، وتساوي القابليات أيضاً بديهي الفساد ، فانهدم ماذكرتم من الأساس والبنيان .

والجواب أنا لم نقل أن اتحاد الانطواء وتطابقه في الكل على حد سـواء ، بـل قلنـا : إن كل شيء منطو على ما في العالم كله بحسب قابليته وتحمله واستعداده ، مـثلاً في العـالم الكبـير

فلك العرش محدد الجهات ، المحيط بالعالم الذي به يعلم ويتعين الليل والنهار ، والفوق والتحت ، واليمين والشمال ، وقدام و وراء ، وفوق ، لم يكن شيء لا خلا ولا ملاء.

وأما في الإنسان ، الذي هو العالم الصغير عرشه قلبه ، لا الفلك المحيط المذكور ، والأشجار في العالم الكبير ظاهر ، وفي الإنسان شعر جسده ، والعيون التي في العالم الكبير مختلفة ، بعضها مالحة ، وبعضها مرة ، وبعضها متعفنة ، وبعضها بلا طعم ، وفي الإنسان أيضاً عيون مختلفة ، فالمالحة ماء العين ، والمرة ماء الأذن ، والمتعفنة ماء الأنف ، وبلا طعم ماء الفم .

وفي العالم الكبير أنهار وشطوط يجري فيها المياه ، وفي الإنسان عروقه وأعضاؤه الجاري فيها الدم ، وفي العالم الكبير ثلاثمائة وست وستين يوماً ، وفي الإنسان ثلاثمائة وست وستون عرقاً ، وفي العالم الكبير أيام الأسبوع سبعة ، وفي الإنسان القوى سبعة : العقل ، والنفس ، والحواس الخمس الظاهرة أو الباطنة .

الحاصل كلما في العالم الكبير موجود في العالم الصغير وهو الإنسان ، لكن بحسب وسعه و استعداده ، مثلاً : الطبائع منها الحرارة و اليبوسة ، وفي العالم الكبير كرة النار ، ومنها الحرارة و الرطوبة ، وفي العالم كرة الهواء ، ومنها البرودة والرطوبة ، وفي العالم كرة الماء ، ومنها البرودة واليبوسة ، وفي العالم كرة الأرض ، وفي الإنسان أيضاً كذلك مثلاً:

كرة النار في الإنسان المرة الصفراء ، وفي الملائكة جبرائيل ، وفي الرياح ريح الدبور ، وفي الطيور الطاووس ، وفي الأفلاك فلك الشمس ، وفي المعادن الياقوت ، وفي الأنوار النور الأحمر ، وفي المجردات الطبيعة ، وفي الإكسير الفتى الشرقي وهو كبريت .

وكرة الهواء في الإنسان الكبد ، وفي الملائكة إسرافيل ، وفي الرياح ريح الجنوب ، وفي الطيور الديك ، وفي الافلاك فلك المشتري ، وفي المعادن الذهب ، وفي الأنوار النور الأصفر ، وفي المجردات النفس ، وفي الألوان الصفرة .

وكرة الماء في الإنسان البلغم ، وفي الملائكة ميكائيل ، وفي الرياح ريح الصبا وفي الطيور الحمامة ، وفي الأفلاك فلك القمر ، وفي المعادن الفضة ، وفي الأنوار النور الأبيض ، وفي المجردات العقل ، وفي الألوان البياض ، وفي الإكسير الفتى الغربي ، وهو ماء أشبه الأشياء بالزئبق في اللون والغلظة .

وكرة التراب والأرض في الإنسان المرة السوداء ، وفي الملائكة عزرائيل ، وفي الرياح ريح الشمال ، وفي الطيور الغراب ، وفي الأفلاك ظاهر فلك زحل ، وفي المعادن الرصاص ، وفي الأنوار النور الأسود ، الذي يقوله الصوفية ، وفي المجردات ظاهرة النفس ، وفي الألوان السواد، وفي الإكسير الأرض المقدسة .

فظهر من هذا المثال أن انطواء كل شيء على كل شيء ، لاكما يزعمه الخصم ، بل كما ذكرنا بحسب قابلية الشيء ، كما عرفت ، فلا جبر إذ هو إعطاء الشيء ماليس من سنخه وطوره وخروجه من حيز القبول ، كإعطاء فلك محدد الجهات مع عظمته وسعته للإنسان ، ووضعه فيه مع صغره وعدم وسعه وحمله ، فهذا جبر ومحال للإنسان قبوله ، وأما إعطاء الإنسان ما يمكنه قبوله ، ويشمل على خواص محدد الجهات كالقلب مثلا فقبله فلا جبر ، بل هو أمر ممدوح مستحسن ، إذ كل شيء طالب للكمال ، وكذا فلك الكرسي مع تلك الثوابت و الكواكب لايتحمله الإنسان ولا يقبله ، وأما مثاله الذي هو الصدر لكونه فيه الصور الكثيرة ، ويستمد من القلب أيضاً ، كما يستمد الكرسي من العرش فيقبله ويتحمله، وأما مثال فلك

زحل في الإنسان فهو عقله الذي مقره الدماغ ، وفلك المشتري علمه ، وفلك المريخ وهمه ، وفلك الشمس وجوده الجسماني ، وفلك الزهرة خياله ، وفلك عطارد فكره ، وفلك القمر حياته وأمثالها .

إذا عرفت ما ذكر في مادة واحد ة ، عرفت أن ساير المواد كذلك ، ولكن تعرف بعض المواد وتجهل بعضاً ، فالذي يشكل علينا في عالم الغيب ننظر إلى عالم الشهادة ، ونستدل به على العالم الغيبي ، وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام :

دوائك فيك وماتشعر ... وداءك منك وما تبصر

وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر

يعني دواء جهلك فيك وأنت لا تعلم ذلك ، اعرف نفسك و اعلم أن كل الموجودات فيك ، من الغيب والشهادة ، والبسيط والمركب ، والمجرد والمادي ، والعالي والسافل ، واللطيف والكثيف ، والشريف والوضيع ، والقوي والضعيف ، والظالم والعادل ، والصالح والطالح ، والكافر والمؤمن ، والجن والملائكة ، والعقل والجهل ، والعليين والسجين ، والسموات السبع والأرضين السبع ، والعرش والكرسي ، واللوح والقلم ، ومقام قاب قوسين ، ومقام أو أدنى ، والمعرفة والإنكار ، واليقين والشك ، والعلم والجهل والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وأحوال العالم من قبيل قيومية العالي على السّافل ، وإحاطة العالي بالسّافل ، وقوام السّافل بالعالي قيام صدور ، مثل قيام القيام بالمشخّص ، وقيام تحقق كقيام شئونات الشخص به ، وقيام ظهور كقيام ظهور الشخص بكلماته وآثاره وأفعاله ، وقيام عروض كقيام الأعراض من الألوان وغيرها بالشخص .

وكيفية ارتباط العوالم بعضها ببعض ، وكيفية التقاء عالم الغيب والشّهادة ، وكيفية صدور الكثرات عن الواحد من جميع الجهات ، وكيفية الخلق والإيجاد ، والآجال والأرزاق ، وكيفية البداء ووقوع المحو والإثبات ، ومعرفة الأركان الأربعة للشيء ، من المشية والإرادة والقدر و القضاء والإمضاء ، وكيفية التّراكيب والبساطة ، ومعنى كل ممكن زوج تركيبي ، وكيفية العلم والقدرة ، والحياة والإرادة ، والسمع والبصر والإدراك ، وكيفية معرفة اللهّ بمعرفة تامة حقيقية ، ومعرفة الصّفات الحادثة، والصّفات القديمة ، والصّفات الذّاتية ، والصّفات الفعلية ، والصّفات الكمالية ، وصفات النّقص ، ومعرفة العلم والجهل ، ومعرفة علم العلم ، وجهل الجهل ، ومعرفة العلم بالجهل ، والجهل بالعلم وغيرها .

وجميع هذه الأمور مبين في الإنسان بأتم تفصيل ، وأكمل بيان ، بالإجمال والتفصيل ، بمراتب عديدة ، نسأل اللهّ عزّ وجلّ من فضله ولطفه وكرمه أن يبصرنا ، حتّى ننظر إلى عوالمه ونجيبه إلى مادعانا إليه ، ونلتفت إلى معالجة أمراض الجهل بدوائها الّذي جعله فينا ، ولذا قال الإمام عليه السلام : ((ليس العلم في السّماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيصعد إليكم بل هو مكنون فيكم مجبول في قلوبكم تخلّقوا بأخلاق الرّوحانيين يظهر لكم)) [١] .

فاعرف ياحبيبي ما ذكرناه ، فإنه الكبريت الأحمر ، ومن مكنونات العلم ، ومخزونات السّر ، لولا تعجيل السّفر لتعرضت لبيان بعض المذكورات بأتم بيان وأوضح تبيان ، حتّى يظهر للناس أن للهّ في العالم أسراراً عجيبة غريبة ، ما اطلع عليها إلاّ بعض خواصه ، وقليل من عباده الممدوحين في كتابه.

---

١. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (ليس العلم في السماء فينزل إليكم ، ولا في تخوم الأرض فيخرج لكم ، ولكن العلم مجبول في قلوبكم ، تأدبوا بآداب الروحانيين يظهر لكم) اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ١٥٨ ، العلم والحكمة في الكتاب والسنة لمحمد الريشهري ٣٦

الفصل العاشر

{الفاعل في السراج النار الغيبي }

الفصل العاشر

{الفاعل في السراج النار الغيبي }

اعلم أن المؤثر والفاعل في السّراج بإحداث الأشعة هو النّار الغيبي الكامنة فيه ، وهذه الشّعلة فعلها ، وبها أحدثت النّار الأشعة ، فليس لهذا السّراج الّذي هو الشّعلة تذوت وتحقق إلاّ بفعل النّار الظّاهرة في هذه الشّعلة ، فالنّار أول ما أحدثته بواسطة الدّهن هو الشّعلة ، ثمّ أحدثت بواسطتها الأشعة ، فالأشعة مستمدة من الشّعلة ، إذ النّار جعلت جميع ما تحتاج إليه الأشعة عند الشّعلة ، وأمرتها أن تمد كلاً من الأشعة بقدرها ، وتعطي النّور لكل من مستحقي الأشعة بحسب مرتبته وحظه من الوجود ، فالشّعلة وجه النار وبابها الّذي به تتوجه الأشعة إليها وتستمد منها ، إذ لولاها لما كان للأشعة وجود أبداً ، فالنّار كانت كنزاً مخفياً ، فأرادت أن تعرف ، وأحبت أن تظهر بالآثار ، ألقت في هوية الدّهن وقابليته مثلها ، فصار سراجاً وهّاجاً ، وأظهرت عنه أفعالها ، وأمرت السّراج بإقباله إلى الأشعة ، وإحداثها بنوع اختيارها وقبولها ، ثمّ أمرته بعد إتمام إحداث الأشعة بإدباره عنها وإقباله إلى نفسه ، ومحو الموهوم بصحو المعلوم، وأمرت الأشعة أيضاً بتوحيد نفسها أولاً ، وبرسالة الأشعة ثانياً .

وقالت لها : إنكم لا تصلون إليّ إلاّ من هذا الباب وهو الشّعلة ، فالأشعة كلها أسماء النّار ، والاسم الأعظم هو الشّعلة ، وهي باب الفيوضات ، لا يصل مدد من النّار إلى الأشعة إلاّ بها ، فأي مطلب وحاجة طلبتها الأشعة بتوسط الشّعلة استجابت قطعاً ، فالشّعلة عبد

مكرم للنار ، لا يسبقها في أمر من الأمور وإلاّ هلك ، إذ ليس للشعلة تذوت وتحقق بدون النّار، وهو بأمرها يعمل في إمداد الأشعة ومدد الظّل .

إذا عرفت هذا فاعلم أن الوجود على هذا القياس ، حذو النعل بالنعل ، و القذة بالقذة ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾١. فالنار الغيبي مثل للمشية والدهن مثل للقابلية النبوية ، التى أخبر اللهّ عنها بقوله ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾٢. يعني قرب قابلية محمد المصطفى ﷺ من الظهور والوجود قبل أن تمسها نار المشية ، وهذا كناية عن شدة نورانية تلك القابلية ونهاية صفائها،كما أن أول درجة النفط مستعدة للاشتعال قبل وصول النار إليها .

والشعلة الحاصلة من تعلق النار ووقوعها على الدهن ، مثال (للعقل الكلي) وهو عقل نبينا وروحه ﷺ، كما يسمونه به الاشراقيون ، ويسمونه المشائيون بالعقل الأول ، وكل طائفة تسميه بحسب اعتقادها واصطلاحها باسم ، ومرجع الكل واحد ، و هو عقل نبينا ﷺ والأئمة الإثنا عشر والصديقة الطاهرة صلوات اللهّ عليهم أجمعين واحد ، ينتقل في كل واحد منهم على سبيل التبادل ، وفي لسان الشرع يسمى (بروح القدس) و (الملك المؤيد) و (الملك المسدد) و (عمود من نور) .

فأول شيء دخل في دائرة الوجود أي الوجود المقيد هو نور نبينا وأهل بيته الطيبين الطاهرين صلى اللهّ عليهم أجمعين ، وهو المراد بقول النبي ﷺ (أول ماخلق اللّه نور نبيك ياجابر) ٣

---

١. سورةالملك آية (٣)

٢. سورة النور آية (٣٦)

٣. البحار للشيخ المجلسي ١٥ / ٢٤

(أول ماخلق اللّه نوري) ١ **و (أول ماخلق اللّه عقلي)** ٢ **و (أول ماخلق اللّه روحي)** ٣ **.**

فالنبي ﷺ أول من قبل تكليف الوجود وهو : ((ألست بربكم ؟)) ولذا كانوا أول مخلوق ، والنبي ﷺ لما سئل عن سبب تفضيله على كل الخلائق قال (لأني كنت أول من أجاب دعوة ربه وقبل تكليفه في عالم الذّر) ٤ **.**

والمراد من التكليف هنا هو التكليف الوجودي ، والشرعي منه تابع للوجودي ، فالنبي وأهل بيته الطيبون الطاهرون صلى اللهّ عليهم أجمعين هم القسم الأول ، من الأقسام الخمس المذكورة ، الّذين أقروا بالتوحيد ، والرسالة ، والولاية أول مرة ، قبل تنفس كل موجود وذكره ، والظل الحاصل حين إنعكاس نور السّراج مثال لأعدائهم ، وهو الظلمة الصرفة ، بحيث لم يكن هناك نور أبداً ، فهم عكس وظل الأئمة عليهم السلام .

ولما كان الأئمة عليهم السلام مخلوقين بصورة الإنسانية ، بل بحقيقة الإنسانية ، فأعداؤهم خلقوا بضد تلك الصّورة ، وهي الصّورة الشيطانية .

ففي الأئمة عليهم السلام الإيمان والتقوى ، والورع والعلم ، والشجاعة والديانة ، والمروة والإنصاف ، والعدل والصدق ، والحق والخير ، والنور وكل خير ، وفي الأعداء الكفر

---

١. البحار للشيخ المجلسي ١٥ / ٢٤

٢. شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ١٢ / ٢٢

٣. شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ١٢ / ٢٢

٤. روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليها السلام إن بعض قريش قال لرسول الله ﷺ: بأي شئ سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم ؟ فقال : إني كنت أول من آمن بربي وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، فكنت أنا أول نبي قال بلى ، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل) الكافي للشيخ الكليني ٢ / ١٠

والفسق، والجهل والجبن ، والخيانة وعدم المروة والإنصاف ، والظلم والشر وعدم الصّدق ، والكذب والباطل وجميع الشرور .

فكلما رأيت من خير عند كل أحد فهو منهم عليهم السلام ، وكلما رأيت من شر من كل نوع عند كل أحد فهو من أعدائهم ، وهذا المعنى في السّراج واحد ، إذ النور الّذي تشاهده وان كان بقدر رأس الإبرة فهو من الشعلة ، والظلمة وان كانت قليلة مقدار رأس الإبرة فهي من الظل.

فعلى هذا فالمعاصي الموجودة في الشّيعة والمحبين ، فهي من فروع أعداء الأئمة عليهم السلام ، اكتسبها الشيعة منهم بالمصاحبة والمناسبة والمجاورة ، والسّرقة تأخذ منهم يوم القيامة ، وترد وتعطى إلى صاحبها وأهلها .

إذ كل شيء يرد إلى أصله ، ويسمى هذا في لسان الأخبار باللطخ [1] وكل طاعة وعمل خير وفعل حسن تشاهده في المنافقين والمشركين والكفار فهو من فروع الأئمة وشيعتهم ، فيؤخذ منهم ويرد إليهم .

---

١. علل الشرائع : ابن المتوكل ، عن السعد آبادي ، عن البرقي ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن محمد الهمداني ، عن إسحاق القمي قال : دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام فقلت له : جعلت فداك أخبرني عن المؤمن يزني ؟ قال : لا ، قلت : فيلوط ؟ قال : لا ، قلت : فيشرب المسكر ؟ قال : لا ، قلت : فيذنب ، قال : نعم ؟ قلت : جعلت فداك لا يزني ولا يلوط ولا يرتكب السيئات ، فأي شئ ذنبه ؟ فقال : يا إسحاق قال الله تبارك وتعالى : " الذين يجتنبون كبائر الاثم و الفواحش إلا اللمم " وقد يلم المؤمن بالشئ الذي ليس فيه مراد . قلت : جعلت فداك أخبرني عن الناصب لكم يظهر بشئ أبدا ؟ قال : لا . قلت : جعلت فداك فقد أرى المؤمن الموحد الذي يقول بقولي ويدين الله بولايتكم وليس بيني وبينه خلاف يشرب المسكر ، ويزني ، ويلوط ، وآتيه في حاجة واحدة فاصيبه معبس الوجه ، كامح اللون ، ثقيلا في حاجتي ، بطيئا فيها ؛ وقد أرى الناصب المخالف لما أنا عليه ويعرفني بذلك فآتيه في حاجة فاصيبه طلق الوجه ، حسن البشر ، متسرعا في حاجتي ، فرحا بها ، يحب قضاءها ، كثير الصلاة ، كثير الصوم ، كثير الصدقة ، يؤدي الزكاة ، ويستودع فيؤدي الأمانة ! . قال : يا إسحاق ليس تدرون من أين أوتيتم ؟ قلت : لا والله ، جعلت فداك إلا أن تخبرني ، ومزجهما بالمائين فما رأيت من أخيك من شر لفظ أو زنا ، أو شئ مما ذكرت من شرب مسكر أو غيره ، فليس من جوهريته ولا من إيمانه ، إنما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت ؛ وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق

فهؤلاء الأعداء هم القسم الثّاني من الأقسام المذكورة ، الّذين أنكروا قلباً ولساناً وقالوا في الجواب : نعم ، كما ذكرنا ، والأشعة القريبة من السّراج مثال للشيعة والمؤمنين ، الّذين تبعوا أئمتهم في الوجود ، وقبلوا التكليف الوجودي بالشرائط المذكورة ، والأشعة البعيدة المختلطة بالظلمة ، بحيث يكاد النور لايوجد هناك ، مثال لأصحاب الشّمال ، التّابعين للمنافقين أعداء الأئمة الطّاهرين ، المخلوقين بصورة الشّيطانية ، المنكرين للتكليف تبعاً لأعداء اللهّ ورسوله وأوليائه .

، أو صوم ، أو صلاة أو حج بيت ، أو صدقة ، أو معروف منهم فردها إلى شيعتنا ، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيئات فردها على أعدائنا ، وعاد كل شئ إلى عنصره الأول الذي منه ابتدأ ؛ أما رأيت الشمس إذا هي بدت ألا ترى لها شعاعا زاجرا متصلا بها أو بائنا منها ؟ قلت : جعلت فداك الشمس إذا هي غربت بدا إليها الشعاع كما بدا منها ، ولو كان بائنا منها لما بدا إليها . قال : نعم يا إسحاق كل شئ يعود إلى جوهره الذي منه بدا ، قلت : جعلت فداك تؤخذ حسناتهم فترد إلينا ؟ وتؤخذ سيئاتنا فترد إليهم ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو ؛ قلت : جعلت فداك أجدها في كتاب الله عز وجل ؟ قال : نعم يا إسحاق ؛ قلت : في أي مكان ؟ قال لي : يا إسحاق أما تتلو هذه الآية ؟ " أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله حسنات إلا لكم والله يبدل لكم) البحار للشيخ المجلسي ٥ / ٢٤٦ ، ٢٤٨ المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقي - ج ١ - ص ٢٨٢ - ٢٨٣ ، عن عبد الله بن محمد النهيكي ، عن حسان ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قالا : كان في بدء خلق الله أن خلق أرضا وطينة ، وفجر منها ماءها ، وأجرى ذلك الماء على الأرض سبعة أيام ولياليها ، ثم نضب الماء عنها ، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة طينة الأئمة ، ثم أخذ قبضة أخرى من أسفل تلك الطينة ، وهي طينة ذرية الأئمة وشيعتهم ، فلو تركت طينتكم كما تركت طينتنا ، لكنتم أنتم ونحن شيئا واحدا ، قلت : فما صنع بطينتنا ؟ - قال : إن الله عز وجل خلق أرضا سبخة ، ثم أجرى عليها ماء أجاجا ، وأجراه سبعة أيام ولياليها ، ثم نضب عنها الماء ، ثم أخذ من صفوة تلك الطينة طينة أئمة الكفر ، فلو تركت طينة عدونا كما أخذها ، لم يشهدوا الشهادتين ، أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ولم يكونوا يحجون البيت ، ولا يعتمرون ، ولا يؤتون الزكاة ، ولا يصدقون ، ولا يعملون شيئا من أعمال البر ، ثم قال : أخذ الله طينة شيعتنا وطينة عدونا ، وخلطهما وعركهما عرك الأديم ، ثم مزجهما بالماء ، ثم جذب هذه من هذه ، وقال : هذه في الجنة ، ولا أبالي ، وهذه في النار ، ولا أبالي ، فما رأيت في المؤمن من زعارة وسوء الخلق واكتساب سيئات فمن تلك السبخة التي مازجته من الناصب ، وما رأيت من حسن خلق الناصب وطلاقة وجهه وحسن بشره وصومه وصلاته ، فمن تلك السبخة التي أصابته من المؤمن .

والأشـعة المتوسـطة ، مثـال لجهـال الشـيعة ومستضـعفيهم ، وجهـال الكفـار ومستضعفيهم ، الّذين ليسوا محكومين بحكم ، إلى أن يميلوا إلى أحد الطرفين ، إما في البرزخ وإما في القيامة ، ونذكر تفصيلهم في مبحث المعاد ، إنشاء اللهّ فانتظر .

الفصل الحادي عشر

{الشعلة هي التي تمد الأشعة النور }

الفصل الحادي عشر

{الشعلة هي التي تمد الأشعة النور}

اعلم أنه ليس لكل الأشعة قوام ووجود وتحقق إلاّ بالسّراج ، إذ لولاه لما كان لها وجود كما هو ظاهر ، وكذا الظّل ليس له وجود وثبات إلاّ بالسّراج ، إذ من البديهي أن ليس قبل إشعال السّراج الظّل ولا للنور والأشعة وجود ، فلما لم يكن لكلي القسمين وجود وثبات إلاّ بالسّراج ، فلا بدّ لهما في بقائهما من المدد ، فلو لم يمد السّراج لهما آنا فآنا لفنيا جميعاً ، فهما محتاجان دائماً إلى السّراج في بقائهما ، بحيث لم يجبرهما بأن يعطى المدد لمستحقه ، يمد الظّلمة بالظّلمة ، والنّور بالنّور ، بحسب اختيارهما ، ولو لم يفعل هكذا لفنيا ، فيمد الظّلمة بالخلاف والعكس والتّخلية والخذلان ، والنّور بالوفاق والتّوفيق .

وعلمت سابقاً أن السّراج وهو الشّعلة ، وجه النّار وبابها ، وليس له في نفسه وحد ذاته تحقق وثبات ، وإنما يعمل بأمر النّار الغيبي ، فالسّراج باب لها باطنه وجهة مرافقته رحمة ، وظاهره وجهة مخالفته عذاب ، فيمد أولاً الأشعة ، ثمّ الأظلة ثانياً .

إذا عرفت هذا المثال ، فقس عليه أحوال الوجود وقل : إن السّراج مثال للإمام عليه السلام ، والأظلة مثال لأعدائهم ، والأشعة مثال لشيعتهم ، فلأعداء أيضاً يستمدون منهم عليهم السلام بلسان استعدادهم ، كما أن الشيعة يستمدون منهم بلسان حالهم ومقالهم ، فيمد الأعداء بالكفرة

والنفاق والشرارة والشيطنة ، بمقتضى طلبهم ، وطبع اللهّ عليهم بكفرهم ، كما يمد السّراج الأظلة ، ويمد الشيعة والمحبين بالنّور والإيمان والإسلام .

فالإمام باب باطنه و موافقته الرحمة ، و ظاهره و مخالفته العذاب ، قال سبحانه و تعالى ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾١. فالسور في الباطن هو رسول اللهّ صلى الله عليه وآله وسلم، وبابه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ٢ فهو رحمة لشيعته والمقرين بولايته ، ونقمة وغضب للكفار والمنكرين لولايته ، ولذا سمي : (بقسيم الجنة والنّار) ٣ و قال سبحانه وتعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظّالمين إلا خسارة) ٤. والمراد من القرآن في الباطن هو رسول اللهّ صلى الله عليه وآله وسلم، وما هو شفاء ورحمة هو أمير المؤمنين عليه السلام ، وورد في أحاديث الأئمة عليهم السلام أن زحل سعد أكبر ، وهو كوكب أميرالمؤمنين عليه السلام ، واتفق أهل النجوم على أنه النحس الأكبر ، وكذلك المريخ ، وجمع أهل الصّناعة بين القولين وقالوا : أن الحديد متعلق بالمريخ ظاهره ذهب ، وباطنه فضه ، فيشيرون بالذهب إلى الحرارة واليبوسة ، وبالفضة إلى البرودة والرطوبة ، ولاشك أن الثّاني رحمة ، إذ طبعه طبع الماء ، الّذي به حياة كل شيء ، وطبع ريح الصبا ، وأن الأول عذاب ، إذ طبعه طبع النّار ، وغضب الجبار ، وطبع ريح الدبور ، الّذي هلك به قوم لوط عليه السلام ، فزحل والمريخ كوكبا أمير المؤمنين علي عليه السلام ، ظاهرهما نحس، وباطنهما رحمة ، فافهم ما ذكرت الّذي هو أحد من السيف ، وأدق من الشّعرة .

---

١. سورة الحديد آية (١٣)
٢. الأمالي للشيخ الصوق ٤٢٥ ، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٠٧
٣. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يا علي أنت قسيم الجنة والنار) الأمالي للشيخ الصوق ١٠١ ، الخصال للشيخ الصدوق ٤٩٦
٤. سورة الإسراء آية (١٥)

الفصل الثّاني عشر

{درجات النور بالنسبة للشعلة }

الفصل الثّاني عشر

{درجات النور بالنسبة للشعلة }

اعلم أن النّور الموجود في الخارج لا يخلو من الظلمة ، لكنها تتفاوت بالنسبة إلى قرب النّور من المبدأ وبعده ، كلما قرب من المبدأ لم يكن فيه ظلمة إلاّ القليل مقدار رأس الإبرة ، وكلما بعد عنه كثرت الظلمة فيه ، فالقريب من المبدأ فيه من الظلمة بقدر النقطة وكلما بعد منه يقل النّور وتكثر الظلمة ، إلى حد يكون النّور فيه بقدر النّقطة والظّلمة محيطة بالفضاء ، فكما أن الأمر في السّراج حقيقة ظاهرة ، فالقريب للسّراج من الأشعة منتهى القرب في كمال النّورانية ، إلاّ أن نوره أقل من السّراج ، وليس قلة نوره إلاّ لإختلاطه بالظلمة ، وإلاّ فالنور بما هو نور على نسق واحد وطريقة واحدة ، لكن الظلمة فيه بقدر النقطة ، وهي مستهلكة في جنب ذلك النّور الكثير الوافر ، والجزء الثّاني من الأشعة نوره أقل من الأول ، لإختلاطه بالظلمة أكثر من الأول ، وهكذا إلى أن يصل النّور إلى محل لايرى فيه شيء لقلته ، والظلمة تحيط به والنور يكون في هذا المقام بقدر النّقطة ، وظهر من هذا المثال صور خمس :

الصّورة الأولى : النّور القريب من المبدأ كمال القرب ، بحيث لم تكن فيه ظلمة زايدة على ذاتها ، بحيث تترتب عليها الآثار .

الصّورة الثّانية : الظّلمة الّتي ليس فيها نور يعني زايد على ذاته ، بحيث يترتب عليه الآثار .

الصّورة الثّالثة : المختلفة بالنور والظلمة ، وهي على أقسام ثلاثة :

القسم الأول : هو ما يغلب النّور الظّلمة و يستهلكها ، لكن تصدر منها الآثار.

القسم الثّاني : هو ما تغلب الظّلمة النّور عكس القسم الأول.

القسم الثّالث : هو ما يتساوى الظلمة والنّور .

فالصّورة الأولى : هي محمد وأهل بيته الطيبون الطاهرون صلى الله عليهم أجمعين

والصّورة الثّانية : هي أعداؤهم من الملحدين والمنافقين والمشركين .

والقسم الأول من الصّورة الثّالثة هو شيعة الأئمة عليهم السلام ، وإن كانت فيهم الظّلمة ، وهي المعصية لكنها مضمحلة عند نور ولايتهم عليهم السلام ، ولذا لايدخلون النّار ولاتمس أجسادهم .

والقسم الثّاني منها أصحاب الشّمال ، التّابعين لأعدائهم لعنهم الله .

والقسم الثّالث منها أصحاب الأعراف ، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم إن الله هو التّواب الرحيم ، فاحتفظ على ما ذكر.

الفصل الثالث عشر

{ كل شيء له ثلاث مراتب }

الفصل الثالث عشر

{كل شئ له ثلاث مراتب }

اعلم أن كل شيء له مراتب ثلاث:

الأولى : مرتبة ذاته وحقيقته ، وهي مجردة من الصورة الجسمية ، والمثالية ، والنفسية ، والعقلية .

الثانية : مرتبة العقل ، وهو مجرد من الصور الجسمية ، والمثالية ، والنفسية ، وهو عالم المعاني ، ليس للأشياء فيه امتياز بعضها عن بعض إلا بالمعنى .

الثالثة : مرتبة النفس ، وهي مجرده من الصور الجسمية ، والمثالية ، وهي عالم الصور ، إذ الخلائق تمتاز بعضها عن بعض بالصور والصورة على قسمين :

القسم الأول : منها هو المجرد من المادة الجسمية ، لايحتاج إليها أصلاً وقطعاً .

القسم الثاني : هو المقارن بالمادة لايتحقق في الخارج لابمقارنته بالمادة ، ونمثل لهذه المراتب الثلاث ، بمثل تقريباً للذهن ونقول إن حروف الكتابة مثلاً لها ثلاث مراتب:

الأولى : هي ذوات الحروف والكتابة ، وحقيقتها المجردة من كل صورة ـ المعنوية ، و الصورية ـ وهي الصمغ والسواد مثلاً قبل التركيب ، وبعد التركيب يكون مثالاً للعقل ، إذ

يوجد فيه الصور المعنوية ، وأما في الظاهر فهو شيء واحد ، الذي هو المركب والحبر في الدواة، وليس فيه ظاهراً وجود شيء من الاسامي والأمور وصور الكتابة الظاهرة ، وأما بحسب المعنى والحقيقة فلها وجود ، وإذا وجد وانبسط في الظاهر ، وكتب في اللوح ، وأمتاز اسم زيد من عمرو ، وخالد من بكر مثلاً فصار مثالاً للنفس ، إذ الصور المعنوية المعينة في العقل امتازت في هذا المقام ، وبين العقل والنفس برزخ ، ليس كالعقل في الإبهام ولاكالنفس في تمييز الصور، وهو الروح ويسمي أيضا :"عالم الرقايق" ، ومثاله في الحبر شروعك في الكتابة ، قبل إتمام الحرف الأول للصورة، فالعقل معنى مجرد من كل صورة إلا المعنوية ، والروح رقيقة وهي مبدء والصور ، والنفس هي الصورة .

إن شئت قلت : المجردات ثلاث : عالم العقل ، وعالم الأرواح ، وعالم النفوس .

وان شئت قلت اثنان ، والبرزخ يحسب من احدهما .

وقد عرفت سابقاً أن الله سبحانه لم يجبر الخلايق في إيجادهم ، بل خلقهم بحسب اقتضاء قابلياتهم ، وكلفهم بالتكليف الوجودي أولا في عالم العقول وهو الذر الأول ، والخلق فيه بحسب الظاهر متساوي النسبة ، وإن كان مختلفاً بحسب المعنى ، ولذا قال الله تعالى ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[١] .

يعني لم يكونوا بحسب الظاهر والصورة محكومين بالسعادة والشقاوة ، وإن امتاز السعيد من الشقي بالإجابة و الإنكار ، كالمداد المركب.

والتكليف الثاني في عالم الأرواح بالرقايق ، و هو ابتداء الحكم ، و يسمى بالذر الثاني.

---

١. سورة البقرة آية (٢١٣)

و التكليف الثالث في عالم النفوس ، ويسمى أيضا بعالم الأظلة ، وفي هذا العالم يحكم بحكم ، ويتصور الشي بالصورة الظاهرية والخارجية ويكمل ، وامتاز السعيد من الشقي ، والجنة من النار .

ولك أن تقول : إن عالم النفوس هو الذر الثاني ، وعالم الأجسام الذر الثالث ، أو تقول: إن عالم النفوس الذر الأول ، وعالم الأجسام الذر الثاني ، أو تقول : إن الذرات لانهاية لها ، ففي مرتبة الذات الشقي والسعيد عند الله معلوم ، وفي الذر الأول عند نفس الشيء معلوم.

وفي الذر الثاني وهو ذر النفوس عند الغير أيضا معلوم ، فالنفس مستمدة دائماً من الروح ، والروح مستمدة من العقل ، والعقل مستمد من الفعل ، والفعل مستمد من الحق سبحانه ، والمستمد منه محيط على المستعد ، وكل منها كرة مستديرة على قطبه الذي هو العالي ، وعلى هذا القياس .

ثم اعلم أن الموجودات كلا وطراً في عالم النفوس ، الذي هوالذر الثاني باعتبار ، والذر الأول باعتبار آخر ، والذر الثالث باعتبار ثالث ، اختار كل واحد منها مقاماً باختياره ، وتصور بصورة مخصوصة .

والله سبحانه من باب إكمال النعمة على بعض ، وإتمام الحجة على الآخرين ، أيضا أنزلهم إلى عالم الشهادة والأجسام ، وانزل عليهم الكتب وأرسل إليهم الرسل ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وليميز الخبيث من الطيب ، وليهلك من هلك عن بينة ،

ويحيى من حي عن بينة ، والقبول والإنكار في عالم الأجسام ، طبق القبول والإنكار في عالم النفوس .

كما اخبر سبحانه وتعالى عنه بقوله ﴿ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ﴾ ١. وثمرة التكليف في هذا العالم ، هو إظهار ما كمن في ضمائرهم ، واستنطاق طبايعهم ، حتى لايبقى لإنكارهم مجال ، وإن أنكروا شهدت عليهم أعضاؤهم وجوارحهم ، كما ورد في الحديث مامعناه : أن جمعاً من الناس يوم القيامة ينكرون مارتكبوا عليه من المعاصي فيختم اللهّ على أفواههم فتتكلم أيديهم وأرجلهم وأعينهم وآذانهم بما كانوا يرتكبون من المعاصي الكبيرة والصغيرة كما قال اللهّ تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ ٢. فلو لم يكن التكليف في هذا العالم ، لما تمت الحجة على الكافر .

الحاصل إن الكلام في المقام طويل الذيل ، وإرخاء عنان القلم مع التعجيل ، وعدم التمكن من التطويل غير ممكن ، ومع ذلك نحن أدرجنا في هذا المختصر مطالب كثيرة ، من أراد الفهم وكان من أهله فليفهم .

---

١. سورة الأعراف آية (١٠١)

٢. سورة يس آية (٦٥)

الفصل الرابع عشر

{إن اللّه سبحانه هو الغني وكل الخلق محتاجون إليه }

الفصل الرابع عشر

{إن اللّه سبحانه هو الغني وكل الخلق محتاجون إليه }

اعلم أن كل ممكن فقير ومحتاج ، بحيث لا يملك لنفسه شيئاً أبداً ، ولا يتمكن من فعل أمر ، ولا يصدر عنه باستقلال ، ليس له إلا السؤل والطلب ، قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[1] ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[2] ولذا قال عز من قائل ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[3] .

والدعاء على قسمين : دعاء بلسان الاستعداد ، ودعاء بلسان المقال ،بأي واحد منهما إذا دعا اللّه سبحانه استجاب له ، وكلما طلبه منه أفاض عليه من كرمه وجوده ، كما قال ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[4] وهذه الدعوة دعوة القابلية ، واللّه سبحانه يعطي بنحو السؤال بلسان القابلية ، إن كان خيراً فخير ، وان كان شراً فشر .

فاللّه سبحانه خلق جميع أفاعيل الخلق والعبيد بطلبهم وسؤالهم ، ونحن أثبتنا سابقاً أن نسبة الخلق إلى جميع المفعولات على حد سواء ، والترجيح بلا مرجح بحسب مقتضي. ذات

---

١. سورة فاطر آية (١٥)
٢. سورة الشورى آية (٩)
٣. سورة غافر آية (٦٠)
٤. سورة النمل آية (٦٢)

الشيء السبب لوجوده والباعث له من الحكيم قبيح ، فالله سبحانه خالق كل شيء من الخير والشر ، كما قال تعالى ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾١ وقال أيضا ﴿ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾٢ وقال تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ٣ فهو سبحانه يخلق كل شيء بمقتضى الحكمة والنظم الطبيعي ، ويضعه في موضعه ، فيجعل الأعوج أعوجا ، والعدل المستقيم عدلاً مستقيماً ، فلو جعل الأعوج مستقيماً ، لما كان على الصراط المستقيم (هذا المثل) عند الغبي أيضا معلوم .

فالنفس مستمدة دائماً من الروح ، والروح مستمدة من العقل ، مثلاً الكاتب لابد له أن يكتب الجيم أعوجاً ، والألف مستقيماً ، فلو كتب الجيم أيضاً مستقيماً لكان منه غلطاً ، ويصدقه تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥) وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾٤ .

يعني أن كل من يريد الله أن يشرح صدره للإسلام ، يجعل قلبه نورانياً حتى يطمئن بالإيمان ، وانشراح الصّدر مقدم على اطمئنان القلب ، إذ الصّدر وعاء له .

ومن أراد أن يظله يجعل صدره حرجاً ضيقاً ، حتى لا يرى ولا يفهم شيئاً ، بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون ، فالإيمان والكفر والطّاعة والمعصية خلقها الله كلها لكن بطلب

---

١. سورة فاطر آية (٤٠)
٢. سورة الأنعام آية (١٠٢)
٣. سورة النحل آية (٧٦)
٤. سورة الأنعام آية (١٢٥- ١٢٦)

العبد وسؤاله ، إذ العبد لايسبق مشية اللهّ ، والحق سبحانه لا يكون مغلوباً حتى لا يقع في ملكه شيء بغير إرادته ، كما الإمام الرّضا روحي فداه ((إن اللّه عز وجل لم يطع بإكراه ، ولم يعص بغلبة ، ولم يمهل العباد في ملكه ، وهو المالك لما ملكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه)) [١] ، وقال اللهّ تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٢] فالعبد فقير ومحتاج لايملك لنفسه نفعاً و لاضراً ، بل ليس له وجود إلاّ بمدد جديد من اللهّ سبحانه وإلاّ لفنى وبطل وهلك واضمحل .

وقد عرفت سابقاً من تمثيل السّراج ، أن قوام الأظلة والأشعة كلا بيد قدرة السّراج ، وليس لهما بقاء بلا مدد من السّراج ، فيمد النّور بما قبله من الضّياء والسّنا ، والظل بما قبله من الظلمة و الكدورة ، وكذلك فعل الحق بالنسبة إلى عبيده ، فيمد الكافر منهم بالكفر والتّخلية والخذلان ، والمؤمن بالطّاعة والتّوفيق والإيمان.

فخالق الخير والشّر ، والإيمان والكفر ، والمعصية والطّاعة هو اللهّ سبحانه ، ولكنه أولى بالطّاعة من العبد ، وهو أولى بالمعصية منه سبحانه ، ومن هذه الجهة الطّاعة في المثال كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها في السّماء والمعصية كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، كما أخبر اللهّ بقوله ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن

١. التوحيد للشيخ الصدوق ٣٦١ ، الإختصاص للشخ المفيد ١٩٨ ، الإحتجاج للشخ الطبرسي ٢ / ١٩٨ ، البحار للشخ المجلسي ٥ / ١٦
٢. سورة العنكبوت آية (٤)

فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ ١ ومثال الطّاعة والمعصية في السّراج الأشعة والأظلة ، فالشّعاع شجرة طيبة أصلها ثابت ومحكم لاستناده إلى شعلة السّراج ، ومتابعته وموافقته لها ، والأظلة شجرة خبيثة مجتثة لعدم استنادها إلى السّراج ، ومتابعتها وموافقتها له ، وان كانت مستندة إليه في الصّدور ومستمدة منه في كل آن ، فالسّراج في المقام مثال للفاعل والموجد والمؤثر ، والأشعة مثال للطاعة والأعمال والأفعال الحسنة ، والأظلة مثال للمعاصي والأفعال القبيحة ، والجسم الكثيف من قبيل الجدار وأمثاله ، الّذي هو سبب ظهور النّور وانعكاس الظّل مثال للشخص المطيع والعاصي .

فالسّراج بلسان الحال يقول أيّها الجدار أنا أولى بالنّور منك ، وأحق به منك ، إذ هو بدؤه مني وعوده إلي ، وإن كان لك مدخل في ظهور هذه العطية ، وانبساط هذه الرحمة ، وقبول هذه النّعمة وأنت أولى بالظل مني ، إذ هو عملك وسؤالك طلبت مني الظّلمة فلم أمنعك منها، وإلاّ لجاز أن أمنع منك النّور أيضاً ، ولزم أن اجبرك على قبول النّور ، وليس هذا شأن الحكيم ، وان كان لي مدخل في إيجاده وإحداثه ، إذ ليس لك شأن وأمر واستقلال بوجه ، نعم خلقته بسؤالك إياه مني .

فقل حينئذ إن الظّلمة والنّور أحدثهما السّراج ، وهو المؤثر في هذا العالم ليس غيره ، إذ لو اخلي يده لما بقى من منهما باق ، أما ترى أنه لو ارتفع السّراج من المجلس لما بقى من الظّل والنّور أثر أبداً ، لكنه يجب عليك أن تقول إن الظّل والظّلمة ليسا من السّراج وان قاما بالسّراج والشّعاع ، والنّور من السّراج ، ومن هنا : نفهم نفي قوله تعالى ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَ ﴾٢

---

١. سورة إبراهيم آية (٢٤ — ٢٦)

٢. سورة النساء آية (٧٨)

واثبات قوله تعالى ﴿ قُلۡ كُلٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾ ١ **ونجمع بينهما وبين قوله تعالى** ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ ﴾ ٢ **ولاحظ في هذه المقامات كلها ، قوله تعالى في الحديث القدسي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حيث قال عن الله عز وجل (يا أبن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبقوتي أديت إلي فرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ، ما أصابك حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وذلك أنا أولى بحسناتك منك ، وأنت أولى بسيئاتك مني ...) ٣ .**

فظهر لك من المثال السّابق بيان هذه المرتب ، وأن الأمر بين الأمرين ، والمنزلة بين المنزلتين من مكنونات العلم ، ومخزونات السّر ، لم يطلع عليه إلاّ أئمة الهدى سلام اللهّ عليهم ، وبعض من خواص شيعتهم ، ولذا أغمضنا عن ذكره ، وأعرضنا عن التّعرض لبيانه ، واكتفينا بالرّمز والإشارة عن التّفصيل ، حتى ينتفع به العالم ولايشك ولا يرتاب الجاهل ، ويصل المتوسط في عالم القشر والظّاهر إلى مطلوبه ومقصوده ، إذ الكلام على الحقيقة منهي عنه ونعم ما قيل :

ومستخبر عن سر ليلى أجتبه — بعمياء من ليلى بلا تعيين

يقولون خبّرنا فأنت أمينها — وما أن إن خبّرتهم بأمين

وفي ساير الرّسائل استوفينا هذا المطلب بحسب الوسع والطّاقة ، بقدر ما يمكن إظهاره بزمانه

---

١. سورة النساء آية (٧٨)

٢. سورة النساء آية (٧٩)

٣. التوحيد للشيخ الصدوق ٣٣٨ ، البحار للشيخ المجلسي ٥ / ٥

(تتمة)

إن وبخت الجدار بهذا الظّل الّذي هو لازمه وعذبته بأنواع العذاب ، فليس له أن يقول إن هذا الظّل ليس مني ، بل السّراج ألزمه لي ، ولست أنا صاحب التّقصير في ذلك ، لأنه إن قال فيه وأنكر ذلك الأمر كذبته كل الموجودات ، بل ضوعف عذابه ، إذ من البديهي أن الظّل ليس من السّراج ، وهو نور بحت صرف ، فكيف يوجد الظّل ويصدر منه الظّل ؟ ولايظلم أحداً كما هو شأن الحكيم القيوم ، وإن مدحت الجدار باعتبار النّور الّذي فيه ، وأحسنت إليه كمال الإحسان ، فالحري منه أن يقول إني لست قابلاً للمدح والإحسان، ، بل المدح والحمد للسّراج ، الّذي أحسن إلي من فضله وكرمه ، هذه العطية ، لما سألت منه هذا الإحسان ، وإن لم يكن لكل سؤال جواب ، ولم يجب الإجابة لكل الأسئلة ، ولكن فضل السّراج وإحسانه وكرمه ألزمه بهذه العطية والمرحمة والتّفضل ، ومن هذا البيان تعرف معنى قول رسول الله ﷺ(**إنما هي أعمالكم ترد إليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد اللّه ، ومن غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسه**) ١ .

التفت ياحبيبي ، فقد أعطيتك مفتاحاً ينفتح به ألف مشكل مقفل ، إن فهمت فاشكر اللهّ على ذلك ، وإلاّ فاسأل اللهّ التّوفيق لمعرفة ما هنالك

١. الحكايات للشيخ المفيد ٨٥ ، البحار للشيخ المجلسي ١٠ / ٤٥٤

الفصل الخامس عشر

{كل شيء بمشيئة وإرادة }

الفصل الخامس عشر

{كل شئ بمشيئة وإرادة }

لما عرفت أنه ليس لشيء قوام ولا وجود في كل المراتب إلا بالله سبحانه ، فاعلم أنه ليس لشيء أيضاً تحقق ووجود في مكان من الأمكنة ، وزمان من الأزمنة ، وظرف من الظّروف الذّهنية والخارجية إلاّ بمشية الله وإرادته ، فلو وقع أمر بغير مشية الله وإرادته سبحانه ، لزم أن يكون ذلك الشّخص مستقلاً في فعله ، فيكون إلهاً من دون الله ، وهذا كفر وزندقة ، لاينبغي من العاقل أن يتوفه به ، وإن كان يظهر من فحوى كلام بعض من العلماء ، من حيث لايشعرون ، كما قال الإمام (ليكفرون من حيث لا يشعرون)

ثم اعلم أن لكل أحد خمس مراتب مرتبة بعضها على بعض :

الأول : مرتبة وجوده ، وأول تعينه ، من مرتبة العلم إلى مرتبة العين ، وتسمى في الأحاديث بالكون والذّكر الأول للشيء.

الثّاني : مرتبة الماهية ، الّتي تسمى بمرتبة العين ، وهي كون تعين تلك الحصة من الوجود بتعين خاص وتشخصها بتشخص مخصوص ، وتسمى في لسان الأحاديث بالعزيمة على ما يشاء ، إذ بالماهية تتشخص ويتعين الوجود ، ويكون قابلاً للإشارة ، ومحلاً للعبادة ، بل شيئيته بها .

الثّالث : مرتبة الحدود والهيئات ، ومقادير الأعمال والأفعال والأقوال ، والآجال والأرزاق ، والسّعادة والشّقاوة ، والأجل والإذن والكتاب ، وهذه المرتبة متأخرة عن المرتبة الثّانية ومترتبة عليها ، إذ الشّيء إذا لم يتم ولم يتحقق لاتكون له هذه اللوازم ، وتسمى هذه بلوازم الماهية ، وفي لسان الأخبار تسمى بالهندسة الإيجادية.

الرّابع : مرتبة إتمام ما قدر ، وترتيبه على الهيئة المقررة ، ويعبر عنها في الآيات والأخبار بمرتبة التركيب ، كما قال سبحانه ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾[١].

فالخلق إشارة إلى المرتبة الأولى ، والتّسوية إلى الثّانية ، والتعديل بأي صورة تعلقت بها مشيته إلى الثّالثة ، والتركيب إلى الرّابعة ، وهي متأخرة عن المرتبة الثّالثة.

الخامس : مرتبة ظهور وبروز الشّيء مشروح العلل مبين الأسباب ، ولما كان العبد في كل مرتبة من المراتب محتاجاً وفقيراً ، ولايستغني عن المدد في كل فرد فرد من المرتب الخمس ، من اللهّ سبحانه حتى يوجد متعلق فعله في مقام الإيجاد ، تعلق فعله سبحانه بإيجاد كل مرتبة من هذه المراتب ، وفعله سبحانه بالذّات واحد ، لكن تعدد باعتبار تعلقه بالمفعولات ، وسمي باعتبار تعلقه بإيجاد كل مرتبة من المراتب باسم خاص ، وإلا فهو في الحقيقة شيء واحد .

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

ولذا نقول كما هو المستفاد والمستنبط من الأخبار ، أن مراتب الفعل باعتبار تعلقه بالمفعولات خمس ، وإلا فهو في نفس الأمر واحد لاتكثر فيه ، لأنه صدر من الواحد من جميع

---

١. سورة الإنفطار آية (٧ – ٨)

الجهات بلا تكثر ، وأثبتنا في سائر مصنّفاتنا أن الواحد من جهة الوحدة ما يصدر منه إلاّ الواحد ، وتفصيله بأتم بيان وأوفى تبيان ، في ذلك الكتاب الحاصل .

المرتبة الأولى : من مراتب الفعل المشيئة ، وهي الفعل المتعلق بوجود الشّيء خاصة ، ولذا قال : الإمام الرّضا عليه السلام ليونس بن عبد الرّحمن : أتدري ما المشية المشية هي [١] : الذّكر الأوّل : وهي مرتبة على العلم الحادث مسبوق به ، ولذا قال الإمام عليه السلام بعلمه كانت المشية .

المرتبة الثانية : الإرادة وهي الفعل المتعلق بماهية الشيء ، وقبول الفعل الأول ، كالانكسار الذي هو في المرتبة الثانية من الكسر ، لكن لايظهر الكسر بدونه ، فالكسر قائم بالانكسار قيام ظهور ، والانكسار قائم بالكسر قيام تحقق وهو الذكر الثاني للشيء ، وقال الإمام الرضا عليه السلام في خبر يونس أتدري ما الإرادة ؟ وهي العزيمة على مايشاء ، وهي مرتبة على المشية ، كما هو الظاهر ، و لذا قال : الإمام عليه السلام ، و بمشيئة كانت الإرادة .

المرتبة الثالثة : القدر ، وهو الفعل المتعلق بالهيئات والحدود والمقادير ، وبدو السعادة والشقاوة ، كما قال الرضا عليه السلام في الخبر : أتدري ما القدر ؟ وهي الهندسة . وهذه

---

١. الكافي الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٥٧ - ١٥٨

- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرار ، عن يونس بن عبد الرحمن قال : قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام : يا يونس لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ولا بقول أهل النار ولا بقول إبليس فإن أهل الجنة قالوا : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وقال أهل النار : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . وقال إبليس : رب بما أغويتني ، فقلت : والله ما أقول بقولهم ولكني أقول : لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر وقضى ، فقال : يا يونس ليس هكذا لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى ، يا يونس تعلم ما المشيئة ؟ قلت : لا ، قال : هي الذكر الأول ، فتعلم ما الإرادة ؟ قلت : لا ، قال : هي العزيمة على ما يشاء ، فتعلم ما القدر ؟ قلت : لا ، قال : هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء ، قال : ثم قال : والقضاء هو الابرام وإقامة العين ، قال : فاستأذنته أن اقبل رأسه و قلت : فتحت لي شيئا كنت عنه في غفله

المرتبة مرتبة على الإرادة ، كما قال الإمام عليه السلام وبالإرادة كان القدر ، وتسمى بالخلق الثاني ، والوجود الثاني .

وفي هذه المرتبة تقدر الآجال والأرزاق ، وكيفية التعيش والأمور المتعلقة بالخلق ، (و) في هذه المرتبة أيضا تكون مشروطة ومحتومة ، كما في المرتبة الأولى والثانية ، لكن بلا ظهور وبروز ، وفي هذه المرتبة ظهرت الأمور وبرزت فيما بين الخلق ٠

المرتبة الرابعة : القضاء ، وهو الفعل المتعلق بإتمام الشيء ، وهو مترتب على القدر ، كما تشهد عليه الأخبار والأدلة العقلية ، قال الإمام عليه السلام : وبالقدر كان القضاء ، والقول بتقدم القضاء على القدر غلط غير معتنى به ، وتكذبه الآيات والأخبار .

المرتبة الخامسة : الإمضاء ، وهو الفعل المتعلق بإظهار الشيء ، وهو لازم للقضاء ومتأخر عنه .

وإن أردت أن أبين لك مثال خلق اللهّ سبحانه ، لإدراك حقايق الأشياء ، حتى تنكشف لك حقيقة المسألة ، فأصغ لما أقول ٠ اعلم أنك إذا أردت أن تصنع سريراً ، فأول خطرة تخطر ببالك في صنعه قبل أن يخطر في هذا الباب بخاطرك خطور ، فهي مشيتك في الأمور القلبية الباطنية ، إذ المشية في العبد على قسمين :

أحدهما : الخواطر القلبية ، والإرادات الباطنية ، وهو في الحقيقة فعل من أفعال العبد ، جامع جميع مراتبه كما يأتي ذكره

وثانيهما : الأمور الظاهرية الشهودية ، الحاصلة بالجوارح والأعضاء ، وهو أيضا نوع من مشية العبد ، إذ المشية فعل وهو أعم من الذهن والخارج ، وقد بين هذه المسألة مولانا

الرضا عليه السلام بقوله (الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من اللّه سبحانه فإرادته إحداثه لاغير) [1] .

إذا عزمت وجزمت بصنع السرير البتة بلا تأمل ، فعزمك هذا هو الإرادة ، وتقديرك هذا السرير في خيالك بحدود وهيئات وأوضاع تريدها هو القدر ، وإن ركبت تلك الهيئات والحدود في خيالك بعضها مع بعض فهو القضاء ، وإظهارك ذلك السرير في الخارج فهو الإمضاء .

فظهر مما ذكرنا أن الإمضاء لازم القضاء ، وأن هذه المراتب الأربعة : المشية والإرادة والقدر والقضاء أركان الشيء ، يعني لو لم تكن أحد هذه المراتب لما وجد الشيء ، وأما الإمضاء فهو بيان هذه المراتب الأربعة ، وإظهارها مشروح العلل مبين الأسباب ، وإن شئت أن تدخله في هذه المراتب لقلت إن مراتب الفعل باعتبار تعلقه بالمفعولات خمس ، وأما كيفية البداء ووقوع المحو والإثبات في فعل اللهّ ، وبيان معنى النسخ والبدا والفرق بينهما ، وكيفية إخبار الأنبياء والأولياء من اللهّ عزوجل بشيء لم يقع وأمثالها ، فالحقير الآن معذور منها ، وليس لي فعلا حالة البيان ، إذ الآن أنا في السفر ، في وسط البر عين شدة حرارة الشمس ، وضيق المجال ، لم أتمكن من تحرير أزيد من هذا ، من أرادها فليراجع إلى ساير رسائلنا ، والسلام على تابع الهدي .

---

١. لكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ١٠٩ - ١١٠

أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام ، أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق ؟ قال : فقال : الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل ، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير)

الفصل السادس عشر

{لا يكون شيء في الأرض والسماء إلا بسبع خصال }

الفصل السادس عشر

{لا يكون شئ في الأرض والسماء إلا بسبع خصال }

لما عرفت أن كل شيء ليس له استقلال وتذوت إلا بفعل اللهّ سبحانه ، وأن كل شيء في تحققه ووجوده الخارجي محتاج إلى هذه المراتب الخمس المذكورة ، عرفت أنه لم يدخل شيء في دائرة الإمكان ، ولم يوجد أبدا إلا بمشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن واجل وكتاب ، ومن هنا تعلم معنى قول الصادق عليه السلام في الكافي (قال فلا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع بمشية وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ومن زعم أنه يقدر على نقص واحد فقد كفر) [١] انتهى .

وهذا الحكم عام لا أنه يشمل بعضاً دون بعض ، فكل شيء قي السماوات والاراضين، من الخير ولشر ، والصلاح والفساد ، والمعصية والطاعة ، لايقع إلا بهذه السبعة ، لكن بالطور الذي ذكرنا ، والنمط الذي بينا الحاصل .

---

١. عنه ، عن أبيه ، عن فضالة بن أيوب ، عن محمد بن عمارة ، عن حريز بن عبد الله ، وعبد الله بن مسكان جميعاً : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (لا يكون شئ في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن ، وأجل ، وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) الكافي للشيخ الكليني ١ / ١٤٩ ، المحاسن لأحمد بن محمد البرقي ١ / ٢٤٤

هذا خلاصة الكلام ، ومختصر المقصود والمرام في العدل ، ولما كانت هذه المطالب بعيدة المنال ، عن أفهام الرجال ، فضلا عن أفهام أهل القيل والقال ، لعدم الأنس بها ، فعليك بالفحص عن التفصيل ، وتحقيق الحق بأتم دليل ، وأوضح سبيل ، عن ساير رسائلنا ومصنفاتنا ، وحيث إن الكتابة باستعجال في ضيق المجال ، وحال السفر ، وفصل الصيف والحر ، اكتفيت بالميسور ، إذ لايسقط بالمعسور .

عزيزي قبل أن تدقق النظر ، وتستعمل الفكر ، لاتستعجل بتفوه مالا يليق ، والقول بخلاف التحقيق ، ولا تجعل في بادىء سيرتك البحث والجدل ، وتكثير القيل والقال ، إذ هو منهي في أحسن المقال ، النازل من ذي العز والجلال .

نعم إن دققت النظر ، ووقفت على الخطأ والزلل ، فاحمله على السهو والنسيان ، المساوقين للإنسان ، وجد بقلم الإصلاح في الإصلاح ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الباب الثالث

في النبوة
وفيه فصول اثنا عشر

الفصل الأول

{ اللّه سبحانه لم يخلق الخلق عبثا }

الفصل الأول

{ اللّه سبحانه لم يخلق الخلق عبثا }

أثبتنا بالأدلة القاطعة العقلية والفطرة السليمة الخلقية ، أن الله سبحانه لم يخلق الخلايق عبثا ، ولم يدعهم جهالا ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [١] وقال في الحديث القدسي (كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لكي أعرف) [٢] وأثبتنا أيضا بالفطرة السليمة المستقيمة أن الله سبحانه لايدرك بوجه من الوجوه ، ولا يرى ولا يلمس ولا يشاهد ، عجزت العقول عن الوصول إلى سماء معرفته ، والبلوغ إلى درك صفة من صفاته ، والخلق كلهم عاجزون جاهلون لايعلمون أمور دينهم ، ولايعرفون صلاح دنياهم ، ولايميزون بين الحق والباطل ، والصالح والفاسد ، ولا يتمكنون من أخذ أحكام الشرايع بلا واسطة منه سبحانه ، بل هو محال لهم وممتنع ، فلذا خلق بينه وبين خلقه وسائط ، هم بطيب الطينة وطهرها معروفون ، وصفاء الطوية وحسنها موصوفون ، الذين قبلوا التكليف قبل كل الموجودات في عالم الذر، وسبقوها فيه بقول بلى ، معتدلوا القابلية ، مستقيموا الفطرة ، عظيموا المسارعة إلى طاعة ربهم ، الذين مرايا قابلياتهم أكثر استقامة من مرايا القوابل الإمكانية ، وجعلهم

---

١. سورة الذاريات آية (٥٦)

٢. رسائل الكركي للمحقق الكركي ١٥٩/٣ ، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ٢٢/١ ، عوالي الآلي لابن أبي جمهور الإحسائي ٥٥/١

وسائط فيضه ، وبلغ بهم أوامره ونواهيه إلى خلقه ، وهم المؤيدون من عند الله ، حفظهم الله من الخطأ ، وعصمهم من الزلل ، حتى يؤدوا من جانب الحق سبحانه إلى الخلق ما أمر الخلق به ، حتى ينالوا الغايات والنهايات .

فلا بد لهم أن لايروا لأنفسهم تحققا ولا أنية ، ويسارعون إلى أمر الله سبحانه بالمال واللسان والنفس والجنان ، فلولا هم لبقى الناس في التيه والضلالة ، ولم يجدوا سبيلا إلى طريق الحق والهداية ، وفقدت ثمرة الإيجاد ، وصار خلق الخلايق عبثا.

وقد أثبتنا أن الحكيم وفعله لايصدر منه العبث ، فوجب وجود الرسل و السفراء الذين هم الوسايط بين الله وبين خلقه ، حتى لايلزم الفساد الكلي ، في العالم العلوي والسفلي ، ومضمون ماذكرناه هو صريح ما بين أئمتنا في طي احتجاجاتهم مع الزنادقة وغيرهم .

منها ما ذكره الصدوق رحمه الله في علل الشرايع بإسناده إلى هشام بن الحكم : عن الصادق عليه السلام لما سأله الزنديق عن الدليل لإثبات إرسال الرسل وإنزال الكتب عن الله سبحانه قال عليه السلام : (لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ماخلق وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه ويلامسوه ويباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقائهم وفي تركه فناؤهم ، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه عز وجل وهم الأنبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبون بالحكمة مبعوثون بها غير مشاركين للناس في شيء من أحوالهم مؤيدون من عند الله الحكيم العليم

بالحكمة ، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت بـه الرسل والأنبياء من الـدلائل والـبراهين لكيلا تخلوا أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته) ١ الخ.

وفيه أيضا عن أبي بصير عن الصادق : لما سأله رجل عن سبب بعث الأنبياء والرسل قال عليه السلام لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ونذير وليكون حجة الله عليهم ألا تسمع الله عز وجل يقول حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴾ ٢ وأمثال هذين الخبرين كثيرة فأطلبها من مضانها .

---

١. حدثنا حمزة بن محمد العلوي قال : أخبرني علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمرو الفقيمي ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله " عليه السلام " أنه قال للزنديق الذي سأله من أين أثبت الرسل والأنبياء فقال : أنا لما أثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه ويلامسوه ويباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه ثبت ان له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقائهم وفي تركه فنائهم فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه عز وجل وهم الأنبياء وصفوته من خلقه حكماء مؤدبون بالحكمة مبعوثون بها غير مشاركين للناس في شئ من أحوالهم ، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة ، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان ما أتت به الرسل والأنبياء من الدلايل والبراهين لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم على صدق مقالته وجواز عدالته) علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ١٢٠ ، الكافي لليخ الكليني ١ / ١٦٨ ، التوحيد للشيخ الصدوق ٢٤٩

٢. حدثنا علي بن أحمد رحمه الله قال : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران ، عن عمه الحسين بن يزيد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير عن أبي عبد الله "عليه السلام " أنه سأله رجل فقال : لأي شئ بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس فقال لئلا يكون للناس على الله حجة من بعد الرسل ولئلا يقولوا ما جائنا من بشير ولا نذير وليكون حجة الله عليهم ألا تسمع الله عز وجل يقول : حكاية عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل (ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جائنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم إلا في ضلال كبير) . علل الشرائع - الشيخ الصدوق - ج ١ - ص ١٢٠ - ١٢١

الفصل الثاني

{ليس بين اللّه تعالى وبين الأنبياء نسبة حادثة }

الفصل الثاني

{ ليس بين الله تعالى وبين الأنبياء نسبة حادثة }

إياك ثم إياك أن تظن أن للأنبياء نسبة مع الله ومع الخلق ، ولذا من جهة النسبة مع الله يأخذون منه ، (و) جهة النسبة مع الخلق يوصلون ما أمرهم الله إليهم ، كما أن بعض الجهال والسفهاء اعتقدوا ذلك ، وقالوا بربط الحادث مع القديم والمناسبة بين الواجب والممكن ، حتى أني سمعت من بعضهم مشافهة وهو كفر وزندقة نعوذ بالله منه .

فليس بين الواجب والممكن مناسبة بوجه ، إذ الواجب مخالف للممكن في كل جهة، فذاك مستغني بالذات وهذا محتاج بالذات ، وصفات ذاك صفات الغنى والقدرة والكمال ، وصفات هذا صفات الفقر والاحتياج والعجز والنقصان ، فلا يكون هذا شبيها لذاك أبداً ، وإلا لزم أن يكون له سبحانه شبيهاً ، وقد نفى عن نفسه وقال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [1] وفي الحديث : (لايشابهه شيء ولايدانيه شيء ولايوافقه شيء)[2]

---

١. سورة الشورى آية (١١)

٢. عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء ، وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه) التوحيد للشيخ الصدوق ٨٠ ، البحار للشيخ المجلسي ٣ / ٢٩٠

وقـال الرضا عليه السلام : (فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته ، ولا إياه وحده من اكتنهه ، ولا حقيقته أصاب من مثله) [1]. وقال أيضا في هذه الخطبة (كنهه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه) [2] وحقيقة هذه المسألة مع بعض شقوقاته مبينة في ساير رسائلنا ومصنفاتنا .

الحاصل فالمناسبة والمشابهة بين الحق والخلق بجميع أنحائهما ووجوهها منتفية ومنفية.

وإياك أن تتوهم أيضا أن الأنبياء الذين هم أصحاب هذا المقام العظيم ، والمنصب الرفيع ، خلقهم الله سبحانه كذلك ، بلا مقتضى فيهم يكون سببا لقبولهم ، وأنهم وساير الخلق مساوون في هذه المرتبة ، يعني لو أعطي مقام الأنبياء لغيرهم من ساير الناس أيضا لكانوا أنبياء ، لأنه كفر وزندقة والحاد .

إذ الله سبحانه أجل من أن يظلم أحداً ويرجح أحداً بلا مرجح فيه ، أو يمنع فيضه من المستحقين ، كيف وهو الفياض على الإطلاق ؟ وأكرم الأكرمين تعالى ربي وتقدس ، بل كما بينا سابقا خلق الخلق بكمال عدله وحكمته ، بمقتضى قابلياتهم وحسب استعداداتهم ، ولم يظلم ولم يجبر أحداً ، أعطى كل أحد ما يستحقه ، وسأله بلسان استعداده ، كما أخبر عنه سبحانه في كلامه المجيد بقوله : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

---

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢ / ١٣٦ ، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٥ ، البحار للشيخ المجلسي ١١٠ / ٣٤ ، تحف القعول لأبن شعبة البحراني ٦١ ، الإحتجاج الطبرسي ٢ / ١٧٤

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ٢ / ١٣٦ ، التوحيد للشيخ الصدوق ٣٥ ، البحار للشيخ المجلسي ١١٠ / ٣٤ ، تحف القعول لأبن شعبة البحراني ٦١ ، الإحتجاج الطبرسي ٢ / ١٧٤

وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴾ [١]
وإنما وقع الاختلاف بين الخلايق في العوالم الثلاثة وهي الذرات الثلاثة وإلا قبل كان الناس أمة واحدة فأختلفوا.

الإختلاف الأول في الذر الأول، والعالم الأول، وهو عالم الجبروت بالمعنى، كاختلاف الحروف في المداد، والتكليف في هذا العالم جنسي مبهم.

والاختلاف الثاني بالرقايق، في العالم الثاني، الذي هو الذر الثاني، أسفل من الجبروت وأعلى من الملكوت وبرزخ بينهما، والتكليف فيه نوعي مبين.

والاختلاف الثالث بالصورة في العالم الثالث، الذي هو الذر الثالث، وهو عالم الملكوت، والتكليف فيه شخصي مميز، فمن أجاب أولاً أمر ربه في العوالم الثلاثة، وسبق كل الموجودات كان أقربهم إليه سبحانه، ولما كانت الطفرة باطلة، فأجرى الله سبحانه فيوضاته إلى ساير الموجودات بواسطة من أجابه أولا فصار هو باباً لله، ورسوله إلى ساير الموجودات، وإلا فنسبته إلى جميع الموجودات على السواء، ليست إلى بعض أقرب من الأخر، تعالى ربي وتقدس عن ذلك .

فالأنبياء سلام الله عليهم هم أول من أجابوا، وأممهم آخر من أجاب، فلا يمكن أن يصل المدد والفيض إلى الأمم بغير توسط أنبيائهم، ومحال أن يكون مرتبة النبي لأحد من أمته، وأن { يكون } يصلح غيره عليه السلام من أفراد أمته لهذا الأمر العظيم، والشأن الجليل، والرياسة الكبرى، وإلا لزم أن يتجاوز الشيء الإمكان الذي هو حده، وعدم صحة قوله

---

١. سورة المؤمنون آية (٧١)

تعالى في التأويل : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [1] ولـزم أيضـا الطفـرة في الوجـود ، وتقديم المؤخـر وتأخير المقدم ، ولزم أيضا أن يكون للسافل حكـم عـلى العـالي ، ولـزم أيضـا تقديم المفضول على الفاضل ، وهو { من } أشنع الأقوال ، وأقبح الاعتقـاد ، واللـه سـبحانه لهذه الجهة رد قول جماعة من أهل الضلال الذين قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ [2] يعني : لن نؤمن بالله ولن نقـر بالوحدانيـة والألوهيـة ، حتـى نـؤتى مـن العلـوم والمعـارف وخـوارق العـادات ، مثـل مـا أوتي رسـول الله ﷺ مـن الـولاية العظمـى ، والرياسـة الكـبرى ، فـرد اللـه قـــولهم بقوله :﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[3].

وأخبر سبحانه أيضا عن حال جماعة ادعوا هذا المنصب الجليل ، بقولـه في سـورة الأنفـــــــــال : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [4] .

الحاصل كيف يكون ويحصل رتبة النبوة لكل أحد من آحاد الخلق ؟ ومن اطلع على حقيقة الأمر ، علم أنه من جملة الممتنعات التي لايمكن تصورها ، بـل ليس لأحد رتبة الآخر ، وإلا لكان ذلك ، وفي تمام الوجود لم يكن اثنان متسـاويين كظـاهرهم ، إمـا مقـدم أو مـؤخر ، والتساوي لايمكن كما لايخفى لأولـي الإبصار .

ولا تعتني بما تسمع من بعض الصوفية حيث يقولون : إن الأنبيـاء لـن يصلـوا هـذا المقـام إلا بالرياضـات الصعبـة ، والمجاهدات النفسـانية ، والأعمال الصالحـة ، والاعتزال مـن

---

١. سورة الصافات آية (١٦٤)
٢. سورة الأنعام آية (١٢٤)
٣. سورة الأنعام آية (١٢٤)
٤. سورة الأنفال آية (٢٣)

الخلق بالمرة ، والتوجه إلى الحق بالكلية ، ففعلوا ماذكر حتى قويت فيهم جهة الرب ، وزالت واضمحلت جهة النفس .

وأيضا قووا جهة الرب بالإعمال الصالحة المرضية ، والتوجهات الحقيقية ، وأزالوا بها جهة النفس بالكلية ، حتى اندكت جبال الآنية ، وانهدمت بنيان الماهية ، فلم يروا أنفسهم بالكلية ، ولما لم يروا أنفسهم رأوا الحق بأنفسهم ، وأعترتهم حالة الفناء في الله ، والسفر بالحق في الحق ، وبقوا في هذا المقام ماشاء الله ، فحصلت لهم حالة البقاء بالله ، الذي هو مقام الصحو بعد السكر ، والبقاء بعد الفناء ، والوجود بعد العدم ، فيسافرون لإكمال الناقصين ، وإتمام القاصرين ، من الحق إلى الخلق ، فيرون في الخلق بالحق ، ويسمعون بالحق ، ويعلمون بالحق ، وهو سفر من الخلق إلى الحق ، وسفر في الخلق بالحق .

وهذه المراتب الأربعة يسمونها بالأسفار الأربعة [1] وقوسي الصعود والنزول أيضا ، ويقولون : إن الشخص إذا طوى هذه المراتب الأربعة كان رسولا ، وبعد الانتفاع من الرسالة كان ولياً ، يقولون : إن الرسالة أدنى مرتبة من الولاية ، وحتى أني سمعت من بعض، نقل أنه سمع من رجل من الصوفية { يقول } : إن الرسالة حيض الرجال .

الحاصل ماقالوه باجماله صحيح ، لكن لم يعلموا أن هذه الأسفار الأربعة ، تكمل الإنسان وتوصله إلى كمال وحد ، يتصور في حقه بالنسبة إلى الرتبة { التي } هي له ، ولا تجعله

---

١. حول الأسفار الأربعة المعنوية اعلم أن للإنسان غير هذه السفرة المادية ، سفرة معنوية ، وهذه السفرة في لحاظ واعتبار تنقسم إلى أربعة : الأولى : من الخلق إلى الحق ، وبدايته من النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين ، وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الأسمائية . الثانية : هو السير في الله - بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه - إلى الأفق الأعلى ونهاية الحضرة الواحدية . الثالثة : هو الترقي والسير إلى عالم الجمع والحضرة الأحدية ، وهو مقام " قاب قوسين " ، فلا تبقى الاثنينية ، فإذا يطلع مقام " أو أدنى " ، وهي نهاية الولاية . الرابعة : هو السير بالله من الله إلى الخلق للتكميل ، وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع . ... تفسير القرآن للسيد مصطفى الخميني ٢ / ٤٩

كاملاً مطلقاً ، لأنا ذكرنا في رسائلنا، وأثبتنا أن الوجود صاحب مراتب وأوضاع ، والحق سبحانه يتجلى له بحسب تلك المرتبة ، فرتبة فناء في الله ، وبقاء بالله في الأشخاص متفاوتة ، حتى للنملة أيضا هذه المراتب ، ولذا ترقت وصعدت إلى مقام نفسها ، عرفت أن لله زبانتين نعم الذي قطع هذه المراحل كان أكمل ممن لم يقطعها ، لكن لم يكن كاملاً مطلقاً .

أما ترى أن الحيوان لم يكن نبياً على الإنسان ، وكذا الحشرات على الحيوانات ، والنباتات على الحشرات ، والجمادات على النباتات ، والحال أنه لكل واحدة منها { لها هذه } المراتب الأربعة المذكورة ، وهكذا أيضا بعينه حال الإنسان بالنسبة إلى الأنبياء ، إذ سائر الناس كلا خلقوا من شعاعهم ، ونسبة ساير الناس إليهم عليهم السلام مثل الشمس إلى شعاعها ، والشعاع إلى ظله وهكذا ، فمن حصل له قطع المسافة الباطنية لايصل إلى رتبة الأنبياء أبداً ، وإن صفى قلبه منتهى الصفاء .

إذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو من كان في المرتبة الأولى من الوجود ، وقطع الأسفار الأربعة ، وإن كانوا في قطع المسافة متساويين ، لكن الأنبياء في المرتبة أعلى .

وإن أردت أن تنكشف لك حقيقة هذه المسألة ، اجعل مرآتين قبال السراج ، أحداهما في قربه ، والأخرى بعيدة عنه ، وانظر إلى انطباع نور السراج في أحداهما بالنسبة إلى الأخرى ، وإلى تفاوت النور في المرآة البعيدة من السراج ، بالنسبة إلى النور الموجود في الأرض الخالية من السراج ، وتفاوت ذلك النور بالنسبة إلى الأظلة ، ويكون نظرك بعين البصيرة ، حتى تظهر لك حقيقة الأمر ، ويرتفع القناع عن وجه المسألة .

ولولا العجلة وضيق الوقت ، لبينا لك حقيقة هذه المسألة مع ساير المراتب الأربعة ، ومايقع للمسافر في كل سفر من الأسفار الأربعة ، وفي بعض رسائلنا ذكرنا بعض هذه المراتب ، وشرائط السفر بالإجمال ، إن أردت فراجع.

الفصل الثالث

{ الأنبياء من نوع الإنسان }

الفصل الثالث

{الأنبياء من نوع الإنسان }

اعلـم أن الأنبياء لابـد أن يكونـوا مـن نوع الإنسان لا من الملائكة لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول : أن سبب بعثة الأنبياء هو أن الخلق كانوا في نهاية التعلـق ، والتدنس والاختلاط بعالم الأجسام والشهود ، الذي هو أسفل العوالم وأدنى المراتب وأقل المقامـات ، وليس عندهم خبر من العوالم العلوية المعنويـة الغيبية المجردة مـن المـواد العنصر-ية الدنيويـة ، لعدم صعودهم إلى تلـك المـدارج والكمـالات ، لفقـدهم الشر-وط المقررة لمسافري السـفر الباطني.

ففـي أول دفعـة لـيس لهـم أنـس بأهـل العـالم العلـوي ، والأنـوار المجـردة ، لعـدم المناسبة بينهم ، فأحتاجوا إلى وسايط بينهم وبين العالم العلوي ، أولى جهتين وذوات وجهين ، وجه إلى العـالم العلـوي المعنـوي الغيبـي ، الـذي بـه يتلقـى الفـيض ، ووجـه إلى العـالم السـفلي الجسمي ، الذي به يوصل الفيض إلى المستحقين ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة.

وأمـا الملائكـة فهـم أنـوار مجردة عن المواد العنصرية الدنيويـة ، خاليـة عـن القـوة والاستعداد ، وليس لهم أصلاً وقطعاً تعلق بالعالم السفلي الجسـمي الشـهودي ، كما قـال أمـير

المؤمنين عليه السلام في وصفهم (صور عاريـة ، عن المواد عالية عن القوة والاستعداد ، تجلى بهـا فأشرقت ، وطالعها فتلألأت ، وألقى في هويتها مثاله ، فأظهر عنها أفعاله) [١] الحديث.

والمبتلى بالعلائق الجسمانية لـيس لـه حـظ في تلقـي الفـيض مـن الأرواح المجـردة ، عكس الملائكة فتنتفي العلة الغائية للبعثة ، والحق سبحانه أجـل مـن أن يصـدر عنـه فعـل عبث تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا ، لاجرم تعين كون الواسطة بشراً ، ليكون بظاهره مناسباً للناس حتى يأنسوا به ، وكل أحد لاينفر من أبناء جنسه ، فيتلقـون الفـيض مـن أوامـر الله ونواهيه منه ، لقربه منهم وأنسهم به.

الوجه الثـاني : إن خلق الملائكة بحيث لايرونهم الخلق إلا في حـال الاحتضـار ، كما أنه سبحانه رد أقوال الذين قالوا : لايكـون بـد أن الرسـول ملكـاً بهـذا ، وأخـبر بقولـه : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [٢] وقال في مقام آخـر : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [٣] يعنـي : إن اليوم الذي يرون الملائكة ليس للمذنبين فيه البشارة بالتوبة والثواب ، إذ ذلك اليوم حالة الموت ، وإلا فقبل الموت لكل أحد بشارة بالجنة بتوبته ، والسبب أن الملائكة أنوار مجـردة ، وهـم مـن العـوالم العلوية ، وأمـا أهل عالم الناسوت المبتلون بجلباب البشـرية ، والمقيـدون بالعلائق الجسمانية ، لايمكن لهم الملاقات والمصاحبة مع أهل عوالم الملكوت ، إلا بالخلاص عن هذه العلائق والجلباب وبعدها عنهم ، وهذا لايتفق لهم ولا يمكـن إلا حـال الموت وإلا

---

١. البحار للشيخ المجلسي ٤٠ / ١٦٥ ، مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشهرودي ١ / ٢٣٦ ، ميزان الحكمـة لمحمد الريشهري ١ / ٧٧٥

٢. سورة الأنعام آية (٨)

٣. سورة الفرقان آية (٢٢)

قضية موسى عليه السلام ، واندكاك الجبل ، وغشوة موسى عليه السلام ، وموت بني إسرائيل ، ولذا قال الإمام عليه السلام (إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشف واحد منها لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى بصره من خلقه) وفي رواية أخرى : (إن لله سبعين ألف حجاب من نور لو كشف حجاب منها لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى إليه بصره من خلقه) ١.

فمن كان له ذوق سليم وطبع مستقيم ، لعرف ماذكرنا ، وإلا فلا ينكر لكي لايكون في زمرة : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ ٢ نعوذ بالله .

فمن كان ذا فهم يشاهد ماقلنا وإن لم يكن ذا فهم فيأخذه منا

الوجه الثالث : إن الأنبياء عندنا الامامية كما نذكر عن قريب أفضل من الملائكة، فان كان كذلك ، فكيف يقدم المفضول على الفاضل والبعيد على القريب ؟ أما ترى أن العلماء جعلوا مرتبة الملائكة أنزل من مرتبة الإنسان ، واتفقوا على ذلك إلا شاذ من المخالفين ، وقالوا : إن الموجودات على ثلاثة أنواع : كامل ليس للنقصان إليه طريق وهو الواجب سبحانه ، وناقص ليس للكمال إليه طريق وهو الملائكة ، ومتوسط الحال قابل للكمال والنقصان وهو الإنسان ، وليس شك في تفضيل الثالث على الثاني ، وأكمل أفراد الإنسان الأنبياء ، فكيف يكونون أنزل من الملائكة ومحكومين بحكمهم؟ ولذا قال الله سبحانه: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ ٣.

---

١. الرواية الموجودة في البحار للشخ المجلسي (أن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) ٧٣ / ٣١

٢. سورة يونس آية (٣٩)

٣. سورة الأنعام آية (٩)

الفصل الرابع

{الأنبياء أفضل من الملائكة المقربين }

الفصل الرابع

{الأنبياء أفضل من الملائكة المقربين }

اعلم أن الأنبياء أفضل من الملائكة المقربين إلا الكروبيين ، والملائكة العالين حملة العرش الذين لم يسجدوا لآدم حين أمر الله الملائكة للسجود لآدم عليه السلام ، ويدل على ذلك قول الله سبحانه لابليس حين امتنع من السجود مع الملائكة لآدم : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [1] وقول الصادق عليه السلام في حق الكروبيين ما معناه قال : (أن الكروبيين قوم من شيعتنا خلف العرش ، من الخلق الأول ، جعلهم الله خلف العرش ، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ثم قال إن موسى لما سئل ربه ما سأل ، أمر واحداً من الكروبيين ، ولما أراد موسى على نبينا وآله وعليه السلام من ربه ما أراد من أمر الرؤية أمر الله سبحانه لواحد منهم فظهر من نوره لموسى بقدر رأس الإبرة فدك الجبل وخر موسى صعقا وكيف لايكون الأنبياء) [2] أفضل وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فسجدوا كلهم إلا الأربعة حملة العرش؟

---

١. سورة ص آية (٧٥)

٢. قال أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام (إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول ، جعلهم الله خلف العرش ، لو قسم نور واحد منه على أهل الأرض لكفاهم ، ثم قال إن موسى لما سأل ربه ما سأل ، أمر واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكاً) بصائر الدرجات للشيخ محمد بن الحسن الصفار ٨٩ ، مستطرفات السرائر لأبن أدريس الحلي ٥٦٩ ، البحار للشيخ المجلسي ١٣ / ٢٢٤

إن قلت : أن السجود لآدم عليه السلام لايدل على تفضيله عليهم ، إذ آدم عليه السلام بنفسه لم يكن مسجودا للملائكة ، بل السجود حقيقة لله سبحانه ، لكن آدم وجه يتوجهون به إلى الله بإذنه وأمره ، كتوجهنا إلى الكعبة.

قلنا : إن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لمطلق الوجه ومجرده ، بل كان لتعظيم آدم وتوقيره ، إذ لو كان لمجرد الوجه لما كان لعدم سجود العالين الذين هم حقايق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وجه بوجه ، ولسجدوا لله سبحانه ، والحال أنهم لم يسجدوا بنص قوله : ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [1] إذ تعظيم آدم وإكرامه إنما كان لاحترام العالين ، والأنوار المقدسة الطاهرين ، الذين هم حقايق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، والأدلة عليه في المقام كثيرة ، والكلام فيه طويل الذيل ، نسكت عن الكلام ، ونكتفي في المقام بخبر جامع لكل مايرام ، وإن كان طويلاً لكن لإشتماله على المطالب العالية ، والجواهر الثمينة الغالية ، نذكره بطوله.

روى الشيخ الصدوق في كتابه (علل الشرايع) بإسناده عن عبدالمسلم بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ما خلق الله عز وجل خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني قال علي صلوات الله عليه : فقلت : يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ياعلي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك ياعلي وللأئمة من بعدك وان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا ، ياعلي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم

---

١. سورة ص آية (٧٥)

ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا ، ياعلي لولا نحن ماخلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ، لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده . ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقين وأنه منزه عن صفاتنا . فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته من صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا اله إلا الله ، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظم المحل إلا به فلما شاهدوا ما جعل لنا من العزة والقوة قلنا : لاحول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لاحول ولاقوة إلا بالله ، فلما شاهدوا ماأنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا : الحمد لله لتعلم الملائكة بالحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة : الحمد لله . فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثم إن الله تبارك و تعالى خلق آدم عليه السلام فأودعنا في صلبه ،أمر الملائكة بالسجود، له تعظيما وإكراما وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراما وطاعة ، لكوننا في صلبه فكيف لانكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون.

وانه لما عرج بي إلى السماء أذن جبرائيل مثنى مثنى وأقام مثنى مثنى ثم قال لي : تقدم يامحمد فقلت له : ياجبرائيل أتقدم عليك؟ فقال : نعم لأن الله تبارك وتعالى فضل أنبيائه على ملائكته أجمعين.

وفضلك خاصة . فتقدمت فصليت ولافخر . فلما انتهيت إلى حجب النور فقال لي جبرائيل : تقدم يامحمد ، وتخلف مني . فقلت : ياجبرائيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال : يامحمد إن انتهاء حدي الذي وضعني فيه إلى هذا المكان فان تجاوزته احترقت اجنحتي

بتعدي حدود ربي جل جلاله. فزخني في النور زخة حتى انتهيت إلى حيث ماشاء الله من علو ملكه فنوديت يامحمد . فقلت : لبيك ربي وسعديك تباركت وتعاليت . فنوديت : يامحمد أنت عبدي وأنا ربك فاياي فأعبد وعلي فتوكل فانك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجتي على بريتي لك ولمن تبعك خلقت جنتي ولمن خالفك خلقت ناري ولأوصيائك أوجبت كرامتي ولشيعتهم أوجبت ثوابي . فقلت ياربي من أوصيائي؟ فنوديت يامحمد أوصيائك المكتوبون على ساق عرشي فنظرت وأنا بين يدي ربي جل جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثني عشر نورا في كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم مهدي أمتي عليه السلام.

فقلت ياربي هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت يامحمد هؤلاء أوليائي وأحبائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريتي وهم أوصيائك وخلفائك وخير خلقي بعدك ، وعزتي وجلالي لأظهرن بهم ديني ولأعلين بهم كلمتي ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي ولأملكنه مشارق الأرض ومغاربها ولأسخرن له الرياح ولأذللن له السحاب الصعاب ولأرقينه في الأسباب ولأنصرنه بجندي ولأمدنه بملائكتي حتى تعلو دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي ثم لأديمن ملكه ولأداولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة) [١]. تم الخبر الشريف، اللهم عجل فرجهم وسهل مخرجهم ، وأهلك أعداءهم من الجن والإنس من الأولين والآخرين إلى يوم الدين ، اللهم اجعلني ممن يكر في رجعتهم ، ويملك في دولتهم ، ويشرف في عافيتهم ، إنك على كل شيء قدير، قد ذكرنا الخبر بطوله لاشتماله على مطالب غريبة ، وأسرار عجيبة.

---

١. علل الشرائع للشيخ الصدوق ١ / ٥ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام للشخ الصدوق ٢ / ٢٣٧ ، حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني ١ / ١٠ ، البحار للشيخ المجلسي ١٨ / ٣٤٥

الفصل الخامس

{لابد للنبي أن يكون جامعاً للكمالات الحسنة }

الفصل الخامس

{لابد للنبي أن يكون جامعاً للكمالات الحسنة}

إن النبي ﷺ لابد أن يكون جامعاً للكمالات الحسنة ، ومتخلقاً بأخلاق رضية مرضية ، بحيث لايكون خالياً من صفة كمال يأمر بها رعيته وأمته ، ومبرء من قبائح الأعمال وأخلاق السوء ، والمعاصي الكبائر والصغائر ، وكل ما هو موجب لنفرة الطبائع ، كالغلظة والخلق السيء ، حتى يميل الناس إليه ، ويرغبون فيه ، ولا ينفرون منه ، ومتمكن من إجراء أوامر الله ونواهيه فيهم على النهج الذي أمر به ، ولذا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ [1] كالحسد والبخل ، ودناءة الآباء والأمهات، وأن لايكون أنثى إذ ليس لها ولاية على الرجال ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ [2].

وأن لايكون خنثى وأعمى وأشل ومجذوم ، ولايكون مبتلى بأمراض موجبة لنفرة الطبائع والنفوس منه ، وأن يكون معصوماً من جميع المعاصي ، الكبيرة والصغيرة عمداً وسهواً، وأصول المعاصي مطلقاً منحصرة في أربعة أشياء : الحرص ، والحسد ، والغضب ، والشهوة ، وجميع المعاصي تتشعب من هذه الأربعة ، والنبي لابد أن يكون منزهاً ومبرءاً منها وإلا لما كان نبيا.

---

١. سورة آل عمران آية (١٥٩)

٢. سورة النساء آية (٣٤)

أما الحرص يعني كونه منزها فلأن جميع أموال الدنيا تحت تصرف النبي ، إن شاء تصرف فيها بإذن الله سبحانه كيفما شاء ، إن أراد أن يجعل الجبال والحجر والمدر والحصى ذهباً وفضة ، لفعل بإذن الله.

والحرص لايكون إلا على شيء ليس عنده ، أو لم يتمكن عليه ، أو يخاف زوال ماعنده ، فان كان النبي كما ذكرنا متمكنا من جميع ما أراد بإذن الله تعالى ، مما في أيدي الناس وغيره ، ولا يخاف زواله ، فكيف يحرص على شيء؟

وأما كونه منزها من الحسد فلأن { الحاسد } ممن تكون مرتبته أنزل ممن يحسده ، وليس مرتبة أعلى من النبوة والولاية فكيف يحسده النبي ؟ ومن هو أعلى منه حتى يحسده ؟

وأما الغضب فلما ذكرنا ، نعم يغضبون في جنب الله ولله ، في إقامة الحدود وأمثالها.

وأما الشهوة يعني شهوة الدنيا وحبها فهم أيضا منزهون منها ، لأنهم أعرضوا عن الدنيا وما فيها ، وما بعثوا إلا لترغيب الناس إلى الآخرة ، وتحريصهم إلى الإعراض عنها ، فكيف يحذرون الخلق عنها وتكون فيهم .

وأما شهوة الآخرة والموت فهم في الدرجة العليا منها ، بحيث لايصل إليها أحد غيرهم ، لأنهم لما قتلوا أنفسهم في طاعة الله سبحانه وعبادته ، وجاهدوا في مرضاته ، وجنبوا الأغيار وأخرجوها عن قلوبهم ، وطهروا ظاهرهم كباطنهم بالرياضات الربانية ، والمجاهدات النفسانيه تجلى الله سبحانه إليهم لظاهرهم وباطنهم ، وعرفهم الحيث والكم والكيف ، والمفصول والموصول ، ومآل أمرهم من أحوال الآخرة والقيامة ، والجنة والنار ، والحساب والميزان ، والمقامات والعلامات ، قبل أن يفارقوا عالم الأجسام ظاهراً ويخرجوا

عنها ، وإن كانوا في الحقيقة خارجين عنها ، إذ الشيء لايدرك إلا ما هو من سنخه وجنسه ، وهذه الأمور ليست بجسماني ولا من الأجسام .

الحاصل عرفهم تلك الأمور ، بحيث وصلوا إلى مرتبة اليقين ، فلو رفع من البين حجاب الأجسام ، لما زاد لهم يقين على ماعرفوا من تلك الأمور : (لو كشف الغطاء لما ازددت يقينا) ١ .

الحاصل : فالدنيا وما فيها عندهم كالميتة العفنة ، لو اشتم أحد رائحتها لهلك ، ولو رآها الإنسان من بعيد لفر منها فراسخ ، فلا يقرب منها ، ولا يجتمع عليها إلا الكلاب ، وأبناء جنسها.

الدنيا جيفة وطلابها كلاب ، فهل رأيت أنساناً يميل إلى هذه الحالة ، مع مشاهدته التنعمات والتلذذات الأخروية الروحانية والجسمانية ، وعلمه بأن الميل بهذه الحالة سبب لزوال هذه النعم الدائمة ، ومانع من الوصول إليها ، ولذا جمع من الكملين بواسطة مشاهدتهم تلك الحالات والمقامات نزلوا الدنيا منزلة الجيفة ، كما قال سيد العارفين عليه السلام ٢ ولم يرغبوا فيها أبداً ، ولولا ضيق الوقت لذكرنا لك بعض التمثيلات في حق الدنيا ، التي ذكرها الحكيم العظيم (بلوهر) للشاه زادة يوذاسف ٣ فإذا كان حال بعض من كملي سائر

---

١. التحفة السنية للسيد نعمة الله الجزائري ٧ ، الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ١٣٧ ، البحارللشيخ المجلسي ٦٤ / ٣٢١ ، شرح أصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ٣ / ١٧٣

٢. قال أمير المؤمنين عليه السلام (الدنيا جيفة ، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ١ / ٣٤٧ ، كنز العمال للمقتفي الهندي ٣ / ٧١٩

٣. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٥٧٧ - ٥٨٣

دثنا أحمد بن الحسن القطان قال : حدثنا الحسن بن علي السكري قال : حدثنا محمد بن زكريا قال :) فقد بلغني أن ملكا من ملوك الهند كان كثير الجند واسع المملكة مهيبا في أنفس الناس ، مظفرا على الأعداء ، وكان مع ذلك عظيم النهمة في

شهوات الدنيا ولذاتها وملاهيها ، مؤثرا لهواه ، مطيعا له ، وكان أحب الناس إليه وأنصحهم له في نفسه من زين له حاله وحسن رأيه ، وابغض الناس وأغشهم له في نفسه من امره بغيرها وترك امره فيها ، ، وكان قد أصاب الملك فيها في حداثة سنة وعنفوان شبابه وكان له رأي أصيل ولسان بليغ ومعرفة بتدبير الناس ، وضبطهم ، فعرف الناس ذلك منه فانقادوا له ، وخضع له كل صعب وذلول ، واجتمع له سكر الشباب وسكر السلطان ، والشهوة والعجب ، ثم قوى ذلك ما أصاب من الظفر على من ناصبه والقهر لأهل مملكته ، وانقياد الناس له ، فاستطال على الناس واحتقرهم ، ثم ازداد عجبا برأيه ونفسه لما مدحه الناس وزينوا أمره عنده ، فكان لا همة له إلا الدنيا وكانت الدنيا له مؤاتية ، لا يريد منها شيئا إلا ناله ، غير أنه كان مئناثا لا يولد له ذكر ، وقد كان الدين فشا في أرضه قبل ملكه ، وكثر أهله ، فزين له الشيطان عداوة الدين وأهله وأضر بأهل الدين فأقصاهم مخافة على ملكه ، وقرب أهل الأوثان ، وصنع لهم أصناما من ذهب وفضة ، وفضلهم وشرفهم ، وسجد لا صنامهم . فلما رأى الناس ذلك منه سارعوا إلى عبادة الأوثان والاستخفاف بأهل الدين ، ثم إن الملك سأل يوما عن رجل من أهل بلاده كانت له منه منزلة حسنة ومكانة رفيعة وكان أراد ليستعين به على بعض أموره ويحبه ويكرمه ، فقيل له : أيها الملك أنه قد خلع الدنيا وخلا منها ولحق بالنساك فثقل ذلك على الملك ، وشق عليه ، ثم إنه أرسل إليه فأتي به ، فلما نظر إليه في زي النساك وتخشعهم زبره وشتمه وقال له : بينا أنت من عبيدي وعيون أهل مملكتي ووجههم وأشرافهم إذ فضحت نفسك وضيعت أهلك ومالك واتبعت أهل البطالة والخسارة حتى صرت ضحكه ومثلا ، و قد كنت أعددتك لمهم أموري ، والاستعانة بك على ما ينوبني ، فقال له : أيها الملك إنه إن لم يكن لي عليك حق فلعقلك عليك حق ، فاستمع قولي بغير غضب ، ثم أمر بما بدا لك بعد الفهم والتثبيت ، فإن الغضب عدو العقل ، ولذلك يحول بين صاحبه وبين الفهم ، قال الملك : قل ما بدا لك . قال الناسك : فإني أسألك أيها الملك أفي ذنبي على نفسي عتبت على أم في ذنب مني إليك سالف ؟ . قال الملك : إن ذنبك إلى نفسك أعظم الذنوب عندي ، وليس كلما أراد رجل من رعيتي أن يهلك نفسه أخلي بينه وبين ذلك ، ولكني أعد إهلاكه نفسه كإهلاكه لغيره ممن أنا وليه والحاكم عليه وله ، فأنا أحكم عليك لنفسك وآخذ لها منك إذ ضيعت أنت ذلك ، فقال له الناسك : أراك أيها الملك لا تأخذني إلا بحجة ولإنفاذ لحجة إلا عند قاض ، وليس عليك من الناس قاض ، لكن عندك قضاة وأنت لأحكامهم منفذ ، وأنا ببعضهم راض ، ومن بعضهم مشفق . قال الملك : وما أولئك القضاة ؟ قال : أما الذي أرضى قضاءه فعقلك ، وأما الذي أنا مشفق منه فهواك ، قال الملك : قل ما بدا لك وأصدقني خبرك ومتى كان هذا رأيك ؟ ومن أغواك ؟ قال : أما خبري فإني كنت سمعت كلمة في حداثة سني وقعت في قلبي فصارت كالحبة المزروعة ، ثم لم تزل تنمي حتى صارت شجرة إلى ما ترى ، وذلك ؟ أني (كنت) قد سمعت قائلا يقول : يحسب الجاهل الامر الذي هو لا شئ شيئا والامر الذي هو الشئ لا شئ ، ومن لم يرفض الامر الذي هو لا شئ لم ينل الامر الذي هو الشئ ، ومن لم يبصر الامر الذي هو الشئ لم تطب نفسه برفض الامر الذي هو لا شئ ، والشئ هو الآخرة ، واللاشئ هو الدنيا ، فكان لهذه الكلمة عندي قرار لأني وجدت الدنيا حياتها موتا وغناها فقرا ، وفرحها ترحا ، وصحتها سقما ، وقوتها ضعفا ، وعزها ذلا ، وكيف لا تكون حياتها موتا ، وإنما يحيى فيها صاحبها ليموت ، وهو من الموت على يقين ، ومن الحياة علي قلعة ، وكيف لا يكون غناؤها فقرا وليس يصيب أحد منها شيئا إلا احتاج لذلك الشئ إلى شئ آخر يصلحه وإلى أشياء لابد له منها . ومثل ذلك أن الرجل ربما يحتاج إلى دابة فإذا أصابها احتاج إلى علفها و قيمها ومربطها (١) وأدواتها ، ثم احتاج لكل شئ من ذلك إلى شئ آخر يصلحه وإلى أشياء لابد له منها ، فمتى تنقضي حاجة من هو كذلك وفاقته ؟ وكيف لا يكون فرحها ترحا وهي مرصدة لكل من أصاب منها قرة عين أن يرى من ذلك الامر بعينه أضعافه من الحزن ، إن رأى

سرورا في ولده فما ينتظر من الأحزان في موته وسقمه وجايحة ان أصابته أعظم من سروره به ، وإن رأى السرور في مال فما يتخوف من التلف أن يدخل عليه أعظم من سروره بالمال ، فإذا كان الامر كذلك فأحق الناس بأن لا يتلبس بشيء منها لمن عرف هذا منها . وكيف لا يكون صحتها سقما وإنما صحتها من أخلاطها وأصح أخلاطها وأقربها من الحياة الدم ، وأظهر ما يكون الانسان دما أخلق ما يكون صاحبه بموت الفجأة ، والذبحة والطاعون (٢) والآكلة والبرسام ، وكيف لا يكون قوتها ضعفا وإنما تجمع القوى فيها ما يضره ويوبقه ، وكيف لا يكون عزها ذلا ولم ير فيها عز قط إلا أورث أهله ذلا طويلا ، غير أن أيام العز قصيرة ، وأيام الذل طويلة ، فأحق الناس بذم الدنيا لمن بسطت له الدنيا فأصاب حاجته منها فهو يتوقع كل يوم وليلة وساعة وطرفة عين أن يعدي على ماله فيجتاح ، وعلى حميمه فيختطف وعلى جمعه فينهب ، وأن يؤتى بنيانه من القواعد فيهدم ، وأن يدب الموت إلى حشده فيستأصل ، ويفجع بكل ما هو به ضنين . فأذم إليك أيها الملك الدنيا الآخذة ما تعطي ، والمورثة بعد ذلك التبعة ، السلابة (صفحة ٥٨١) لمن تكسو ، والمورثة بعد ذلك العرى ، المواضعة لمن ترفع ، والمورثة بعد ذلك الجزع ، التاركة لمن يعشقها ، والمورثة بعد ذلك الشقوة ، المغوية لمن أطاعها واغتر بها ، الغدارة بمن ائتمنها وركن إليها ، هي المركب القموص والصاحب الخؤون ، و الطريق الزلق ، والمهبط المهوي ، هي المكرمة التي لا تكرم أحدا إلا أهانته ، المحبوبة التي لا تحب أحدا ، الملزومة التي لا تلزم أحدا ، يوفي لها وتغدر، ويصدق لها و تكذب ، وينجز لها وتخلف ، هي المعوجة لمن استقام بها ، المتلاعبة بمن استمكنت منه ، بينا هي تطعمه إذ حولته مأكولا ، وبينا هي تخدمه إذ جعلته خادما ، وبينا هي تضحكه إذ ضحكت منه ، وبينا هي تشمته إذ شمتت منه (٣) وبينا هي تبكيه إذا بكت عليه ، وبينا هي قد بسطت يده بالعطية إذ بسطتها بالمسألة ، وبينا هو فيها عزيز إذ أذلته وبينا هو فيها مكرم إذ أهانته ، وبينا هو فيها معظم إذ صار محقورا ، وبينا هو رفيع إذ وضعته ، وبينا هي له مطيعة إذ عصته ، وبينا هو فيها مسرور إذ أحزنته ، وبينا هو فيها شبعان إذ أجاعته ، وبينا هو فيها حي إذ أماتته . فأف لها من دار إذ كان هذا فعالها ، وهذه صفتها ، تضع التاج على رأسه غدوة وتعفر خدة بالتراب عشية ، وتحلى الأيدي بأسورة الذهب عشية ، وتجعلها في الأغلال غدوة ، وتقعد الرجل على السرير غدوة ، وترمي به في السجن عشية ، تفرش له الديباج عشية ، تفرش له التراب غدوة ، وتجمع له الملاهي والمعازف غدوة ، و تجمع عليه النوائح والنوادب عشية ، تحبب إلى أهله قربه عشية ، وتحبب إليهم بعده غدوة ، تطيب ريحه غدوة وتنتن ريحه عشية ، فهو متوقع لسطواتها ، غير ناج من فتنتها وبلائها ، تمتع نفسه من أحاديثها وعينه من أعاجيبها ، ويده مملوءة من جمعها ثم تصبح الكف صفرا ، والعين هامدة ، ذهب ما ذهب ، وهوى ما هوى ، وباد ما باد ، وهلك ما هلك ، تجد في كل من كل خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا ، تسكن دار كل قرن قرنا ، وتطعم سؤر كل قوم قوما ، تقعد الأراذل مكان الأفاضل ، والعجزة مكان الحزمة تنقل أقواما من الجدب إلى الخصب ، ومن الرجلة إلى المركب ومن البؤس إلى النعمة ، ومن الشدة إلى الرخاء، ومن الشقاء إلى الخفض والدعة حتى إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم الخصب ، ونزعت منهم القوة . فعادوا إلى أبأس البؤس ، وأفقر الفقر ، وأجدب الجدب . فأما قولك أيها الملك في إضاعة الأهل وتركهم فإني لم أضيعهم، ولم أتركهم بل وصلتهم وانقطعت إليهم ، ولكني كنت وأنا أنظر بعين مسحورة لا أعرف بها الأهل من الغرباء ولا الأعداء من الأولياء ، فلما انجلى عني السحر استبدلت بالعين المسحورة عينا صحيحة ، واستبنت الأعداء من الأولياء ، والأقرباء من الغرباء ، فإذا الذين كنت أعدهم أهلين وأصدقاء وإخوانا وخلطاء إنما هو سباع ضارية لا همة لهم إلا أن تأكلني وتأكل بي ، غير أن اختلاف منازلهم في ذلك على قدر القوة ، فمنهم كالأسد في شدة السورة ومنهم كالذئب في

الغارة والنهبة ، ومنهم كالكلب في الهرير والبصبصة ، ومنهم كالثعلب في الحيلة السرقة ، فالطرق واحدة والقلوب مختلفة. فلو أنك أيها الملك في عظيم ما أنت فيه من ملكك ، وكثرة من تبعك ومن أهلك وجنودك وحاشيتك وأهل طاعتك ، نظرت في أمرك عرفت أنك فريد وحيد ، ليس معك أحد من جميع أهل الأرض ، وذلك أنك قد عرفت أن عامة الأمم عدو لك ، وأن هذه الأمة التي أوتيت الملك عليها كثيرة الحسد من أهل العداوة والغش لك الذين هم أشد عداوة لك من السباع الضارية ، وأشد حنقا عليك من كل الأمم الغريبة ، وإذا صرت إلى أهل طاعتك ومعونتك وقرابتك وجدت لهم قوما يعملون عملا بأجر ، يحرصون مع ذلك أن ينقصوك من العمل فيزدادوك من الاجر ، و إذا صرت إلى أهل خاصتك وقرابتك صرت إلى قوم جعلت كدك وحدك وكدحك ومهناك وكسبك لهم ، فأنت تودي إليهم كل يوم الضريبة ، وليس كلهم وان وزعت بينهم جميع كدك عنك براض فإن أنت حبست عنهم ذلك فليس منهم البتة راض ، أفلا ترى أنك أيها الملك وحيد لا أهل لك ولا مال . فأما أنا فإن لي أهلا ومالا وإخوانا وأخوات وأولياء ، لا يأكلوني ، ولا يأكلون بي ، يحبوني وأحبهم ، فلا يفقد الحب بيننا ، ينصحوني وأنصحهم فلا غش بيننا ، و يصدقوني ، وأصدقهم فلا تكاذب بيننا ، ويوالوني وأواليهم فلا عداوة بيننا ، ينصروني وأنصرهم فلا تخاذل بيننا ، يطلبون الخير الذي إن طلبته معهم لم يخافوا أن أغلبهم عليه أو أستأثر به دونهم ، فلا فساد بيننا ولا تحاسد ، يعملون لي وأعمل لهم بأجور لا تنفد ولا يزال العمل قائما بيننا ، هم هداتي إن ضللت ، نور بصري إن عميت ، وحصني إن أتيت ، ومجني إن رميت وأعواني إذا فزعت ، وقد تنزهنا عن البيوت و المخاني فلا نريدها وتركنا الذخاير والمكاسب لأهل الدنيا فلا تكاثر بيننا ولا تباغى ، ولا تباغض ، ولا تفاسد ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ، فهؤلاء أهلي أيها الملك و إخواني وأقربائي وأحبائي ، وأحببتهم وانقطعت إليهم ، وتركت الذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لما عرفتهم ، والتمست السلامة منهم . فهذه الدنيا أيها الملك التي أخبرتك أنها لا شئ فهذا نسبها وحسبها ومصيرها إلى ما قد سمعت ، وقد رفضتها لما عرفتها ، وأبصرت الامر الذي هو الشئ فإن كنت تحب أيها الملك أن أصف لك ما أعرف عن أمر الآخرة التي هي الشئ فاستعد إلى السماع، تسمع غير ما كنت تسمع به من الأشياء فلم يزد الملك عليه إلا أن قال له : كذبت لم تصب شيئا ، ولم تظفر إلا بالشقاء والعناء ، فاخرج ولا تقيمن في شئ من مملكتي ، فإنك فاسد مفسد . وولد للملك في تلك الأيام بعد إياسه من الذكور غلام لم ير الناس مولودا مثله قط حسنا وجمالا وضياء ، فبلغ السرور من الملك مبلغا عظيما كاد أن يشرف منه على هلاك نفسه من الفرح ، وزعم أن الأوثان التي كان يعبدها هي التي وهبت له الغلام ، فقسم عامة ما كان في بيوت أمواله على بيوت أوثانه ، وأمر الناس بالاكل والشرب سنة وسمى الغلام يوذاسف وجمع العلماء والمنجمين لتقويم ميلاده ، فرفع المنجمون إليه أنهم يجدون الغلام يبلغ من الشرف والمنزلة ما لا يبلغه أحد قط في أرض الهند ، واتفقوا على ذلك جميعا، غير أن رجلا قال : ما أظن الشرف والمنزلة والفضل الذي وجدناه يبلغه هذا الغلام إلا شرف الآخرة ولا أحسبه إلا أن يكون إماما في الدين والنسك وذا فضيلة في درجات الآخرة لأني أرى الشرف الذي تبلغه ليس يشبه شيئا من شرف الدنيا وهو شبيه بشرف الآخرة . فوقع ذلك القول من الملك موقعا كاد أن ينغصه سروره بالغلام ، وكان المنجم الذي أخبره بذلك من أوثق المنجمين في نفسه وأعلمهم وأصدقهم عنده ، وأمر الملك للغلام بمدينة فأخلاها وتخير له من الظؤورة والخدم كل ثقة ، وتقدم إليهم أن لا يذكر فيما بينهم موت ولا آخرة ولا حزن ولا مرض ولا فناء حتى تعتاد ذلك ألسنتهم وتنساه قلوبهم ، وأمرهم إذا بلغ الغلام أن لا ينطقوا عنده بذكر شئ مما يتخوفونه عليه خشية أن يقع في قلبه منه شئ فيكون ذلك داعية إلى اهتمامه بالدين والنسك ، وأن يتحفظوا ويتحرزوا من ذلك ، ويتفقد بعضهم من بعض . وازداد الملك عند ذلك حنقا على النساك مخافة على ابنه . وكان لذلك الملك وزير قد كفل أمره وحمل عنه مؤونة سلطانه،

وكان لا يخونه ولا يكذبه ولا يكتمه ، ولا يؤثر عليه ، ولا يتوانى في شئ من عمله ، ولا يضيعه ، وكان الوزير مع ذلك رجلا لطيفا طلقا معروفا بالخير ، يحبه الناس ويرضون به إلا أن أحباء الملك وأقرباءه كانوا يحسدونه ، ويبغون عليه ، ويستقلون بمكانه. ثم إن الملك خرج ذات يوم إلى الصيد ومعه ذلك الوزير فأتى به في شعب من الشعاب على رجل قد أصابته زمانة شديدة في رجليه ، ملقى في أصل شجرة لا يستطيع براحا فسأله الوزير عن شأنه فأخبره أن السباع أصابته ، فرق له الوزير فقال له الرجل : ضمني إليك واحملني إلى منزلك فإنك تجد عندي منفعة ، فقال الوزير : إني لفاعل وإن لم أجد عندك منفعة ، ولكن يا هذا ما المنفعة التي تعدنيها ، هل تعمل عملا أو تحسن شيئا ؟ فقال الرجل : نعم أنا أرتق الكلام فقال : وكيف ترتق الكلام قال : إذا كان فيه فتق أرتقه حتى لا يجيئ من قبله فساد ، فلم ير الوزير قوله شيئا ، وأمر بحمله إلى منزله وأمر له بما يصلحه حتى إذا كان بعد ذلك احتال أحباء الملك للوزير وضربوا له الأمور ظهرا وبطنا فأجمع رأيهم على أن دسوا رجلا منهم إلى الملك ، فقال له أيها الملك إن هذا الوزير يطمع في ملكك أن يغلب عليه من بعدك فهو يصانع الناس على ذلك ، ويعمل عليه دائبا ، فإن أردت أن تعلم صدق ذلك فأخبره أنه قد بدا لك أن ترفض الملك وتلحق بالنساك ، فإنك سترى من فرحه بذلك ما تعرف به أمره ، وكان القوم قد عرفوا من الوزير رقة عند ذكر فناء الدنيا و الموت ولينا للنساك وحبا لهم فعملوا فيه من الوجه الذي ظنوا أنهم يظفرون بحاجتهم منه ، فقال الملك : لئن أنا هجمت منه على هذا لم أسأل عما سواه ، فلما أدخل عليه الوزير قال له الملك : إنك قد عرفت حرصي على الدنيا وطلب الملك وإني قد ذكرت ما مضى من ذلك فلم أجد معي منه طائلا ، وقد عرفت أن الذي بقي منه كالذي مضى فإنه يوشك أن ينقضي ذلك كله بأجمعه فلا يصير في يدي منه شئ ، وأنا أريد أن أعمل في حال الآخرة عملا قويا على قدر ما كان من عملي في الدنيا ، وقد بدا لي أن الحق بالنساك وأخلي هذا العمل لأهله فما رأيك ؟ قال : فرق الوزير لذلك رقة شديدة حتى عرف الملك ذلك منه ، ثم قال : أيها الملك إن الباقي وإن كان عزيزا لأهل أن يطلب ، وإن الفاني وإن استمكنت منه لأهل أن يرفض ، ونعم الرأي رأيت ، وإني لأرجو أن يجمع الله لك مع الدنيا شرف الآخرة ، قال : فكبر ذلك على الملك ووقع منه كل موقع و لم يبدله شيئا غير أن الوزير عرف الثقل في وجهه فانصرف إلى أهله كئيبا حزينا لا يدري من أين أتي ولا من دهاه ولا يدري ما دواء الملك فيما استنكر عليه فسهر لذلك عامة الليل ، ثم ذكر الرجل الذي زعم أنه يرتق الكلام فأرسل إليه فأتي به فقال له : إنك كنت ذكرت لي ذكرا من رتق الكلام فقال الرجل أجل فهل احتجت إلى شئ من ذلك ؟ فقال الوزير : نعم أخبرك أني صحبت هذا الملك قبل ملكه ومنذ صار ملكا فلم أستنكره فيما بيني وبينه قط لما يعرفه من نصيحتي وشفقتي وإيثاري إياه على نفسي وعلى جميع الناس ، حتى إذا كان هذا اليوم استنكرته استنكارا شديدا لا أظن لي خيرا عنده بعده ، فقال له الراتق : هل لذلك سبب أو علة ، قال الوزير : نعم دعاني أمس وقال لي كذا وكذا فقلت له كذا وكذا ، فقال : من ههنا جاء الفتق وأنا أرتقه إن شاء الله . إعلم أن الملك قد ظن أنك تحب أن يتخلى هو عن ملكه وتخلفه أنت فيه فإذا كان عند الصبح فاطرح عنك ثيابك وحليتك وألبس أوضع ما تجده من ذي النساك وأشهره ، ثم احلق رأسك وامض على وجهك إلى باب الملك فإن الملك سيدعو بك و يسألك عن الذي صنعت فقل له : هذا الذي دعوتني إليه ولا ينبغي لأحد أن يشير على صاحبه بشئ إلا واساه فيه وصبر عليه ، وما أظن الذي دعوتني إليه إلا خيرا مما نحن فيه ، فقم إذا بدا لك ، ففعل الوزير ذلك فتخلى عن نفس الملك ما كان فيها عليه.

ثم أمر الملك بنفي النساك من جميع بلاده وتوعدهم بالقتل ، فجدوا في الهرب والاستخفاء ، ثم إن الملك خرج ذات يوم متصيدا فوقع بصره على شخصين من بعيد فأرسل إليهما فأتي بهما فإذا هما ناسكان فقال لهما : ما بالكما لن تخرجا من

بلادي قالا : قد أتتنا رسلك ونحن على سبيل الخروج ، قال : ولم خرجتما راجلين ، قالا : لأنا قوم ضعفاء ليس لنا دواب ولا زاد ولا نستطيع الخروج إلا التقصير ، قال الملك إن من خاف الموت أسرع بغير دابة ولا زاد ، فقالا له : إنا لا نخاف الموت بل لا ننظر قرة عين في شئ من الأشياء إلا فيه . قال الملك : وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أن رسلنا لما أتتكم وأنتم على سبيل الخروج أفليس هذا هو الهرب من الموت ؟ قالا : إن الهرب من الموت ليس من الفرق فلا تظن أنا فرقناك ولكنا هربنا من أن نعينك على أنفسنا ، فأسف الملك و أمر بهما أن يحرقا بالنار ، وأذن في أهل مملكته بأخذ النساك وتحريقهم بالنار فتجرد رؤساء عبدة الأوثان في طلبهم وأخذوا منهم بشرا كثيرا وأحرقوهم بالنار ، فمن ثم صار التحريق سنة باقية في أرض الهند ، وبقي في جميع تلك الأرض قوم قليل من النساك كرهوا الخروج من البلاد ، واختاروا الغيبة والاستخفاء ليكونوا دعاء وهداة لمن وصلوا إلى كلامهم فنبت ابن الملك أحسن نبات في جسمه وعقله وعلمه ورأيه، ولكنه لم يؤخذ بشئ من الآداب إلا بما يحتاج إليه الملوك مما ليس فيه ذكر موت ولا زوال و لا فناء وأوتي الغلام من العلم والحفظ شيئا كان عند الناس من العجائب ، وكان أبوه لا يدري أيفرح بما أوتي ابنه من ذلك أو يحزن له لما يتحوف عليه أن يدعوه ذلك إلى ما قيل فيه فلما فطن الغلام بحصرهم إياه في المدينة ومنعهم إياه من الخروج والنظر و الاستماع وتحفظهم عليه ارتاب لذلك وسكت عنه وقال في نفسه هؤلاء أعلم بما يصلحني مني حتى إذا ازداد بالسن والتجربة علما قال : ما أرى لهؤلاء علي فضلا وما أنا بحقيق أن أقلدهم أمري ، فأراد أن يكلم أباه إذا دخل عليه ويسأله عن سبب حصره إياه ، ثم قال : ما هذا الامر إلا من قبله وما كان ليطلعني عليه ولكني حقيق أن ألتمس علم ذلك من حيث أرجو إدراكه ، وكان في خدمه رجل كان ألطفهم به وأرأفهم به ، وكان الغلام إليه مستأنسا فطمع الغلام في إصابة الخبر من قبل ذلك الرجل فازداد له ملاطفة وبه استيناسا ، ثم إن الغلام واضعه الكلام في بعض الليل باللين وأخبره أنه بمنزلة والده وأولى الناس به ، ثم أخذه بالترغيب والترهيب وقال له : إني لأظن هذا الملك صائر لي بعد والدي وأنت فيه صائر أحد رجلين إما أعظم الناس منه منزلة وإما أسوء الناس حالا ، قال له الحاضن وبأي شئ أتخوف في ملكك سوء الحال ؟ قال : بأن تكتمني اليوم أمرا أفهمه غدا من غيرك ، فأنتقم منك بأشد ما أقدر عليك ، فعرف الحاضن منه الصدق وطمع منه في الوفاء فأفشى إليه خبره ، والذي قال المنجمون لأبيه ، والذي حذر أبوه من ذلك ، فشكر له الغلام ذلك وأطبق عليه حتى إذا دخل عليه أبوه . قال : يا أبة إني وإن كنت صبيا فقد رأيت في نفسي واختلاف حالي أذكر من ذلك ما أذكر وأعرف بما لا أذكر منه ما أعرف وأنا أعرف أني لم أكن على هذا المثال وأنك لم تكن على هذه الحال ، ولا أنت كائن عليها إلى الأبد وسيغيرك الدهر عن حالك هذه ، فلئن كنت أردت أن تخفي عني أمر الزوال فما خفي علي ذلك ، ولئن كنت حبستني عن الخروج وحلت بيني وبين الناس لكيلا تتوق نفسي إلى غير ما أنا فيه لقد تركتني بحصرك إياي ، وإن نفسي لقلقة مما تحول بيني وبينه حتى ما لي هم غيره ، ولا أردت سواه حتى لا يطمئن قلبي إلى شئ مما أنا فيه ولا أنتفع به ولا آلفه ، فخل عني وأعلمني بما تكره من ذلك وتحذره حتى أجتنبه وأوثر موافقتك ورضاك على ما سواهما . فلما سمع الملك ذلك من ابنه علم أنه قد علم ما الذي يكرهه وأنه من حبسه وحصره لا يزيده إلا إغراء وحرصا على ما يحال بينه وبينه ، فقال : يا بني ما أردت بحصري إياك إلا أن أنحي عنك الأذى ، فلا ترى إلا ما يوافقك ولا تسمع إلا ما يسرك ، فأما إذا كان هواك في غير ذلك فإن آثر الأشياء عندي ما رضيت وهويت . ثم أمر الملك أصحابه أن يركبوه في أحسن زينة وأن ينحوا عن طريقه كل منظر قبيح ، وأن يعدوا له المعازف والملاهي ففعلوا ذلك ، فجعل بعد ركبته تلك يكثر الركوب ، فمر ذات يوم على طريق قد غفلوا عنه فأتى على رجلين من السؤال أحدهما قد تورم وذهب لحمه ، واصفر جلده ، وذهب ماء وجهه ، وسمج منظره ، والآخر أعمى يقوده قائد ، فلما رأى ذلك اقشعر منهما وسأل عنهما فقيل

له: إن هذا المورم من سقم باطن ، وهذا الأعمى من زمانة ، فقال ابن الملك : وإن هذا البلاء ليصيب غير واحد ؟ قالوا : نعم فقال : هل يأمن أحد من نفسه أن يصيبه مثل هذا ؟ قالوا : لا ، وانصرف يومئذ مهموما ثقيلا محزونا باكيا مستخفا بما هو فيه من ملكه وملك أبيه فلبث بذلك أياما . ثم ركب ركبة فأتى في مسيره على شيخ كبير قد انحنى من الكبر ، وتبدل خلقه وابيض شعره ، واسود لونه ، وتقلص جلده وقصر خطوه ، فعجب منه وسأل عنه فقالوا : هذا الهرم ، فقال: وفي كم تبلغ الرجل ما أرى ؟ قالوا : في مائة سنة أو نحو ذلك ، وقال : فما وراء ذلك ؟ قالوا : الموت ، قال : فما يخلى بين الرجل وبين ما يريد من المدة ؟ قالوا : لا وليصيرن إلى هذا في قليل من الأيام ، فقال : الشهر ‹ صفحة ٥٩٠ › ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا وانقضاء العمر مائة سنة فما أسرع اليوم في الشهر ، وما أسرع الشهر في السنة ، وما أسرع السنة في العمر ، فانصرف الغلام وهذا كلامه يبدؤه ويعيده مكررا له . ثم سهر ليلته كلها وكان له قلب حي ذكي وعقل لا يستطيع معه نسيانا ولا غفلة فعلاه الحزن والاهتمام فانصرف نفسه عن الدنيا وشهواتها وكان في ذلك يداري أباه و يتلطف عنده وهو مع ذلك قد أصغى بسمعه إلى كل متكلم بكلمة طمع ان يسمع شيئا يدله على غير ما هو فيه ، وخلا بحاضنه الذي كان أفضى إليه بسره ، فقال له : هل تعرف من الناس أحدا شأنه غير شأننا هذا ، قال : نعم قد كان قوم يقال لهم : النساك ، رفضوا الدنيا وطلبوا الآخرة ، ولهم كلام ، وعلم لا يدرى ما هو ، غير أن الناس عادوهم وأبغضوهم وحرقوهم ، ونفاهم الملك عن هذه الأرض ، فلا يعلم اليوم ببلادنا منهم أحد فإنهم قد غيبوا أشخاصهم ينتظرون الفرج ، وهذه سنة في أولياء الله قديمة يتعاطونها في دول الباطل ، فاغتص لذلك الخبر فؤاده ، وطال به اهتمامه ، وصار كالرجل الملتمس ضالته التي لا بد له منها ، وذاع خبره في آفاق الأرض وشهر بتفكره وجماله وكماله وفهمه وعقله وزهادته في الدنيا وهوانها عليه . فبلغ ذلك رجلا من النساك يقال له : بلوهر ، بأرض يقال لها : سرنديب ، كان رجلا ناسكا حكيما فركب البحر حتى أتى أرض سولابط ، ثم عمد إلى باب ابن الملك فلزمه وطرح عنه زي النساك ولبس زي التجار وتردد إلى باب ابن الملك حتى عرف الأهل والأحباء والداخلين إليه ، فلما استبان له لطف الحاضن بابن الملك ، وحسن منزلته منه أطاف به بلوهر حتى أصاب منه خلوة ، فقال له : إني رجل من تجار سرنديب ، قدمت منذ أيام ، ومعي سلعة نفيسة الثمن ، عظيمة القدر ، فأردت الثقة لنفسي فعليك وقع اختياري ، وسلعتي خير من الكبريت الأحمر ، وهي تبصر العميان، وتسمع الصم ، وتداوي الأسقام ، وتقوي من الضعف ، وتعصم من الجنون ، وتنصر على العدو ، و لم أر بهذا أحدا هو أحق ، بها من هذا الفتى فإن رأيت أن تذكر له ذلك ذكرته فإن كان له فيها حاجة أدخلتني عليه ، فإنه لم يخف عنه فضل سلعتي لو قد نظر إليها ، قال الحاضن للحكيم : إنك لتقول شيئا ما سمعنا به من أحد قبلك ولا أرى بك بأسا وما مثلي يذكر ما لا يدري ما هو ، فأعرض علي سلعتك أنظر إليها فإن رأيت شيئا ينبغي لي أن أذكره ذكرته ، قال له بلوهر : إني رجل طبيب وإني لأرى في بصرك ضعفا فأخاف إن نظرت إلى سلعتي أن يلتمع بصرك ، ولكن ابن الملك صحيح البصر حدث السن ولست أخاف عليه أن ينظر إلى سلعتي فإن رأى ما يعجبه كانت له مبذولة على ما يحب وإن كان غير ذلك لم تدخل عليه مؤونة ولا منقصة ، وهذا أمر عظيم لا يسعك أن تحرمه إياه أو تطويه دونه ، فانطلق الحاضن إلى ابن الملك فأخبره خبر الرجل فحس قلب ابن الملك بأنه قد وجد حاجته ، فقال : عجل إدخال الرجل علي ليلا وليكن ذلك في سرو كتمان ، فإن مثل هذا لا يتهاون به . فأمر الحاضن بلوهر بالتهيئ للدخول عليه ، فحمل معه سفطا فيه كتب له ، فقال الحاضن : ما هذا السفط ؟ قال بلوهر : في هذا السفط سلعتي فإذا شئت فأدخلني عليه ، فانطلق به حتى أدخله عليه فلما دخل عليه بلوهر سلم عليه وحياه وأحسن ابن الملك إجابته ، وانصرف الحاضن ، وقعد الحكيم عند الملك فأول ما قال له

بلوهر : رأيتك يا ابن الملك زدتني في التحية على ما تصنع بغلمانك وأشراف أهل بلادك ؟ قال ابن الملك : ذلك لعظيم ما رجوت عندك ، قال بلوهر : لئن فعلت ذلك بي فقد كان رجلا من المملوك في بعض الآفاق يعرف بالخير ويرجى فبينا هو يسير يوما في موكبه إذ عرض له في مسيره رجلان ما شيان ، لباسهما الخلقان ، وعليهما أثر البؤس والضر ، فلما نظر إليهما الملك لم يتمالك أن وقع على الأرض فحياهما وصافحهما ، فلما رأى ذلك وزراؤه اشتد جزعهم مما صنع الملك فأتوا أخا له وكان جريا عليه فقالوا له : إن الملك أزرى بنفسه ، وفضح أهل مملكته ، وخر عن دابة لإنسانين دنيين ، فعاتبه على ذلك كيلا يعود ، ولمه على ما صنع ، ففعل ذلك أخ الملك فأجابه الملك بجواب لا يدري ما حاله فيه أساخط عليه الملك أم راض عنه ، فانصرف إلى منزله حتى إذا كان بعد أيام أمر الملك مناديا وكان يسمى منادي الموت فنادى في فناء داره ، وكانت تلك سنتهم فيمن أرادوا قتله ، فقامت النوائح والنوادب في دار أخ الملك ولبس ثياب الموتى وانتهى إلي باب الملك وهو يبكي بكاء شديدا ونتف شعره ، فلما بلغ ذلك الملك دعا به ، فلما أذن له الملك دخل عليه ووقع على الأرض ونادى بالويل والثبور ورفع يده بالتضرع فقال له الملك : اقترب أيها السفيه أنت تجزع من مناد نادى على بابك بأمر مخلوق وليس بأمر خالق ، وأنا أخوك وقد تعلم أنه ليس لك إلي ذنب أقتلك عليه ، ثم أنتم تلومونني على وقوعي إلى الأرض حين نظرت إلى منادي ربي إلي وأنا أعرف منكم بذنوبي ، فاذهب فإني قد علمت أنه إنما استفزك وزرائي وسيعلمون خطأهم . ثم أمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له من خشب فطلى تابوتين منها بالذهب و تابوتين بالقار ، فلما فرغ منها ملا تابوتي القار ذهبا وياقوتا وزبرجدا ، وملأ تابوتي الذهب جيفا ودما وعذرة وشعرا ، ثم جمع الوزراء والاشراف الذين ظن أنهم أنكروا صنيعه بالرجلين الضعيفين الناسكين فعرض عليهم التوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها فقالوا : أما في ظاهر الامر وما رأينا ومبلغ علمنا فإن تابوتي الذهب لا ثمن لهما لفضلهما وتابوتي القار لا ثمن لهما لرذالتهما ، فقال الملك : أجل هذا لعلمكم بالأشياء ومبلغ رأيكم فيها ، ثم أمر بتابوتي القار فنزعت عنهما صفائحهما فأضاء البيت بما فيهما من الجواهر فقال : هذان مثل الرجلين الذين ازدريتم لباسهما وظاهرهما وهما مملوءان علما وحكمة وصدقا وبرا وسائر مناقب الخير الذي هو أفضل من الياقوت واللؤلؤ والجوهر والذهب . ثم أمر بتابوتي الذهب فنزع عنهما أثوابهما فاقشعر القوم من سوء منظرهما و تأذوا بريحهما نتنهما ، فقال الملك : وهذان مثل القوم المتزينين بظاهر الكسوة واللباس وأجوافهما مملوءة جهالة وعمى وكذبا وجورا وسائر أنواع الشر التي هي أفظع وأشنع وأقذر من الجيف . قال القوم للملك : قد فقهنا واتعظنا أيها الملك . ثم قال بلوهر : هذا مثلك يا ابن الملك فيما تلقيتني به من التحية والبشر فانتصب يوذاسف - ابن الملك - وكان متكئا ، ثم قال : زدني مثلا قال الحكيم : إن الزارع خرج ببذره الطيب ليبذره ، فلما ملا كفيه ونثره وقع بعضه على حافة الطريق فلم يلبث أن التقطه الطير ووقع بعضه على صفاة قد أصابها ندى وطين فمكث حتى اهتز . فلما صارت عروقه إلى يبس الصفاة مات ويبس ، ووقع بعضه بأرض ذات شوك فنبت حتى سنبل ، وكاد أن يثمر فغمه الشوك فأبطله ، وأما ما كان منه وقع في الأرض الطيبة وإن كان قليلا فإنه سلم وطاب وزكى ، فالزارع حامل الحكمة ، وأما البذر ففنون الكلام ، وأما ما وقع منه على حافة الطريق فالتقطه الطير فما لا يجاوز السمع منه حتى يمر صفحا ، وأما ما وقع على الصخرة في الندى فيبس حين بلغت عروقه الصفاة فما استحلاه صاحبه حتى سمعه بفراغ قلبه وعرفه بفهمه و لم يفقه بحصافة ولا نية ، وأما ما نبت منه وكاد أن يثمر فغمه الشوك فأهلكه فما وعاه صاحبه حتى إذا كان عند العمل به حفته الشهوات فأهلكته ، وأما ما زكى وطاب و سلم منه وانتفع به فما رآه البصر ووعاه الحفظ ، وأنفذه العزم بقمع الشهوات وتطهير القلوب من دنسها . قال ابن الملك إني أرجوا أن يكون ما تبذره أيها الحكيم ما يزكو ويسلم و يطيب ، فاضرب لي مثل الدنيا وغرور أهلها بها . قال بلوهر : بلغنا أن رجلا حمل عليه فيل مغتلم

فانطلق موليا هاربا وأتبعه الفيل حتى غشيه فاضطره إلى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر و وقعت قدماه على رؤوس حياة ، فلما تبين له أنه متعلق بالغصنين فإذا في أصلهما جرذان يقرضان الغصنين ، أحدهما أبـيض والآخـر أسود، فلما نظر إلى تحت قدميه ، فإذا رؤوس أربع أفاع قد طلعن من جحرهن ، فلما نظر إلى قعر البئر إذا بتنين فاغر فـاه نحوه يريد التقامه ، فلما رفع رأسه إلى أعلا الغصنين إذا عليهما شئ من عسل النحل فيطعم من ذلك العسل ، فألهـاه مـا طعم منه ، وما نال من لذة العسل وحلاوته عن التفكر في (صفحة ٥٩٤) أمر الأفاعي اللواتي لا يدري متى يبادرنه وألهاه عن التنين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته . أما البئر فالدنيا مملوءة آفات وبلايا وشرورا ، وأما الغصـنان فالعمر ، وأما الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الاجل ، وأما الأفاعي الأربعة فالأخلاط الأربعة التي هي السموم القاتلـة من المرة والبلغم والريح والدم التي لا يدري صاحبها متى تهيج به ، وأما التنين الفاغر فاه ليلتقمه فالموت الراصد الطالـب ، أما العسل الذي اغتر به المغرور فما ينال الناس من لذة الدنيا وشهواتها ونعيمها ودعتها من لذة المطعم والمشـرب والشـم واللمس والسمع والبصر . قال ابن الملك : إن هذا المثل عجيب وإن هذا التشبيه حق ، فزدني مثلا للدنيا وصاحبها المغرور بها المتهاون بما ينفعه فيها ؟ قال بلوهر : زعموا أن رجلا كان له ثلاثة قرناء ، وكان قد آثر أحدهم على النـاس جميعـا ، ويركب الأهوال والأخطار بسببه ويغرر بنفسه له ، ويشتغل ليله و نهاره في حاجته ، وكان القرين الثاني دون الأول منزلة وهو على ذلك حبيب إليه أمير عنده ، يكرمه ويلاطفه ويخدمه ويطيعه ويبذل له ولا يغفل عنه ، وكان القرين الثالث مجفوا محقورا مستثقلا ، ليس له من وده وماله إلا أقله . حتى إذا نزل بالرجل الامر الذي يحتاج فيه إلى قرنائه الثلاثة ، فأتاه زبانية الملك لذهبوا به ففزع إلى قرينه الأول فقال له : قد عرفت إيثاري إياك وبذل نفسي لك ، وهذا اليوم يوم حاجتي إليـك فماذا عندك ؟ قال : ما أنا لك بصاحب وإن لي أصحابا يشغلوني عنك ، هم اليوم أولى بي منك ولكن لعلي أزودك ثوبين لتنتفع بهما . ثم فزع إلى قرينه الثاني ذي المحبة واللطف ، فقال له : عرفت كرامتي إياك ولطفـي بـك وحرصـي علـى مسرتك، وهذا يوم حاجتي إليك فماذا عندك ؟ فقال : إن أمر نفسي يشغلني عنك وعن أمرك ، فاعمد لشأنك ، واعلـم أنه قد انقطع الذي بيني وبينك وأن طريقي غير طريقك إلا أني لعلي أخطو معك خطوات يسيره لا تنتفع بها ، ثم أنصرف إلى ما هو أهم إلى منك ثم فزع إلى قرينه الثالث الذي كان يحقره ، ويعصيه ولا يلتفت إليه أيام رخائه فقال له : إني منـك لمستح ولكن الحاجة اضطرتني إليك فماذا لي عندك ؟ قال : لك عندي المواساة ، : والمحافظة عليك ، وقلة الغفلة عنـك ، فأبشر وقر عينا فإني صاحبك الذي لا يخذلك ولا يسلمك ، فلا يهمنك قلة ما أسلفتني واصطنعت إلي ، فإني قـد كنـت احفظ لك ذلك وأوفره عليك كله ، ثم لم أرض لك بعد ذلك حتى اتجرت لك به فربحت أرباحا كثيرة ، فلك اليوم عندي من ذلك أضعاف ما وضعت عندي منه فأبشر ، وإني أرجو أن يكون في ذلك رضي الملك عنك اليوم وفرجا مما أنت فيـه فقال الرجل عند ذلك : ما أدري على أي الامرين أنا أشد حسرة عليه على ما فرطت في القرين الصـالح أم علـى مـا اجتهدت فيه من المحبة لقرين السوء ؟ . قال بلوهر : فالقرين الأول هو المال ، والقرين الثاني هو الأهل والولد ، و القـرين الثالث هو العمل الصالح . قال ابن الملك : إن هذا هو الحق المبين فزدني مثلا للدنيا وغرورها وصـاحبها المغـرور بهـا ، المطمئن إليها . قال بلوهر : كان أهل مدينة يأتون الرجل الغريب الجاهل بأمرهم فيملكونه عليهم سنة فلا يشك أن ملكه دائم عليهم لجهالته بهم فإذا انقضت السنة أخرجوه من مدينتهم عريانا مجردا سليبا ، فيقع في بلاء وشقاء لم يحدث به نفسه ، فصار ما مضي عليه من ملكه وبالا وخزيا ومصيبة وأذى ، ثم إن أهل تلك المدينة أخذوا رجلا آخر فملكوه عليهم فلما رأى الرجل غربته فيهم لم يستأنس بهم وطلب رجلا من أهل أرضه خبيرا بأمرهم حتى وجده فأفضى إليه بسر القوم وأشار

إليه أن ينظر إلى الأموال التي في يديه فيخرج منها ما استطاع الأول فالأول حتى يحرزه في المكان الذي يخرجونه إليه فإذا أخرجه القوم صار إلى الكفاية والسعة بما قدم وأحرز ، ففعل ما قال له الرجل و لم يضيع وصيته . قال بلوهر : وإني لأرجو أن تكون أنت ذلك الرجل يا ابن الملك الذي لم يستأنس بالغرباء و لم يغتر بالسلطان ، وأنا الرجل الذي طلبت ولك عندي الدلالة والمعرفة والمعونة . قال ابن الملك : صدقت أيها الحكيم أنا ذلك الرجل وأنت طلبتي التي كنت طلبتها فصف لي أمر الآخرة تاما ، فأما الدنيا فلعمري لقد صدقت ولقد رأيت منها ما يدلني على فنائها ويزهدني فيها ، و لم يزل أمرها حقيرا عندي قال بلوهر : إن الزهادة في الدنيا يا ابن الملك مفتاح الرغبة في الآخرة ، ومن طلب الآخرة فأصاب بابها دخل ملكوتها وكيف لا تزهد في الدنيا يا ابن ملك وقد آتاك الله من العقل ما آتاك ، وقد ترى أن الدنيا كلها وإن كثرت إنما يجمعها أهلها لهذه الأجساد الفانية ، والجسد لا قوام له ، ولا امتناع به ، فالحر يذيبه ، والبرد يجمده ، و السموم تتخلله ، والماء يغرقه ، والشمس تحرقه ، والهواء يسقمه ، والسباع يفترسه والطير تنقره ، والحديد يقطعه والصدام يحطمه ، ثم هم معجون بطينة من ألوان الأسقام والأوجاع والأمراض ، فهو مرتهن بها ، مترقب لها ، وجل منها ، غير طامع في السلامة منها ، ثم هو مقارن الآفات السبع التي لا يتخلص منها ذو جسد وهي الجوع والظمأ والحر والبرد والوجع والخوف والموت . فأما ما سألت عنه من الامر الآخرة ، فإني أرجو أن تجد ما تحسبه بعيدا قريبا وما كنت تحسبه عسيرا ويسيرا ، وما كنت تحسبه قليلا كثيرا . قال ابن الملك : أيها الحكيم أرأيت القوم الذين كان والدي حرقهم بالنار و نفاهم أهم أصحابك ؟ قال بلوهر : نعم ، فإنه بلغني أن الناس اجتمعوا على عداوتهم وسوء الثناء عليهم ، قال بلوهر : نعم قد كان ذلك ، قال : فما سبب ذلك أيها الحكيم قال بلوهر : أما قولك يا ابن الملك في سوء الثناء عليهم فما عسى أن يقولوا فيمن يصدق ولا يكذب ، ويعلم ولا يجهل ، ويكف ولا يؤذي ، ويصلي ولا ينام ، ويصوم ولا يفطر ويبتلي فيصبر ، ويتفكر فيعتبر ، ويطيب نفسه عن الأموال والأهلين ، ولا يخافهم الناس على أموالهم وأهليهم . قال ابن الملك : فكيف اتفق الناس على عداوتهم وهم فيما بينهم مختلفون ؟ قال بلوهر : مثلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعوا على جيفة تنهشها ويهار بعضها بعضا ، مختلفة الألوان والأجناس فبينا هي تقبل على الجيفة إذ دنى رجل منهم فترك بعضهن بعضا وأقبلن على الرجل فيهرن عليه جميعا متعاويات عليه وليس للرجل في جيفتهن حاجة ، ولا أراد أن ينازعهن فيها ، ولكنهن عرفن غربته منهن فاستوحشن منه و استأنس بعضهن ببعض وإن كن مختلفات متعاديات فيما بينهن من قبل أن يرد الرجل عليهن. قال بلوهر : فمثل الجيفة متاع الدنيا ومثل صنوف الكلاب ضروب الرجال الذين يقتتلون على الدنيا ويهرقون دماءهم وينفقون لها أموالهم ، ومثل الرجل الذي اجتمعت عليه الكلاب ولا حاجة له في جيفهن كمثل صاحب الدين الذي رفض الدنيا وخرج منها ، فليس ينازع فيها أهلها ولا يمنع ذلك الناس من أن يعادونه لغربته عندهم ، فإن عجبت فاعجب من الناس أنهم لا همة لهم إلا الدنيا وجمعها والتكاثر و التفاخر والتغالب عليها حتى إذا رأوا من قد تركها في أيديهم وتخلى عنها كانوا له أشد حنقا منهم للذي يشاحهم عليها ، فأي حجة يا ابن الملك أدحض من تعاون المختلفين على من لا حجة لهم عليه ؟ قال ابن الملك : أعمد لحاجتي ، قال بلوهر : إن الطبيب الرفيق إذ رأى الجسد قد أهلكته الأخلاط الفاسدة فأراد أن يقويه ويسمنه لم يغذه بالطعام الذي يكون منه اللحم والدم والقوة لأنه يعلم أنه متى أدخل الطعام على الأخلاط الفاسدة أضر بالجسد و لم ينفعه و لم يقوه ، ولكن يبدأ بالأدوية والحمية من الطعام ، فإذا أذهب من جسده الأخلاط الفاسدة أقبل عليه بما يصلحه من الطعام ، فحينئذ يجد طعم الطعام ويسمن ويقوي ويحمل الثقل بمشيئة الله عز وجل . وقال ابن الملك أيها الحكيم : أخبرني ماذا تصيب من الطعام والشراب ؟ قال الحكيم : زعموا أن ملكا من الملوك كان عظيم الملك كثير الجند والأموال وأنه بدا له أن يغزو ملكا آخر ليزداد ملكا إلى ملكه ومالا إلى ماله ، فسار

إليه بالجنود والعدد والعدة ، والنساء والأولاد والأثقال ، فأقبلوا نحوه فظهروا عليه و استباحوا عسكره فهرب وساق امرأته وأولاده صغارا فألجأه الطلب عند المساء إلى أجمة على شاطئ النهر فدخلها مع أهله وولده وسيب دوابه مخافة أن تدل عليه بصهيلها فباتوا في الأجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كل جانب فأصبح الرجل لا يطيق براحا ، وأما النهر فلا يستطيع عبوره ، وأما الفضاء فلا يستطيع الخروج إليه لمكان العدو ، فهم في مكان ضيق قد إذا هم البرد وأهجرهم الخوف وطواهم الجوع ، و ليس لهم طعام ولا معهم زاد ولا إدام ، وأولاده صغار جياع يبكون من الضر الذي قد أصابهم فمكث بذلك يومين ، ثم إن أحد بنيه مات فألقوه في النهر فمكث بعد ذلك يوما آخر فقال الرجل لامرأته : إنا مشرفون على الهلاك جميعا وإن بقي بعضنا وهلك بعضنا كان خيرا من أن نهلك جميعا وقد رأيت أن أعجل ذبح صبي من هؤلاء الصبيان فنجعله قوتا لنا ولأولادنا إلى أن يأتي الله عز وجل بالفرج فإن أخرنا ذلك هزل الصبيان حتى لا يشبع لحومهم ونضعف حتى لا نستطيع الحركة إن وجدنا إلى ذلك سبيلا وطاوعته امرأته فذبح بعض أولاده ووضعوه بينهم ينهشونه ، فما ظنك يا ابن الملك بذلك المضطر ؟ أكل الكلب المستكثر يأكل ؟ أم أكل المضطر المستقل ؟ قال ابن الملك : بل أكل المستقل ، قال الحكيم : كذلك أكلي وشربي يا ابن الملك في الدنيا . فقال له ابن الملك : أرأيت هذا الذي تدعوني إليه أيها الحكيم أهو شئ نظر الناس فيه بعقولهم وألبابهم حتى اختاروه على ما سواه لأنفسهم أم دعاهم الله إليه فأجابوا ، قال الحكيم : علا هذا الامر ولطف عن أن يكون من أهل الأرض أو برأيهم دبروه ، ولو كان من أهل الأرض لدعوا إلى عملها وزينتها وحفظها ودعتها ونعيمها و لذتها ولهوها ولعبها وشهواتها ، ولكنه أمر غريب ودعوة من الله عز وجل ساطعة ، و هدى مستقيم ، ناقض على أهل الدنيا أعمالهم ، مخالف لهم ، عائب عليهم ، وطاعن ناقل لهم عن أهوائهم ، داع لهم إلى طاعة ربهم ، وإن ذلك لبين لمن تنبه ، مكتوم عنده عن غير أهله حتى يظهر الله الحق بعد خفائه ويجعل كلمته العليا وكلمة الذين جهلوا السفلى . قال ابن الملك : صدقت أيها الحكيم . ثم قال الحكيم : إن من الناس من تفكر قبل مجيئ الرسل عليهم السلام فأصاب ، ومنهم من دعته الرسل بعد مجيئها فأجاب وأنت يا ابن الملك ممن تفكر بعقله فأصاب . قال ابن الملك : فهل تعلم أحدا من الناس يدعو إلى التزهيد في الدنيا غيركم ؟ قال الحكيم : أما في بلادكم هذه فلا ، وأما في سائر الأمم ففيهم قوم ينتحلون الدين بألسنتهم و لم يستحقوه بأعمالهم ، فاختلف سبيلنا وسبيلهم ، قال ابن الملك : كيف صرتم أولى بالحق منهم وإنما أتاكم هذا الامر الغريب من حيث أتاهم ؟ قال الحكيم : الحق كله جاء من عند الله عز وجل وإنه تبارك وتعالى دعا العباد إليه فقبله قوم بحقه وشروطه حتى أدوه إلى أهله كما أمروا ، لم يظلموا و لم يخطئوا و لم يضيعوا وقبله آخرون فلم يقوموا بحقه وشروطه ، و لم يؤدوه إلى أهله ، و لم يكن لهم فيه عزيمة ، ولا على العمل به نية ضمير ، فضيعوه واستثقلوه فالمضيع لا يكون مثل الحافظ ، المفسد لا يكون كالمصلح ، والصابر لا يكون كالجازع ، فمن ههنا كنا نحن أحق به منهم وأولى . ثم قال الحكيم : إنه ليس يجري على لسان أحد منهم من الدين والتزهيد والدعاء إلى الآخرة إلا وقد اخذ ذلك عن أصل الحق الذي عنه أخذنا ، ولكنه فرق بيننا وبينهم أحداثهم التي أحدثوا وابتغاؤهم الدنيا وإخلادهم إليها ، وذلك أن هذه الدعوة لم تزل تأتي وتظهر في الأرض مع أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم في القرون الماضية على ألسنة مختلفة متفرقة ، وكان أهل دعوة الحق أمرهم مستقيم ، وطريقهم واضح ، ودعوتهم بينة ، ولا فرقة بينهم ولا اختلاف ، فكانت الرسل عليهم السلام إذا بلغوا رسالات ربهم ، واحتجوا لله تبارك وتعالى على عباده بحجته وإقامة معالم الدين وأحكامه ، قبضهم الله عز وجل إليه عند انقضاء آجالهم ومنتهى مدتهم ، ومكثت الأمة من الأمم بعد نبيها برهة من دهرها لا تغير ولا تبدل ثم صار الناس بعد ذلك يحدثون الاحداث ويتبعون الشهوات ، ويضيعون العلم ، فكان العالم البالغ المستبصر منهم يخفى

شخصه ولا يظهر علمه ، فيعرفونه باسمه ولا يهتدون إلى مكانه ولا يبقى منهم إلا الخسيس من أهل العلم ، يستخف بـه أهل الجهل والباطل ، فيخمل العلم ويظهر الجهل ، ويتناسل القرون فلا يعرفون إلا الجهل والباطـل ، ويـزداد الجهـال استعلاء وكثرة ، والعلماء خمولا وقلة ، فحولوا معالم الله تبارك وتعالى عن وجوهها ، وتركوا قصد سبيلها ، وهـم مـع ذلك مقرون بتنزله ، متبعون شبهه ابتغاء تأويله ، متعلقون بصفته ، تاركون لحقيقته ، نابذون لأحكامه فكل صفة جاءت الرسل تدعوا إليها فنحن لهم موافقون في تلك الصفة ، مخالفون لهم في أحكامهم وسيرهم ، لسنا نخالفهم في شئ إلا ولنـا عليهم الحجة الواضحة والبينة العادلة من نعت ما في أيديهم من الكتب المنزلة من الله عز وجل ، فكل متكلم منهم يـتكلم بشئ من الحكمة فهي لنا وهي بيننا وبينهم تشهد لنا عليهم بأنها توافق صفتنا وسيرتنا وحكمنا ، وتشهد عليهم بأنها مخالفة لسنتهم وأعمالهم ، فليسوا يعرفون من الكتاب إلا وصفه ، ولا من الدين إلا اسمه ، فليسوا بأهل الكتاب حقيقـة حـتى يقيموه . قال ابن الملك : فما بال الأنبياء والرسل عليهم السلام يأتون في زمان دون زمان ؟ قال الحكيم : إنما مثل ذلك كمثـل ملك كانت له أرض موات لا عمران فيها ، فلما أراد أن يقبل عليها بعمارته أرسل إليها رجلا جلدا أمينـا ناصـحا ، ثم أمره أن يعمر تلك الأرض وأن يغرس فيها صنوف الشجر وأنواع الزرع ، ثم سمى له الملك ألوانا من الغـرس معلومـة ، وأنواعا من الزرع معروفة ، ثم أمره أن لا يعدو ما سمى له وأن لا يحدث فيها من قبله شيئا لم يكن أمره به سيده ، وأمـره أن يخرج لها نهرا ويسد عليها حائطا ، ويمنعها من أن يفسدها مفسد ، فجاء الرسول الذي أرسله الملك إلى تلـك الأرض فأحياها بعد موتها وعمرها بعد خرابها ، وغرس فيها وزرع من الصنوف التي أمره بها ، ثم ساق الماء إليها ، حـتى نبـت الغرس واتصل الزرع ، ثم لم يلبث قليلا حتى مات قيمها ، وأقام بعده من يقوم مقامه وخلف من بعده خلف خالفوا مـن أقامه القيم بعده وغلبوه على أمره ، فأخرجوا العمران ، وطموا الأنهار ، ‹ صفحة ٦٠١ › فيبس الغرس ، وهلك الـزرع ، فلما بلغ الملك خلافهم على القيم بعد رسوله وخراب أرضه أرسل إليها رسولا آخر يحييها ويعيدها ويصلحها كما كانت في منزلتها الأولى ، وكذلك الأنبياء والرسل عليهم السلام يبعث الله عز وجل منهم الواحد بعد الواحد فيصلح أمر النـاس بعـد فساده . قال ابن الملك : أيخص الأنبياء والرسل عليهم السلام إذا جاءت بما يبعث به أم تعم ؟ قال بلوهر : إن الأنبياء والرسل إذا جاءت تدعوا عامة الناس فمن أطاعهم كان منهم ، ومن عصاهم لم يكن منهم ، وما تخلو الأرض قط من أن يكون لله عز و جل فيها مطاع من أنبيائه ورسله ومن أوصيائه ، وإنما مثل ذلك مثل طائر كان في ساحل البحر يقال له قدم يبيض بيضا كثيرا وكان شديدا الحب للفراخ وكثرتها ، و كان يأتي عليه زمان يتعذر عليه فيه ما يريده من ذلك ، فلا يجد بـدا مـن اتخاذ أرض أخرى حتى يذهب ذلك الزمان فيأخذ بيضه مخافة عليه من أن يهلك من شفقته فيفرقـه في أعشـاش الطـير فتحضن الطير بيضته مع بيضتها وتخرج فراخه مع فراخها ، فإذا طال مكث فراخ قدم مع فراخ الطير ألفها بعـض فـراخ الطير واستأنس بها فإذا كان الزمان الذي ينصرف فيه قدم إلى مكانه مر بأعشاش الطير وأو كارها بالليل فـأسمع فراخـه وغيرها صوته فإذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبع فراخه ما كان ألفها من فراخ سائر الطير و لم يجبه ما لم يكن من فراخـه ولا ما لم يكن ألف فراخه وكان قد يضم إليه من أجابه من فراخه حبا للفراخ ، وكذلك الأنبياء إنما يستعرضـون النـاس جميعا بدعائهم فيجيبهم أهل الحكمة والعقل لمعرفتهم بفضل الحكمة ، فمثل الطير الذي دعا بصوته مثل الأنبياء والرسـل التي تعم الناس بدعائهم ، ومثل البيض المتفرق في أعشاش الطير مثل الحكمة ، ومثل سائر فراخ الطير التي ألفت مع فـراخ قدم مثل من أجاب الحكماء قبل مجيئ الرسل ، لان الله عز وجل جعل لأنبيائه ورسله من الفضل والـرأي مـا لم يجعـل لغيرهم من الناس ، وأعطاهم من الحجج والنور والضياء ما لم يعط غيرهم ، وذلك لما يريد من بلـوغ رسـالته ومواقـع

حججه ، وكانت الرسل إذا جاءت وأظهرت دعوتها أجابهم من الناس أيضا من لم يكن أجاب الحكماء وذلك لما جعل الله عز وجل على دعوتهم من الضياء والبرهان . قال ابن الملك : أفرأيت ما يأتي به الرسل والأنبياء إذ زعمت أنه ليس بكلام الناس ، وكلام الله عز وجل هو كلام وكلام ملائكته كلام ، قال الحكيم : أما رأيت الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقدمها وتأخرها وإقبالها وإدبارها لم يجدوا الدواب والطير تحمل كلامهم الذي هو كلامهم، فوضعوا من النقر والصفير والزجر ما يبلغوا به حاجتهم وما عرفوا أنها تطيق حمله ، و كذلك العباد يعجزوا أن يعلموا كلام الله عز وجل وكلام ملائكته على كنهه وكماله ولطفه وصفته فصار ما تراجع الناس بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة شبيها بما وضع الناس للدواب ، والطير و لم يمنع ذلك الصوت مكان الحكمة المخبرة في تلك الأصوات من أن تكون الحكمة واضحة بينهم ، قوية منيرة شريفة عظيمة ، و لم يمنعها من وقوع معانيها على مواقعها وبلوغ ما احتج به الله عز وجل على العباد فيها وكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا ، وكانت الحكمة للصوت نفسا وروحا ، ولا طاقة للناس أن ينفذوا غور كلام الحكمة ، ولا يحيطوا به بعقولهم ، فمن قبل ذلك تفاضلت العلماء في علمهم ، فلا يزال عالم يأخذ علمه من عالم حتى يرجع العلم إلى الله عز وجل الذي جاء من عنده ، وكذلك العلماء قد يصيبون من الحكمة والعلم ما ينجيهم من الجهل ، ولكن لكل ذي فضل فضله ، كما أن الناس ينالون من ضوء الشمس ما ينتفعون به في معائشهم وأبدانهم ولا يقدرون أن ينفذوها بأبصارهم فهي كالعين الغزيرة ، الظاهر مجراها ، المكنون عنصرها ، فالناس قد يحيبون بما ظهر لهم من مائها ، ولا يدركون غورها وهي كالنجوم الزاهرة التي يهتدى بها الناس ، ولا يعلمون مساقطها ، فالحكمة أشرف وأرفع وأعظم مما وصفناها به كله ، هي مفتاح باب كل خير يرتجى ، والنجاة من كل شر يتقى ، وهي شراب الحياة التي من شرب منه لم يمت أبدا ، و الشفاء للسقم الذي من استشفى به لم يسقم أبدا ، والطريق المستقيم الذي من سلكه لم يضل أبدا ، هي حبل الله المتين الذي لا يخلقه طول التكرار ، من تمسك به انجلى عنه العمى ، ومن اعتصم به فاز واهتدى ، وأخذ بالعروة الوثقى . قال ابن الملك : فما بال هذه الحكمة التي وصفت بما وصفت من الفضل والشرف والارتفاع والقوة والمنفعة والكمال والبرهان لا ينتفع بها الناس كلهم جميعا ؟ . قال الحكيم : إنما مثل الحكمة كمثل الشمس الطالعة على جميع الناس الأبيض ولأسود منهم ، والصغير والكبير ، فمن أراد الانتفاع بها لم تمنعه و لم يحل بينه و بينها من أقربهم وأبعدهم ، ومن لم يرد الانتفاع بها فلا حجة له عليها ، ولا تمنع الشمس على الناس جميعا ، ولا يحول بين الناس وبين الانتفاع بها ، وكذلك الحكمة وحالها بين الناس إلى يوم القيامة ، والحكمة قد عمت الناس جميعا إلا أن الناس يتفاضلون في ذلك ، والشمس ظاهرة إذ طلعت على الابصار الناظرة فرقت بين الناس على ثلاثة منازل فمنهم الصحيح البصر الذي ينفعه الضوء ويقوى على النظر ، ومنهم الأعمى القريب من الضوء الذي لو طلعت عليه شمس أو شموس لم تغن عنه شيئا ، ومنهم المريض البصر الذي لا يعد في العميان ولا في أصحاب البصر ، كذلك الحكمة هي شمس القلوب إذا طلعت تفرق على ثلاث منازل : منزل لأهل البصر الذين يعقلون الحكمة فيكونون من أهلها ، ويعملون بها ، ومنزل لأهل العمى الذين تنبو الحكمة عن قلوبهم لانكارهم الحكمة وتركهم قبولها كما ينبو ضوء الشمس عن العميان ، و منزل لأهل مرض القلوب الذين يقصر علمهم ويضعف عملهم ويستوي فيهم السيئ والحسن ، والحق والباطل ، وإن أكثر من تطلع عليه الشمس وهي الحكمة ممن يعمى عنها . قال ابن الملك : فهل يسع الرجل الحكمة فلا يجيب إليها حتى يلبث زمانا ناكبا عنها ، ثم يجيب ويراجعها ؟ قال بلوهر : نعم هذا أكثر حالات الناس في الحكمة . قال ابن الملك : ترى والدي سمع شيئا من هذا الكلام قط ؟ قال بلوهر : لا أراه سمع سماعا صحيحا رسخ في قلبه ولا كلمه فيه ناصح شفيق .

قال ابن الملك : وكيف ترك ذلك الحكماء منه طول دهرهم ؟ قال بلوهر : تركوه لعلمهم بمواضع كلامهم ، فربما تركوا ذلك ممن هو أحسن إنصافا وألين عريكة وأحسن استماعا من أبيك حتى أن الرجل ليعاش الرجل طول عمره وبينهما الاستيناس والمودة والمفاوضة ، ولا يفرق بينهما شئ إلا الدين والحكمة ، وهو متفجع عليه ، متوجع له ، ثم لا يفضي إليه أسرار الحكمة إذ لم يره لها موضعا . وقد بلغنا أن ملكا من الملوك كان عاقلا قريبا من الناس مصلحا لأمورهم ، حسن النظر والانصاف لهم ، وكان له وزير صدق صالح يعينه على الاصلاح ويكفيه مؤونته ويشاوره في أموره ، وكان الوزير أديبا عاقلا ، له دين وورع ونزاهة على الدنيا ، وكان قد لقي أهل الدين ، وسمع كلامهم ، وعرف فضلهم ، فأجابهم و انقطع إليهم بإخائه ووده ، وكانت له من الملك منزلة حسنة وخاصة ، وكان الملك لا يكتمه شيئا من أمره ، وكان الوزير أيضا له بتلك المنزلة ، إلا أنه لم يكن ليطلعه على أمر الدين ، ولا يفاوضه أسرار الحكمة ، فعاشا بذلك زمانا طويلا ، وكان الوزير كلما دخل على الملك سجد الأصنام وعظمها وأخذ شيئا في طريق الجهالة والضلالة تقية له فأشفق الوزير على الملك من ذلك واهتم به واستشار في ذلك أصحابه وإخوانه فقالوا له : انظر لنفسك وأصحابك فإن رأيته موضعا للكلام فكلمه وفاوضه وإلا فإنك إنما تعينه على نفسك ، وتهيجه على أهل دينك ، فإن السلطان لا يغتر به ، ولا تؤمن سطوته ، فلم يزل الوزير على اهتمامه به مصافيا له ، رفيقا به رجاء أن يجد فرصة فينصحه أو يجد للكلام موضعا فيفاوضه ، وكان الملك مع ضلالته متواضعا سهلا قريبا ، حسن السيرة في رعيته ، حريصا على إصلاحهم ، متفقدا لأمورهم ، فاصطحب الوزير (مع) الملك على هذا برهة من زمانه . ثم إن الملك قال للوزير ذات ليلة من الليالي بعد ما هدأت العيون : هل لك أن تركب فنسير في المدينة فننظر إلى حال الناس وآثار الأمطار التي أصابتهم في هذه الأيام ؟ فقال الوزير: نعم فركبا جميعا يجولان في نواحي المدينة فمرا في بعض الطريق على مزبلة تشبه الجبل ، فنظر الملك إلى ضوء النار تبدو في ناحية المزبلة ، فقال للوزير : إن لهذه لقصة فأنزل بنا نمشي حتى ندنو منها فنعلم خبرها ، ففعلا ذلك فلما انتهيا إلى مخرج الضوء وجدا نقبا شبيها بالغار ، وفيه مسكين من المساكين ثم نظرا في الغار من حيث لا يراهما الرجل فإذا الرجل مشوه الخلق ، عليه ثياب خلقان من خلقان المزبلة ، متكئ على متكأ قد هيأه من الزبل ، وبين يديه إبريق فخار ، فيه شراب وفي يده طنبور ، يضرب بيده وامرأته في مثل خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه إذا استسقى منها ، وترقص له إذا ضرب ، وتحييه بتحية الملوك كلما شرب ، وهو يسميها سيدة النساء ، وهما يصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السرور والضحك والطرب ما لا يوصف ، فقام الملك على رجليه مليا والوزير ينظر كذلك ويتعجبان من لذتهما وإعجابهما بما هما فيه ، ثم انصرف الملك والوزير فقال الملك : ما أعلمني وإياك أصابنا الدهر من اللذة والسرور والفرح مثل ما أصاب هذين الليلة مع أني أظنهما يصنعان كل ليلة مثل هذا ، فاغتنم الوزير ذلك منه ، ووجد فرصة فقال له : أخاف أيها الملك أن يكون دنيانا هذه من الغرور ويكون ملكك وما نحن فيه من البهجة والسرور في أعين من يعرف الملكوت الدائم مثل هذه المزبلة ، ومثل هذين الشخصين اللذين رأيناهما ، وتكون مساكننا وما شيدنا منها عند من يرجو مساكن السعادة وثواب الآخرة مثل هذا الغار في أعيننا ، وتكون أجسادنا عند من يعرف الطهارة والنضارة والحسن والصحة مثل جسد هذه المشوه الخلق في أعيننا ، و يكون تعجبهم عن إعجابنا بما نحن فيه كتعجبنا من إعجاب هذين الشخصين بما هما فيه . قال الملك وهل تعرف لهذه الصفة أهلا ؟ قال الوزير : نعم ، قال الملك : من هم ؟ قال الوزير : أهل الدين الذي عرفوا ملك الآخرة ونعيمها فطلبوه ، قال الملك : وما ملك الآخرة ؟ قال الوزير هو النعيم الذي لا بؤس بعده ، والغنى الذي لا فقر بعده ، والفرح الذي لا ترح بعده ، والصحة التي لا سقم بعدها ، والرضي الذي لا سخط بعده ، والامن الذي لا خوف بعده ، والحياة التي لا موت بعدها ، والملك الذي لا زوال له ، هي دار البقاء ، ودار الحيوان ، التي لا انقطاع لها ، ولا

تغير فيها ، رفع الله عز وجل عن ساكنيها فيها السقم والهرم والشقاء والنصب والمرض والجوع والظمأ والموت ، فهذه صفة ملك الآخرة وخبرها أيها الملك . قال الملك : وهل تدركون إلى هذه الدار مطلبا وإلى دخولها سبيلا ؟ قال الوزير : نعم هي مهيأة لمن طلبها من وجه مطلبها ، ومن أتاها من بابها ظفر بها ، قال الملك : ما منعك أن تخبرني بهذا قبل اليوم ؟ قال الوزير : منعني من ذلك إجلالك والهيبة لسلطانك ، قال الملك : لئن كان هذا الامر الذي وصفت يقينا فلا ينبغي لنا أن نضيعه ولا نترك العمل به في إصابته ، ولكنا نجتهد حتى يصح لنا خبره ، قال الوزير : أفتأمرني أيها الملك أن أو اظب عليك في ذكره والتكرير له ؟ قال الملك : بل آمرك أن لا تقطع عني ذكره ليلا ولا نهارا ، ولا تريحني ولا تمسك عني ذكره فإن هذا أمر عجيب لا يتهاون به ، ولا يغفل عن مثله ، وكان سبيل ذلك الملك والوزير إلى النجاة . قال ابن الملك : ما أنا بشاغل نفسي بشئ من هذه الأمور عن هذا السبيل ولقد حدثت نفسي بالهرب معك في جوف الليل حيث بدا لك أن تذهب . قال بلوهر : وكيف تستطيع الذهاب معي والصبر على صحبتي وليس لي جحر يأويني ، ولا دابة تحملني ، ولا أملك ذهبا ، ولا فضة ، ولا أدخر غذاء العشاء ولا يكون عندي فضل ثوب ، ولا أستقر ببلدة إلا قليلا حتى أتحول عنها ولا أتزود من أرض إلى أرض أخري رغيفا أبدا . قال ابن الملك : إني أرجو أن يقويني الذي قواك ، قال بلوهر : أما إنك إن أبيت إلا صحبتي كنت خليقا أن يكون كالغني الذي صاهر الفقير . قال يوذاسف : وكيف كان ذلك ؟ قال بلوهر : زعموا أن فتى كان من أولاد الأغنياء فأراد أبوه أن يزوجه ابنة عم له ذات جمال ومال ، فلم يوافق ذلك الفتى و لم يطلع أباه على كراهته حتى خرج من عنده متوجها إلى أرض أخري ، فمر في طريقه على جارية عليها ثياب خلقان لها ، قائمة على باب بيت من بيوت المساكين فأعجبته الجارية ، فقال لها : من أنت أيتها الجارية ؟ قالت : أنا ابنة شيخ كبير في هذا البيت ، فنادى الفتى الشيخ فخرج إليه فقال له : هل تزوجني ابنتك هذه ؟ قال : ما أنت بمتزوج لبنات الفقراء وأنت فتى من الأغنياء ، قال : أعجبتني هذه الجارية ولقد خرجت هاربا من امرأة ذات حسب ومال أرادوا مني تزويجها ، فكرهتها فزوجني ابنتك فإنك واجد عندي خيرا إن شاء الله . قال الشيخ : كيف أزوجك ابنتي ونحن لا تطيب أنفسنا أن تنقلها عنا، ولا أحسب مع ذلك أن أهلك يرضون أن تنقلها إليهم ، قال الفتي : فنحن معكم في منزلكم هذا ، قال الشيخ : إن صدقت فيما تقول فاطرح عنك زيك وحليتك هذه ، قال : ففعل الفتى ذلك وأخذ أطمارا رثة من أطمارهم فلبسها وقعد معهم ، فسأله الشيخ عن شأنه وعرض له بالحديث حتى فتش عقله فعرف أنه صحيح العقل وأنه لم يحمله على ما صنع السفه ، فقال له الشيخ : أما إذا اخترتنا ورضيت بنا فقم معي إلى هذا السرب فأدخله فإذا خلف منزله بيوت ومساكن لم ير مثلها قط سعة وحسنا ، وله خزائن من كل ما يحتاج إليه ، ثم دفع إليه مفاتيحه وقال له : إن كل ما ههنا لك فاصنع به ما أحببت ، فنعم الفتى أنت وأصاب الفتى ما كان يريده . قال يوذاسف : إني لأرجو أن أكون أنا صاحب هذا المثل إن الشيخ فتش عقل هذا الغلام حتى وثق به ، فلعلك تطول بي على تفتيش عقلي فأعلمني ما عندك في ذلك ، قال الحكيم لو كان هذا الامر إلي لاكتفيت منك بأدنى المشافهة ولكن فوق رأسي سنة قد سنها أئمة الهدى في بلوغ الغاية في التوفيق ، وعلم ما في الصدور فأنا أخاف إن خالفت السنة أن أكون قد أحدثت بدعة ، وأنا منصرف عنك الليلة وحاضر بابك في كل ليلة ، ففكر في نفسك بهذا واتعظ به ، وليحضرك فهمك وتثبت ولا تعجل بالتصديق لما يورده عليك همك حتى تعلمه بعد التؤدة والأناة وعليك بالاحتراس في ذلك أن يغلبك الهوى والميل إلى الشبهة والعمى ، واجتهد في المسائل التي تظن أن فيها شبهة ، ثم كلمني فيها وأعلمني رأيك في الخروج إذا أردت ، وافترقا على هذا تلك الليلة .

ثم عاد الحكيم إليه فسلم عليه ودعا له ، ثم جلس فكان من دعائه أن قال : أسأل الله الأول الذي لم يكن قبله شـيء ، والآخـر الذي لا يبقى معه شئ ، والباقي الذي لا منتهي له ، والواحد الفرد الصمد الذي ليس معه غيره ، والقاهر الذي لا شريك لـه ، البديع الذي لا خالق معه ، القادر الذي ليس له ضد ، الصمد الذي ليس له ند ، الملك الذي ليس معه أحد أن يجعلك ملكا عدلا ، إماما في الهدى ، قائدا إلى التقوى ، ومبصرا من العمي ، وزاهدا في الدنيا ، ومحبا لذوي النهى ، ومبغضا لأهل الـردى حـتى يفضي بنا وبك إلى ما وعد الله أوليائه على ألسنة أنبيائه من جنته ورضوانه ، فإن رغبتنا إلى الله في ذلك ساطعة ، ورهبتنـا منـه باطنة ، وأبصارنا إليه شاخصة و أعناقنا له خاضعة ، وأمورنا إليه صائرة . فرق ابن الملك لذلك الدعاء رقة شـديدة ، وازداد في الخير رغبة ، وقال متعجبا من قوله : أيها الحكيم أعلمني كم أتى لك من العمر ؟ فقال : اثنتا عشر سنة ، فارتاع لذلك ، وقال : ابن اثنتي عشرة سنة طفل وأنت مع ما أرى من التكهل لابن ستين سنة . قال الحكيم ، أما المولد فقد راهق الستين سنة ، ولكنك سألتني عن العمر وإنما العمر الحياة ، ولا حياة إلا في الدين والعمل به ، والتخلي من الدنيا و لم يكن ذلك لي إلا من اثنتي عشـرة سنة ، فأما قبل ذلك فإني كنت ميتا ولست أعتد في عمري بأيام الموت ، قال ابن الملك : كيف تجعل الاكل والشارب والمتقلـب ميتا ؟ قال الحكيم : لأنه شارك الموتى في العمى والصم والبكم وضعف الحياة وقلة الغنى ، فلما شاركهم في الصـفة وافقهـم في الاسم . قال ابن الملك : لئن كنت لا تعد حياة ولا غبطة ما ينبغي لك أن تعد ما يتوقع من الموت موتا ، ولا تراه مكروها ، قال الحكيم : تغريري في الدخول عليك بنفسي يا ابن الملك مع علمي لسطوة أبيك على أهل ديني يدلك على أني [لا أرى المـوت موتا] ولا أرى هذه الحياة حياة ، ولا ما أتوقع من الموت مكروها ، فكيف يرغب في الحياة من قد ترك حظه منها ؟ أو يهـرب من الموت من قد أمات نفسه بيده ، أو لا ترى يا ابن - الملك أن صاحب الدين قد رفض في الدنيا من أهله وماله وما لا يرغـب في الحياة إلا له واحتمل من نصب العبادة ما لا يريحه منه إلا الموت ، فما حاجة من لا يتمتع بلذة الحياة إلى الحياة ؟ أو مهرب من لا راحة له إلا في الموت من الموت . قال ابن الملك : صدقت أيها الحكيم فهل يسرك أن ينزل بك الموت من غد ؟ قال الحكيم : بل يسرني أن ينزل بي الليلة دون غد فإنه من عرف السيئ والحسن وعرف ثوابهما من الله عز وجل ترك السيئ مخافـة عقابـه ، وعمل بالحسن رجاء ثوابه ، ومن كان موقنا بالله وحده مصدقا بوعده فإنه يحب الموت لما يرجو بعد الموت من الرخاء ويزهد في الحياة لما يخاف على نفسه من شهوات الدنيا والمعصية لله فيها فهو يحب الموت مبادرة من ذلك ، فقال ابن الملك : إن هذا لخليق أن يبادر الهلكة لما يرجو في ذلك من النجاة فاضرب لي مثل أمتنا هذه وعكوفها على أصنامها . قال الحكيم : إن رجلا كان لـه بستان يعمره ويحسن القيام عليه إذ رأى في بستانه ذات يوم عصفورا واقعا على شجرة من شجر البستان يصيب مـن ثمرهـا ، فغاضه ذلك فنصب فخا فصاده ، فلما هم بذبحه أنطقه الله عز وجل بقدرته ، فقال لصاحب البستان : إنك تهتم بذبحي وليس في ما يشبعك من جوع ولا يقويك من ضعف فهل لك في خير مما هممت به ؟ قال الرجل : ما هو ؟ قال العصفور : تخلى سـبيلي وأعلمك ثلاث كلمات إن أنت حفظتهن كن خيرا لك من أهل ومال هولك ، قال : قد فعلت فأخبرني بهن ، قال العصـفور : احفظ عني ما أقول لك : لا تأس على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون : ولا تطلبن لا ما تطيق : فلما قضى الكلمـات خلـى سبيله ، فطار فوقع على بعض الأشجار ، ثم قال للرجل : لو تعلم ما فاتك مني لعلمت أنك قد فاتك مني عظيم جسيم ‹ صفحة ٦١٠ › من الامر ، فقال الرجل وما ذاك ؟ قال العصفور : لو كنت مضيت على ما هممت به من ذبحـي لاسـتخرجت مـن حوصلتي درة كبيضة الوزة فكان لك في ذلك غنى الدهر ، فلما سمع الرجل منه ذلك أسر في نفسه ندما على ما فاته ، وقـال : دع عنك ما مضى ، وهلم أنطلق بك إلى منزلي فأحسن صحبتك وأكرم مثواك ، فقال له العصفور : أيهـا الجاهـل مـا أراك حفظتني إذا ظفرت بي ، ولا انتفعت بالكلمات التي افتديت بها منك نفسي ، ألم أعهد إليك ألا تأس على ما فاتك ولا تصدق ما لا يكون ، ولا تطلب مالا يدرك ؟ أما أنت متفجع على ما فاتك وتلتمس مني رجعتي إليك وتطلب مالا تدرك وتصـدق أن في

حوصلتي درة كبيضة الوزة ، وجميعي أصغر من بيضها ، وقد كنت عهدت إليك أن لا تصدق بما لا يكون وأن أمتكم صـــنعوا أصنامهم بأيديهم ثم زعموا أنها هي التي خلقتهم وحفظوها من أن تسرق مخافة عليها وزعموا أنها هي التي تحفظهـــم ، وأنفقـــوا عليها من مكاسبهم و أموالهم ، وزعموا أنها هي التي ترزقهم فطلبوا من ذلك مالا يدرك وصدقوا بما لا يكون فلزمهم منه ما لزم صاحب البستان . قال ابن الملك : صدقت أما الأصنام فإني لم أزل عارفا بأمرها ، زاهدا فيها ، آيسا من خيرها ، فأخبرني بالذي تدعوني إليه والذي ارتضيته لنفسك ما هو ؟ قال بلوهر : جماع الدين أمر ان أحدهما معرفة الله عز وجل والآخر العمل برضـــوانه ، قال ابن الملك : وكيف معرفة الله عز وجل ؟ قال الحكيم : أدعوك إلى أن تعلم أن الله واحد ليس له شريك ، لم يزل فردا ربـــا ، وما سواه مربوب ، وأنه خالق وما سواه مخلوق ، وأنه قديم وما سواه محدث ، و أنه صانع وما سواه مصنوع ، وأنه مدبر وما سواه مدبر ، وأنه باق وما سواه فان ، وأنه عزيز وما سواه ذليل ، وأنه لا ينام ولا يغفل ولا يأكل ولا يشرب ولا يضـــعف ولا يغلب ولا يضجر ، ولا يعجزه شئ ، لم تمتنع منه السماوات والأرض والهواء والبر والبحر ، وأنه كون الأشياء لا من شئ ، وأنه لم يزل ولا يزال ، ولا تحدث فيه الحوادث ، ولا تغيره الأحوال ، ولا تبدله الأزمان ، ولا يتغير من حال إلى حال ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، ولا يكون من مكان أقرب منه إلى مكان ، ولا يغيب عنه شئ ، عالم لا يخفى عليه شئ ، قـــدير لا يفوته شئ ، وأن تعرفه بالرأفة و الرحمة والعدل ، وأن له ثوابا أعده لمن أطاعه ، وعذابا أعده لمن عصاه ، وأن تعمل لله برضـــاه ، وتجتنب سخطه . قال ابن الملك : فما رضي الواحد الخالق من الأعمال ؟ قال الحكيم : يا ابن الملك رضاه أن تطيعه ولا تعصيه ، وأن تأتي إلى غيرك ما تحب أن يؤتى إليك ، وتكف عن غيرك ما تحب أن يكف عنك في مثله ، فان ذلك عـــدل وفي العـــدل رضاه ، وفي اتباع آثار أنبياء الله ورسله بأن لا تعدو سنتهم . قال ابن الملك : زدني أيها الحكيم تزهيدا في الدنيا وأخبرني بحالها . قال الحكيم : إني لما رأيت الدنيا دار تصرف وزوال وتقلب من حال إلى حال ، ورأيت أهلها فيها أغراضا للمصائب ، ورهـــائن للمتالف ، ورأيت صحة بعدها سقما ، وشبابا بعده هرما ، وغنى بعده فقرا ، وفرحا بعده حزنا ، وعزا بعده ذلا ، و رخاء بعده شدة ، وأمنا بعده خوفا ، وحياة بعدها ممات ، ورأيت أعمارا قصيرة وحتوفا راصدة وسهاما قاصدة ، وأبدانا ضعيفة مستســـلمة غير ممتنعة ولا حصينة ، وعرفت أن الدنيا منقطعة بالية فانية ، وعرفت بما ظهر لي منها ما غاب عني منها ، وعرفـــت بظاهرهـــا باطنها ، وغامضها بواضحها ، وسرها بعلانيتها ، وصدورها بورودها ، فحذرتها لما عرفتها ، وفررت منها لما أبصرتها ، بينا تري المرء فيها مغتبطا محبورا وملكا مسرورا في خفض ودعة ونعمة وسعة ، في بهجة من شبابه ، وحداثة من سنه ، وغبطة من ملكه ، وبهاء من سلطانه ، وصحة من بدنه إذا انقلبت الدنيا به أسر ما كان فيها نفسا ، وأقر ما كان فيها عينا ، فأخرجته مـــن ملكهـــا وغبطتها وخفضها ودعتها وبهجتها ، فأبدلته بالعز ذلا ، وبالفرح ترحا ، وبالسرور حزنا ، وبالنعمة بؤســـا ، وبـــالغنى فقـــرا ، وبالسعة ضيقا ، وبالشباب هرما ، وبالشرف ضعة ، وبالحياة موتا ، فدلته في حفرة ضيقة شديدة الوحشة ، وحيدا فريدا غريبـــا قد فارق الأحبة وفارقوه ، وخذله إخوانه فلم يجد عندهم منعا وغره أعداؤه فلم يجد عندهم دفعا ، وصار عزه وملكه وأهله وماله نهبة من بعده ، كأن لم يكن في الدنيا و لم يذكر فيها ساعة قط و لم يكن له فيها خطر ، و لم يملك من الأرض حظا قـــط ، فـــلا تتخذها يا ابن الملك دارا ، ولا تتخذن فيها عقدة ولا عقارا ، فأف لها وتف . قال ابن الملك : أف لها ولمن يغتر بها إذا كان هذا حالها . ورق ابن الملك وقال : زدني أيها الملك الحكيم من حديثك فإنه شفاء لما في صدري . قال الحكيم : إن العمـــر قصـــير ، والليل والنهار يسرعان فيه ، والارتحال من الدنيا حثيث قريب ، وإنه وإن طال العمر فيها فإن الموت نازل ، والظـــاعن لا محالـــة راحل فيصير ما جمع فيها مفرقا ، وما عمل فيها متبرا ، وما شيد فيها خرابا ، ويصير اسمه مجهولا ، وذكره منســـيا ، وحســـبه خاملا ، وجسده باليا ، وشرفه وضيعا ، ونعمته وبالا ، وكسبه خسارا ، ويورث سلطانه ، ويستذل عقبه ، ويستباح حريمـــه ،

وتنقض عهوده ، وتخفر ذمته ، وتدرس آثاره ، ويوزع ماله ، ويطوي رحله ، ويفرح عدوه ويبيد ملكه ، ويورث تاجه ، ويخلف على سريره ، ويخرج من مساكنه مسلوبا مخذولا فيذهب به إلى قبره ، فيدلى في حفرته في وحدة وغربة وظلمة ووحشة ومسكنة وذلة ، قد فارق الأحبة وأسلمته العصبة فلا تؤنس وحشته أبدا ، ولا ترد غربته أبدا ، واعلم أنها يحق على المرء اللبيب من سياسة نفسه خاصة كسياسة الإمام العادل الحازم الذي يؤدب العامة ، ويستصلح الرعية ، ويأمرهم بما يصلحهم ، وينهاهم عما يفسدهم ، ثم يعاقب من عصاه منهم ، ويكرم من أطاعه منهم ، فكذلك للرجل اللبيب أن يؤدب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها وأن تحملها وإن كرهت على لزوم منافعها فيما أحبت وكرهت ، وعلى اجتناب مضارها ، وأن يجعل لنفسه عن نفسه ثوابا وعقابا من مكانها من السرور إذا أحسنت ، ومن مكانها من الغم إذا أساءت ، ومما يحق على ذي العقل ا****
النظر فيما ورد عليه من أموره ، والاخذ بصوابها ، وينهى نفسه عن خطائها وأن يحتقر عمله ونفسه في رأيه لكيلا يدخله عجب ، فإن الله عز وجل قد مدح أهل العقل وذم أهل العجب ، ومن لا عقل له : وبالعقل يدرك كل خير بإذن الله تبارك وتعالى وبالجهل تهلك النفوس ، وإن من أوثق الثقات عند ذوي الألباب ما أدركته عقولهم ، وبلغته تجاربهم ، ونالته أبصارهم في الترك للأهواء والشهوات ، وليس ذوا العقل بجدير أن يرفض ما قوي على حفظه من العمل احتقارا له إذا لم يقدر على ما هو أكثر منه ، وإنما هذا من أسلحة الشيطان الغامضة التي لا يبصرها إلا من تدبرها ، ولا يسلم منها إلا من عصمه الله منها ، ومن رأس أسلحته سلاحان أحدهما إنكار العقل أن يوقع في قلب الانسان العاقل أنه لا عقل له ولا بصر ولا منفعة له في عقله وبصره ، ويريد أن يصده عن محبة العلم وطلبه ، ويزين له الاشتغال بغيره من ملاهي الدنيا ، فإن اتبعه الانسان من هذا الوجه فهو ظفره ، وإن عصاه وغلبه فزع إلى السلاح الاخر وهو أن يجعل الانسان إذا عمل شيئا وأبصر عرض له بأشياء لا يبصرها ليغمه ويضجره بما لا يعلم حتى يبغض إليه ما هو فيه بتضعيف عقله عنده ، وبما يأتيه من الشبهة ، ويقول : ألست ترى أنك لا تستكمل هذا الامر ولا تطيقه أبدا فبم تعني نفسك وتشقيها فيما لا طاقه لك به ، فبهذا السلاح صرع كثيرا من الناس ، فاحترس من أن تدع اكتساب علم ما تعلمه وأن تخدع عما اكتسبت منه ، فإنك في دار قد استحوذ على أكثر أهلها الشيطان بألوان حيله ووجوه ضلالته ، ومنهم من قد ضرب على سمعه وعقله وقلبه فتركه لا يعلم شيئا ، ولا يسأل عن علم ما يجهل منه كالبهيمة ، وإن لعامتهم أديانا مختلفة فمنهم المجتهدون في الضلالة حتى أن بعضهم ليستحل دم بعض وأموالهم ، ويموه ضلالتهم بأشياء من الحق ليلبس عليهم دينهم ، ويزينه لضعيفهم ، ويصدهم عن الدين القيم ، فالشيطان وجنوده دائبون في إهلاك الناس ، وتضليلهم لا يسأمون ، ولا يفترون ولا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يستطاع دفع مكائدهم إلا بعون من الله عز وجل والاعتصام بدينه ، فنسأل الله توفيقا لطاعته ونصرا على عدونا ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله قال ابن الملك : صف لي الله سبحانه وتعالى حتى كأني أراه ، قال : إن الله تقدس ذكره لا يوصف بالرؤية ، ولا يبلغ بالعقول كنه صفته ، ولا تبلغ الألسن كنه مدحته ، ولا يحيط العباد من علمه إلا بما علمهم منه على ألسنة أنبيائه بما وصف به نفسه ، ولا تدرك الأوهام عظم ربوبيته ، هو أعلى من ذلك و أجل وأعز وأعظم وأمنع وألطف ، فباح للعباد من علمه بما أحب ، وأظهرهم من صفته على ما أراد ، ودلهم على معرفته ومعرفة ربوبيته بإحداث ما لم يكن ، و إعدام ما أحدث . قال ابن الملك : وما الحجة ؟ قال : إذا رأيت شيئا مصنوعا غاب عنك صانعه علمت بعقلك أن له صانعا ، فكذلك السماء والأرض وما بينهما ، فأي حجة أقوى من ذلك . قال ابن الملك : فأخبرني أيها الحكيم أبقدر من الله عز وجل يصيب الناس ما يصيبهم من الأسقام والأوجاع والفقر والمكاره أو بغيره قدر . قال بلوهر : لا بل بقدر ، قال : فأخبرني عن أعمالهم السيئة ، قال : إن الله عز وجل من سيئ أعمالهم برئ ولكنه عز وجل أوجب الثواب العظيم لمن أطاعه والعقاب الشديد لمن عصاه . قال : فأخبرني من أعدل الناس ، ومن أجورهم ، ومن أكيسهم ومن أحمقهم ، ومن أشقاهم ومن أسعدهم ؟ قال : أعدلهم أنصفهم من نفسه وأجورهم من كان جوره عنده عدلا وعدل أهل العدل عنده جورا

، وأما أكسيهم فمن أخذ لآخرته أهبتها وأحمقهم من كانت الدنيا همه ، والخطايا عمله ، وأسعدهم من ختم عاقبة عمله بخير ، وأشقاهم من ختم له بما يسخط الله عز وجل . ثم قال : من دان الناس بما إن دين بمثله هلك فذلك المسخط لله ، المخالف لما يحب ، ومن دانهم بما إن دين بمثله صلح فذلك المطيع لله الموافق لما يحب المجتنب لسخطه ، ثم قال : لا تستقبحن الحسن وإن كان في الفجار ، ولا تستحسنن القبيح وإن كان في الأبرار . ثم قال له : أخبرني أي الناس أولى بالسعادة ؟ وأيهم أولى بالشقاوة ؟ . قال بلوهر : أولاهم بالسعادة المطيع لله عز وجل في أوامره ، والمجتنب لنواهيه ، وأولاهم بالشقاوة العامل بمعصية الله ، التارك لطاعته ، المؤثر لشهوته على رضي الله عز وجل ، قال : فأي الناس أطوعهم لله عز وجل ؟ قال : أتبعهم لامره ، وأقواهم في دينه وأبعدهم من العمل بالسيئات ، قال : فما الحسنات والسيئات ؟ قال : الحسنات صدق النية والعمل ، والقول الطيب ، والعمل الصالح ، والسيئات سوء النية ، وسوء العمل ، والقول السيئ ، قال : فما صدق النية ؟ قال : الاقتصاد في الهمة ، قال : فما سوء القول ؟ قال : الكذب ، قال : فما سوء العمل ؟ قال : معصية الله عز وجل قال : أخبرني كيف الاقتصاد في الهمة ؟ قال : التذكر لزوال الدنيا وانقطاع أمرها ، والكف عن الأمور التي فيها النقمة والتبعة في الآخرة . قال : فما السخاء ؟ قال : إعطاء المال في سبيل الله عز وجل ، قال : فما الكرم ؟ قال : التقوى ، قال : فما البخل ؟ قال : منع الحقوق عن أهلها وأخذها من غير وجهها قال : فما الحرص ؟ قال : الاخلاد إلى الدنيا ، والطماح إلى الأمور التي فيها الفساد وثمرتها عقوبة الآخرة ، قال : فما الصدق ؟ قال : الطريقة في الدين بأن لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها ، قال : فما الحمق ؟ قال : الطمأنينة إلى الدنيا وترك ما يدوم ويبقى ، قال : فما الكذب ؟ قال : أن يكذب المرء نفسه فلا يزال بهواه شعفا ولدينه مسوفا ، قال : أي الرجال أكملهم في الصلاح ؟ قال : أكملهم في العقل وأبصرهم بعواقب الأمور ، وأعلمهم بخصومة ، وأشدهم منهم احتراسا ، قال : أخبرني ما تلك العاقبة وما أولئك الخصماء الذين يعرفهم العاقل فيحترس منهم ؟ قال : العاقبة الآخرة والفناء الدنيا ، قال : فما الخصماء ؟ قال : الحرص والغضب والحسد الحمية والشهوة والرياء واللجاجة قال : أي هؤلاء الذين عددت أقوى وأجدر أن يسلم منه ؟ قال : الحرص أقل رضا وأفحش غضبا ، والغضب أجور سلطانا وأقل شكرا وأكسب للبغضاء ، والحسد أسوء الخيبة للنية ، وأخلف للظن ، والحمية أشد لجاجة وأفظع معصية ، والحقد أطول توقدا وأقل رحمة وأشد سطوة ، والرياء أشد خديعة ، وأخفى اكتتاما وأكذب ، واللجاجة أعيي خصومة ، وأقطع معذرة . قال : أي مكائد الشيطان للناس في هلاكهم أبلغ ؟ قال : تعميته عليهم البر والاثم والثواب والعقاب وعواقب الأمور في ارتكاب الشهوات ، قال : أخبرني بالقوة التي قوى الله عز وجل بها العباد في تغالب تلك الأمور السيئة والأهواء المردية ؟ قال : العلم والعقل والعمل بهما ، وصبر النفس عن شهواتها ، والرجاء للثواب في الدين ، وكثرة الذكر لفناء الدنيا ، وقرب الاجل ، والاحتفاظ من أن ينقض ما يبقى بما يفني ، فاعتبار ماضي الأمور بعاقبتها والاحتفاظ بما لا يعرف إلا عند ذوي العقول وكف النفس عن العادة السيئة وحملها على العادة الحسنة ، والخلق المحمود ، وأن يكون أمل المرء بقدر عيشه حتى يبلغ غايته ، فإن ذلك هو القنوع وعمل الصبر والرضا بالكفاف واللزوم للقضاء والمعرفة بما فيه في الشدة من التعب و ما في الافراط من الاقتراف ، وحسن العزاء عما فات ، وطيب النفس عنه وترك معالجة ما لا يتم ، والصبر بالأمور التي إليها يرد ، واختيار سبيل الرشد على سبيل الغي ، وتوطين النفس على أنه إن عمل خيرا أجزي به وإن عمل شرا أجزي به والمعرفة بالحقوق والحدود في التقوى وعمل النصيحة وكف النفس عن اتباع الهوى . وركوب الشهوات ، وحمل الأمور على الرأي والاخذ بالحزم والقوة ، فإن أتاه البلاء أتاه وهو معذور غير ملوم . قال ابن الملك : أي الأخلاق أكرم وأعز ؟ قال : التواضع ولين الكلمة للإخوان في الله عز وجل ، قال : أي العبادة أحسن ؟ قال : الوقار والمودة قال : فأخبرني أي الشيم أفضل ؟ قال : حب الصالحين ، قال : أي الذكر أفضل ، قال : ما كان في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : فأي

الخصوم ألد ؟ قال : ارتكاب الذنوب ، قال ابن الملك : أخبرني أي الفضل أفضل ؟ قال : الرضا بالكفاف ، قال : أخـبرني أي الأدب أحسن ؟ قال : أدب الدين ، قال : أي الشئ أجفا ؟ قال : السلطان العاتي ، والقلب القاسي ، قال : أي شئ أبعد غاية ، قال : عين الحريص التي لا تشبع من الدنيا ، قال : أي الأمور أخبث عاقبة ؟ قال : التماس رضي الناس في سخط الرب عز وجل ، قال : أي شئ أسرع تقلبا ، قال : قلوب الملوك الذين يعملون للدنيا ، قال : فأخبرني أي الفجور أفحش ؟ قال : إعطاء عهـد الله والغدر فيه ، قال : فأي شئ أسرع انقطاعا ، قال : مودة الفاسق ، قال : فأي شئ أخون ؟ قال : لسان الكاذب ، قـال : فأي شئ أشد اكتتاما ؟ قال : شر المرائي المخادع ، قال : فأي شئ أشبه بأحوال الدنيا ، قال : أحلام النائم ، قال : أي الرجال أفضل رضي ؟ قال : أحسنهم ظنا بالله عز وجل وأتقاهم وأقلهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت وانقطاع المدة . قال أي شئ من الدنيا أقر للعين ، قال : الولد الأديب والزوجة الموافقة المؤاتية المعينة على أمر الآخرة ، قال : أي الداء ألزم في الدنيا ؟ قال : الولد السوء والزوجة السوء اللذين لا يجد منهما بدا ، قال : أي الخفض أخفض ؟ قال : رضي المرء بحظه واستيناسه بالصـالحين . ثم قال ابن الملك للحكيم : فرغ لي ذهنك فقد أردت مساءلتك عن أهم الأشياء إلي بعد إذ بصرني الله عز وجل من أمري ما كنت به جاهلا ، ورزقني من الدين ما كنت منه آيسا . قال الحكيم : سل عما بدا لك ، قال ابن الملك : أرأيت من أوتي الملك طفـلا ودينه عبادة الأوثان وقد غذي بلذات الدنيا واعتادها ونشأ فيها إلى أن كان رجلا وكهلا ، لا ينتقل من حالته تلك في جهالتـه بالله تعالى ذكره وإعطائه نفسه شهواتها متجردا لبلوغ الغاية فيما زين له من تلك الشهوات مشتغلا بها ، مؤثرا لها ، جريا عليها ، لا يري الرشد إلا فيها ، ولا تزيده الأيام إلا حبالها واغترارا بها ، وعجبا وحبا لأهل ملته ورأيه . وقد دعته بصيرته في ذلـك إلى أن جهل أمر آخرته وأغفلها فاستخف بها وسها عنها قساوة قلب وخبث نية وسوء رأي ، واشتدت عداوته لمن خالفه من أهـل الدين والاستخفاء بالحق والمغيبين لأشخاصهم انتظارا للفرج من ظلمه و عداوته هل يطمع له إن طال عمره في النزوع عما هـو عليه ؟ والخروج منه إلى ما الفضل فيه بين والحجة فيه واضحة ؟ والحظ جزيل من لزوم ما أبصر من الدين فيأتي ما يرجى له (به) مغفرة لما قد سلف من ذنوبه وحسن الثواب في مآبه . قال الحكيم : قد عرفت هذه الصفة ، وما دعاك إلى هذه المسألة . قـال ابن الملك : ما ذاك منك بمستنكر لفضل ما أوتيت من الفهم وخصصت به من العلم . قال الحكيم : أما صاحب هـذه الصـفة فالملك والذي دعاك إليه العناية بما سألت عنه ، والاهتمام به من أمره ، والشفقة عليه من عذاب ما أوعد الله عز وجل من كـان على مثل رأيه وطبعه وهواه ، مع ما نويت من ثواب الله تعالى ذكره في أداء حق ما أوجب الله عليك له ، وأحسبك تريد بلـوغ غاية العذر في التلطف لإنقاذه وإخراجه عن عظيم الهول ودائم البلاء الذي لا انقطاع له من عذاب الله إلى السلامة وراحة الأبـد في ملكوت السماء . قال ابن الملك : لم تجرم حرفا عما أردت فأعلمني رأيك فيما عنيت من أمر الملك وحاله الـتي أتخـوف أن يدركه الموت عليها فتصيبه الحسرة والندامة حين لا أغني عنه شيئا فاجعلني منه على يقين وفرج عما أنا به مغموم شديد الاهتمام به فإني قليل الحيلة فيه . قال الحكيم : أما رأينا فإنا لا نبعد مخلوقا من رحمة الله خالقه عز وجل ولا نأيس له منـها مـا دام فيـه الروح ، وإن كان عاتيا طاغيا ضالا لما قد وصف ربنا تبارك وتعالى به نفسه من التحنن والرأفة والرحمة ودل عليه من الايمان وما أمر به من الاستغفار والتوبة وفي هذا فضل الطمع لك في حاجتك إن شاء الله ، وزعموا أنه كان في زمن من الأزمان ملك عظيم الصوت في العلم ، رفيق سايس يحب العدل في أمته والاصلاح لرعيته ، عاش بذلك زمانا بخير حال ، ثم هلك فجزعت عليه أمته وكان بامرأة له حمل فذكر المنجمون والكهنة أنه غلام وكان يدبر ملكهم من كان يلي ذلك في زمان ملكهم فاتفق الامر كمـا ذكره المنجمون والكهنة وولد من ذلك الحمل غلام فأقاموا عند ميلاده سنة بالمعازف والملاهي والأشربة والا طعمة ، ثم إن أهل العلم منهم والفقه والربانيين قالوا لعامتهم : إن هذا المولود إنما هو هبة من الله تعالى وقد جعلتم الشكر لغيره وإن كان هبة مـن غير الله عز وجل فقد أديتم الحق إلى من أعطاكموه واجتهدتم في الشكر لمن رزقكموه ، فقال لهم العامة : ما وهبـه لنـا إلا الله

تبارك وتعالى ، ولا امتن به علينا غيره ، قال العلماء : فإن كان الله عز وجل هو الذي وهبه لكم فقد أرضيتم غير الذي أعطـاكم وأسخطهم الله الذي وهبه لكم فقالت لهم الرعية : فأشيروا لنا أيها الحكماء وأخبرونا أيها العلماء فنتبع قولكم ونتقبل نصيحتكم ، ومرونا بأمركم ، قالت العلماء : فإنا نرى لكم أن تعدلوا عن اتباع مرضات الشيطان بالمعازف والملاهي والمسكر إلى ابتغـاء مرضات الله عز وجل وشكره على ما أنعم به عليكم أضعاف شكركم للشيطان حتى يغفر لكم ما كان منكم قالت الرعيـة : لا تحمل أجسادنا كل الذي قلتم وأمرتم به ، قالت العلماء : يا أولى الجهل كيف أطعتم من لاحق له عليكم وتعصون من له الحـق الواجب عليكم وكيف قويتم على ما لا ينبغي وتضعفون عما ينبغي ؟ ! قالوا لهم : يا أئمة الحكماء عظمت فينا الشـهوات وكثرت فينا اللذات فقوينا بما عظم فينا منها على العظيم من شكلها و ضعفت منا النيات فعجزنا عن حمل المثقلات فارضوا منـا في الرجوع عن ذلك يوما فيوما ، ولا تكلفونا كل هذا الثقل . قالوا لهم : يا معشر السفهاء ألستم أبناء الجهل وإخوان الضـلال حين خفت عليكم الشقوة وثقلت عليكم السعادة ، قالوا لهم : أيها السادة الحكماء والقادة العلماء إنا نستجير من تعنيفكم إيانـا بمغفرة الله عز وجل ونستتر من تعييركم لنا بعفوه فلا تؤنبونا ولا تعيرونا بضعفنا ولا تعيبوا الجهالة علينا فإنا إن أطعنـا الله مـع عفوه وحمله وتضعيفه الحسنات واجتهدنا في عبادته مثل الذي بذلنا لهوانا من الباطل بلغنا حاجتنا وبلغ الله عز وجل بنـا غايتنـا ورحمنا كما خلقنا ، فلما قالوا ذلك أقر لهم علماؤهم ورضوا قولهم فصلوا وصاموا وتعبدوا وأعظموا الصدقات سنة كاملة ، فلما انقضى ذلك منهم قالت الكهنة : إن الذي صنعت هذه الأمة على هذا المولود يخبر أن هذا الملك يكون فاجرا ويكـون بـارا ، ويكون متجبرا و يكون متواضعا ويكون مسيئا ويكون محسنا . وقال المنجمون مثل ذلك ، فقيل لهم : كيف قلتم ذلك ؟ قـال الكهنة : قلنا هذا من قبل اللهو والمعازف والباطل الذي صنع عليه ، وما صنع عليه من ضده بعد ذلك ، وقال المنجمون : قلنـا ذلك من قبل استقامة الزهرة والمشتري ، فنشأ الغلام بكبر لا توصف عظمته ، ومرح لا ينعت ، وعدوان لا يطـاق ، فعسـف وجار وظلم في الحكم وغشم وكان أحب الناس إليه من وافقه على ذلك وأبغض الناس إليه من خالفه في شئ من ذلك ، واغتـر بالشباب والصحة والقدرة والظفر والنظر فامتلأ سرورا وإعجابا بما هو فيه ورأي كلما يحب وسمع كلما اشتهى حتى بلغ اثـنين وثلاثين سنة ثم جمع نساء من بنات الملوك وصبيانا والجواري والمخدرات وخيله المطهمات العناق وألوان مراكبه الفاخرة ووصائفه وخدامه الذين يكونون في خدمته فأمرهم أن يلبسوا أجد ثيابهم ويتزينوا بأحسن زينتهم وأمر ببناء مجلس مقابل مطلـع الشـمس صفائح أرضه الذهب ، مفضضا بأنواع الجواهر ، طوله مائة وعشرون ذراعا وعرضه ستون ذراعا ، ومزخرفا سقفه وحيطانـه ، قد زين بكرائم الحلي وصنوف الجوهر و اللؤلؤ النظيم وفاخره ، وأمر بضروب الأموال فأخرجت من الخزائن ونضدت سمـاطين أمام مجلسه ، وأمر جنوده وأصحابه وقواده وكتابه وحجابه وعظماء أهل بلاده وعلمائهم فحضروا في أحسن هيئتـهم وأجمـل جمالهم وتسلح فرسانه وركبت خيوله في عدتهم ، ثم وقفوا على مراكزهم ومراتبهم صفوفا وكراديس ، وإنما أراد بزعمه أن ينظر إلى منظر رفيع حسن تسر به نفسه وتقربه عينه ، ثم خرج فصعد إلى مجلسه فأشرف على مملكته فخروا له سجدا ، فقال : لبعض غلمانه : قد نظرت في أهل مملكتي إلى منظر حسن وبقي أن أنظر إلى صورة وجهي فدعا بمرآة فنظر إلى وجهه فبينا هـو يقلـب طرفه فيها إذ لاحت له شعرة بيضاء من لحيته كغراب أبيض بين غربان سود ، واشتد منها ذعره وفزعه وتغـير في عينـه حالـه وظهرت الكآبة والحزن في وجهه وتولي السرور عنه . ثم قال في نفسه : هذا حين نعي إلى شبابي وبين لي أن ملكـي في ذهـاب وأوذنت بالنزول عن سرير ملكي ، ثم قال : هذه مقدمة الموت ورسول البلى لم يحجبه عني حاجب ، ولم يمنعه عـني حـارس ، فنعى إلي نفسي وآذني بزوال ملكي فما أسرع هذا في تبديل بهجتي وذهاب سروري ، وهدم قوتي ، لم يمنعه مني الحصـون و لم تدفعه عني الجنود ، هذا سالب الشباب والقوة ، وما حق العز والثروة ، ومفرق الشمل وقاسم التراث بين الأولياء ثقاته فقـال :

أيها الملا ماذا صنعت فيكم وما (ذا) أتيت إليكم منذ ملكتكم ووليت أموركم ؟ قالوا له : أيها الملك المحمود عظم بلاؤك عندنا وهذه أنفسنا مبذولة في طاعتك ، فمرنا بأمرك ، قال : طرقني عدو مخيف لم تمنعوني منه حتى نزل بي وكنتم عدتي وثقاتي ، قالوا : أيها الملك أين هذا العدو ؟ أيري أم لا يرى ؟ قال : يرى بأثر ولا يرى عينه ، قالوا أيها الملك هذه عدتنا كما ترى وعندنا سكن وفينا ذووا الحجي والنهي ، فأرناه نكفك ما مثله يكفي ، قال : قد عظم الاغترار مني بكم ووضعت الثقة في غير موضعها حين اتخذتكم وجعلتكم لنفسي جنة ، وإنما بذلت لكم الأموال ورفعت شرفكم وجعلتكم البطانة دون غيركم لتحفظوني من الأعداء وتحرسوني منهم ، ثم أيدتكم على ذلك بتشييد البلدان وتحصين المدائن والثقة من السلاح ونحيت عنكم الهموم وفرغتكم للنجدة والاحتفاظ ، ولم أكن أخشى أن أراع معكم ولا أتخوف المنون على بنياني وأنتم عكوف مطيفون به فطرقت وأنتم حولي وأتيت وأنتم معي ، فلئن كان هذا ضعف منكم فما أخذت أمري بثقة وإن كانت غفلة منكم فما أنتم بأهل النصيحة ولا على بأهل الشفقة ، قالوا : أيها الملك أما شئ نطيق دفعه بالخيل والقوة فليس بواصل إليك إن شاء الله ونحن أحياء وأما ما لا يرى فقد غيب عنا علمه وعجزت قوتنا عنه . قال : أليس اتخذتكم لتمنعوني من عدوي ، قالوا : بلى قال : فمن أي عدو تحفظوني من الذي يضربي أو من الذي لا يضربي ؟ قالوا : من الذي يضرك ؟ قال : أفمن كل ضار لي أو من بعضهم ؟ قالوا : من كل ضار ، قال : فإن رسول البلى قد أتاني ينعى إلي نفسي وملكي ويزعم أنه يريد خراب ما عمرت وهدم ما بنيت وتفريق ما جمعت وفساد ما أصلحت وتبذير ما أحرزت وتبديل ما عملت وتوهين ما وثقت ، وزعم أن معه الشماتة من الأعداء وقد قرت بي أعينهم فإنه يريد أن يعطيهم مني شفاء صدورهم وذكر أنه سيهزم جيشي ويوحش انسي ويذهب عزي ويؤتم ولدي ويفرق جموعي ، يفجع بي إخواني وأهلي وقرابتي ويقطع أو صالي ويسكن مساكني أعدائي ، قالوا : أيها الملك إنما نمنعك من الناس والسباع والهوام دواب الأرض فأما البلى فلا طاقة لنا به ولا قوة لنا عليه ولا امتناع لنا منه ، فقال : فهل من حيلة في دفع ذلك عني ؟ قالوا : لا ، قال : فشئ دون ذلك تطيقونه ، قالوا : وما هو ؟ قال : الأوجاع والأحزان والهموم ، قالوا : أيها الملك إنما قد قدر هذه الأشياء قوي لطيف وذلك يثور من الجسم والنفس وهو يصل إليك إذا لم يوصل ولا يحجب عنك وإن حجب قال : فأمر دون ذلك ، قالوا : وما هو ؟ قال : ما قد سبق من القضاء . قالوا : أيها الملك ومن ذا غالب القضاء فلم يغلب ؟ ومن ذا كابره فلم يقهر ؟ قال : فماذا عندكم ؟ قالوا : ما نقدر على دفع القضاء ، وقد أصبت التوفيق والتسديد فماذاالذي تريد ، قال : أريد أصحابا يدوم عهدهم ويفوا لي وتبقى لي إخوتهم ولا يحجبهم عني الموت ولا يمنعهم البلي عن صحبتي ولا يستحيل بهم الامتناع عن صحبتي ولا يفردوني إن مت ، ولا يسلموني إن عشت ، ويدفعون عني ما عجزتم عنه ، من أمر الموت . قالوا : أيها الملك ومن هؤلاء الذين وصفت ، قال : هم الذين أفسدتم باستصلاحكم ، قالوا : أيها الملك أفلا تصطنع عندنا وعندهم معروفا فإن أخلاقك تامة ورأفتك عظيمة ؟ قال : إن في صحبتكم إياي السم القاتل ، والصمم والعمي في طاعتكم ، البكم من موافقتكم ، قالوا : كيف ذاك أيها الملك ؟ قال : صارت صحبتكم إياي في الاستكثار وموافقتكم على الجمع ، وطاعتكم إياي في الاغتفال فبطأتموني عن المعاد وزينتم لي الدنيا ولو نصحتموني ذكرتموني الموت ولو أشفقتم علي ذكرتموني البلى ، وجمعتم لي ما يبقي ، ولم تستكثروا لي ما يفنى ، فإن تلك المنفعة التي ادعيتموها ضرر ، وتلك المودة عداوة ، وقد رددهما عليكم لا حاجة لي فيها منكم . قالوا : أيها الملك الحكيم المحمود قد فهمنا مقالتك وفي أنفسنا أجابتك وليس لنا أن نحتج عليك فقد رأينا مكان الحجة ، فسكوتنا عن حجتنا فساد لملكنا ، وهلاك لدنيانا وشماتة لعدونا ، وقد نزل بنا أمر عظيم بالذي تبدل من رأيك وأجمع عليه أمرك ، قال : قولوا آمنين واذكروا ما بدا لكم غير مرعو بين فإني كنت إلى اليوم مغلوبا بالحمية والانفة وأنا اليوم غالب لهما ، وكنت إلى اليوم مقهورا لهما وأنا اليوم قاهر لهما ، وكنت إلى اليوم ملكا عليكم فقد صرت عليكم مملوكا ، وأنا اليوم عتيق وأنتم من مملكتي طلقاء ، قالوا : أيها الملك ما الذي كنت مملوكا إذ كنت علينا ملكا ، قال : كنت مملوكا لهواي مقهورا بالجهل

مستعبدا لشهواتي فقد قطعت تلك الطاعة عني ونبذتها خلف ظهري ، قالوا : فقل ما أجمعت عليه أيها الملك ؟ قال : القنوع والتخلي لآخرتي وترك هذا الغرور ونبذ هذا الثقل عن ظهري والاستعداد للموت ، والتأهب للبلاء ، فإن رسوله عندي قد ذكر أنه قد أمر بملازمتي والإقامة معي حتى يأتيني الموت ، فقالوا : أيها الملك ومن هذا الرسول الذي قد أتاك ولم نره ، وهو مقدمة الموت الذي لا نعرفه ، قال : أما الرسول فهذا البياض الذي يلوح بين السواد ، وقد صاح في جميعه بالزوال ، فأجابوا وأذعنوا ، وأما مقدمة الموت فالبلى الذي هذا البياض طرقه . قالوا : أيها الملك أفتدع مملكتك ؟ وتهمل رعيتك وكيف لا تخاف الاثم في تعطيل أمتك ألست تعلم أن أعظم الاجر في استصلاح الناس وأن رأس الصلاح الطاعة للأمة والجماعة ، فكيف لا تخاف من الاثم ، وفي هلاك العامة من الاثم فوق الذي ترجو من الاجر في صلاح الخاصة ، ألست تعلم أن أفضل العبادة العمل وأن أشد العمل السياسة ، فإنك أيها الملك (ما في يديك) عدل على رعيتك ، مستصلح لها بتدبيرك ، فإن لك من الاجر بقدر ما استصلحت ، ألست أيها الملك إذا خليت ما في يديك من صلاح أمتك فقد أردت فسادهم فقد حملت من الاثم فيهم أعظم مما أنت مصيب من الاجر في خاصة يديك . ألست أيها الملك قد علمت أن العلماء قالوا : من أتلف نفسا فقد استوجب لنفسه الفساد ، ومن أصلحها فقد استوجب الصلاح لبدنه ، وأي فساد أعظم من رفض هذه الرعية التي أنت إمامها والإقامة في هذه الأمة التي أنت نظامها حاشا لك أيها الملك أن تخلع عنك لباس الملك الذي هو الوسيلة إلي شرف الدنيا والآخرة ، قال : قد فهمت الذي ذكرتم وعقلت الذي وصفتم فإن كنت إنما أطلب الملك عليكم للعدل فيكم والاجر من الله تعالى ذكره في استصلاحكم بغير أعوان يرفدونني ووزراء يكفونني فما عسيت أن أبلغ بالوحدة فيكم ألستم جميعا نزعا إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها ولا آمن أن أخلد إلى الحال التي أرجو أن أدعها وأرفضها ، فإن فعلت ذلك أتاني الموت على غرة ، فأنزلني عن سرير ملكي إلى بطن الأرض وكساني التراب بعد الديباج والمنسوج بالذهب ونفيس الجوهر ، وضمني إلي الضيق بعد السعة ، وألبسني الهوان بعد الكرامة ، فأصير فريدا بنفسي ليس معي أحد منكم في الوحدة ، قد أخرجتموني من العمران وأسلمتموني إلى الخراب ، وخليتم بين لحمي وبين سباع الطير وحشرات الأرض فأكلت مني النملة فما فوقها من الهوام وصار جسدي دودا وجيفة قذرة ، الذل لي حليف ، والعز مني غريب ، أشدكم حبا إلي أسرعكم إلي دفني ، والتخلية بيني وبين ما قدمت من عملي وأسلفت من ذنوبي ، فيورثني ذلك الحسرة ، ويعقبني الندامة ، وقد كنتم وعدتموني أن تمنعوني من عدوي الضار فإذا أنتم لا منع عندكم ولا قوة على ذلك لكم ولا سبيل ، أيها الملا إني محتال لنفسي إذ جئتم بالخداع ، ونصبتم لي شراك الغرور ، فقالوا : أيها الملك المحمود لسنا الذي كنا كما أنك لست الذي كنت ، وقد أبدلنا الذي أبدلك ، وغيرنا الذي غيرك ، فلا ترد علينا توبتنا وبذل نصيحتنا ، قال : أنا مقيم فيكم ما فعلتم ذلك ومفارقكم إذا خالفتموه ، فأقام ذلك الملك في ملكه وأخذ جنوده بسيرته واجتهدوا في العبادة فخصبت بلادهم وغلبوا عدوهم وازداد ملكهم حتى هلك ذلك الملك ، وقد صار فيهم بهذه السيرة اثنين وثلاثين سنة فكان جميع ما عاش أربعا وستين سنة يوذاسف : قد سررت بهذا الحديث جدا ، فزدني من نحوه أزدد سرورا و لربي شكرا . قال الحكيم : زعموا أنه كان ملك من الملوك الصالحين وكان له جنود يخشون الله عز وجل ويعبدونه ، وكان في ملك أبيه شدة من زمانهم والتفرق فيما بينهم و ينقص العدو من بلادهم ، وكان يحثهم على تقوى الله عز وجل وخشيته والاستعانة به ومراقبته والفزع إليه ، فلما ملك ذلك الملك قهر عدوه واستجمعت رعيته وصلحت بلاده وانتظم له الملك ، فلما رأى ما فضل الله عز وجل به أترفه ذلك وأبطره وأطغاه حتى ترك عبادة الله عز وجل وكفر نعمه ، وأسرع في قتل من عبد الله ودام ملكه و طالت مدته حتى ذهل الناس عما كانوا عليه من الحق قبل ملكه ونشوه وأطاعوه فيما أمرهم به وأسرعوا إلى الضلالة ، فلم يزل على ذلك فنشأ فيه الأولاد وصار لا يعبد الله عز وجل فيهم ولا يذكر بينهم اسمه ، ولا يحسبون أن لهم إلها غير الملك ، وكان ابن الملك قد عاهد الله عز وجل في

حياة أبيه إن هو ملك يوما أن يعمل بطاعة الله عز وجل بأمر لم يكن من قبله من الملوك يعملون به ولا يستطيعونه ، فلما ملك أنساه الملك رأيه الأول ونيته التي كان عليها ، وسكر سكر صاحب الخمر ، فلم يكن يصحو ويفيق وكان من أهل لطف الملك رجل صالح أفضل أصحابه منزلة عنده ، فتوجع له مما رأى من ضلالته في دينه ونسيانه ما عاهد الله عليه ، وكان كلما أراد أن يعظه ذكر عتوه وجبروته و لم يكن بقي من تلك الأمة غيره وغير رجل آخر في ناحية أرض الملك لا يعرف مكانه ولا يدعى باسمه . فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفها في ثيابه ، فلما جلس عن يمين الملك انتزعها عن ثيابه فوضعها بين يديه ثم وطئها برجله فلم يزل يفركها بين يدي الملك وعلى بساطه حتى دنس مجلس الملك بما تحات من تلك الجمجمة ، فلما رأى الملك ما صنع غضب من ذلك غضبا شديدا ، وشخصت إليه أبصار جلسائه واستعدت الحرس بأسيافهم انتظارا لامره إياهم بقتله ، والملك في ذلك مالك لغضبه ، وقد كانت الملوك في ذلك الزمان على جبروتهم وكفرهم ذوي أناة وتؤدة ، استصلاحا للرعية على عمارة أرضهم ليكون ذلك أعون للجلب وأدى للخراج ، فلم يزل الملك ساكتا على ذلك حتى قام من عنده ، فلف تلك الجمجمة ثم فعل ذلك في اليوم الثاني والثالث ، فلما رأى أن الملك لا يسأله عن تلك الجمجمة ، ولا يستنطقه عن شئ من شأنها أدخل مع تلك الجمجمة ميزانا وقليلا من تراب فلما صنع بالجمجمة ما كان يصنع أخذ الميزان وجعل في إحدى كفتيه درهما وفي الأخرى بوزنه ترابا ثم جعل ذلك التراب في عين تلك الجمجمة ثم أخذ قبضة من التراب فوضعها في موضع الفم من تلك الجمجمة . فلما رأى الملك ما صنع قل صبره وبلغ مجهوده ، فقال لذلك الرجل : قد علمت أنك إنما اجترأت على ما صنعت لمكانك مني وإدلالك علي ، وفضل منزلتك عندي ، ولعلك تريد بما صنعت أمرا ، فخر الرجل للملك ساجدا وقبل قدميه وقال : أيها الملك أقبل علي بعقلك كله فإن مثل الكلمة مثل السهم إذا رمي به في أرض لينة ثبت فيها وإذا رمي به في الصفا لم يثبت ، ومثل الكلمة كمثل المطر إذا أصاب أرضا طيبة مزروعة نبت فيها ، وإذا أصاب السباخ لم ينبت ، وإن أهواء الناس متفرقة ، والعقل والهوى يصطرعان في القلب ، فإن غلب هوى العقل عمل الرجل بالطيش و السفه ، وإن كان الهوى هو المغلوب لم يوجد في أمر الرجل سقطة ، فإني لم أزل منذ كنت غلاما أحب العلم وأرغب فيه وأوثره على الأمور كلها ، فلم أدع علما إلا بلغت منه أفضل مبلغ ، فبينا أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ قد بصرت بهذه الجمجمة بارزة من قبور الملوك ، فغاظني موقعها وفراقها جسدها غضبا للملوك ، فضممتها إلي و حملتها إلى منزلي فألبستها الديباج ونضحتها بماء الورد والطيب ووضعتها على الفرش وقلت : إن كانت من جماجم الملوك فسيؤثر فيها إكرامي إياها وترجع إلي جمالها وبهائها ، وإن كانت من جماجم المساكين فإن الكرامة لا تزيدها شيئا ففعلت ذلك بها أياما فلم أستنكر من هيئتها شيئا ، فلما رأيت ذلك دعوت عبدا هو أهون عبدي عندي فأهانها فإذا هي على حالة واحدة عند الإهانة والاكرام ، فلما رأيت ذلك أتيت الحكماء فسألتهم عنها فلم أجد عندهم علما بها ، ثم علمت أن الملك منتهى العلم ومأوى الحلم فأتيتك خائفا على نفسي و لم يكن لي أن أسألك عن شئ حتى تبدأني به وأحب أن تخبرني أيها الملك أجمجمة ملك هي أم جمجمة مسكين فإنها لما أعياني أمرها تفكرت في أمرها وفي عينها التي كانت لا يملأها شئ حتى لو قدرت على ما دون السماء من شئ تطلعت إلى أن تتناول ما فوق السماء ، فذهبت أنظر ما الذي يسدها ويملأها فإذا وزن درهم من تراب قد سدها وملأها ، ونظرت إلى فيها الذي لم يكن يملأه شئ فملأته قبضة من تراب ، فإن أخبرتني أيها الملك أنها جمجمة مسكين احتججت عليك بأني قد وجدتها وسط قبور الملوك ، ثم أجمع جماجم ملوك وجماجم مساكين فإن كان لجماجمكم عليها فضل ، فهو كما قلت ، وإن أخبرتني بأنها من جماجم الملوك أنبأتك أن ذلك الملك الذي كانت هذه جمجمته قد كان من بهاء الملك وجماله وعزته في مثل ما أنت فيه اليوم فحاشاك أيها الملك أن تصير إلى حال هذه الجمجمة فتوطأ بالاقدام وتخلط بالتراب ويأكلك الدود وتصبح بعد الكثرة قليلا وبعد العزة ذليلا ، وتسعك حفرة طولها أدنى من أربعة أذرع ، ويورث ملكك وينقطع خبرك ويفسد صنايعك ويهان من أكرمت ويكرم من أهنت ويستبشر أعداءك ويضل

أعوانك ويحول التراب دونك ، فإن دعوناك لم تسمع ، وإن أكرمناك لم تقبل ، وإن أهناك لم تغضب ، فيصير بنوك يتامى ونساؤك أيامي (٢) وأهلك يوشك أن يستبدلن أزواجا غيرك . فلما سمع الملك ذلك فزع قلبه وانسكبت عيناه يبكي ويقول ويدعو بالويل ، فلما رأي الرجل ذلك علم أن قوله قد استمكن من الملك ، وقوله قد أنجع فيه زاده ذلك جرأة عليه وتكريرا لما قال ، فقال له الملك : جزاك الله عني خيرا وجزا من حولي من العظماء شرا ، لعمري لقد علمت ما أردت بمقالتك هذه وقد أبصرت أمري فسمع الناس خبره فتوجهوا أهل الفضل إليه وختم له بالخير وبقي عليه إلى أن فارق الدنيا . قال ابن الملك : زدني من هذا المثل قال الحكيم : زعموا أن ملكا كان في أول الزمان وكان حريصا على أن يولد له وكان لا يدع شيئا مما يعالج به الناس أنفسهم إلا أتاه وصنعه ، فلما طال ذلك عليه من أمره حملت امرأة له من نسائه فولدت له غلاما فلما نشأ وترعرع خطا ذات يوم خطوة فقال : معادكم تجفون ، ثم خطا أخرى فقال : تهرمون ، ثم خطا الثالثة فقال : ثم تموتون ، ثم عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبي . فدعا الملك العلماء والمنجمين فقال : أخبروني خبر ابني هذا فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره ، فلم يكن عندهم فيه علم ، فلما رأى الملك أنه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات فأخذن في إرضاعه إلا أن منجما منهم قال : إنه سيكون إماما ، وجعل عليه حراسا لا يفارقونه حتى إذا شب انسل يوما من عند مرضعيه والحرس فأتى السوق فإذا هو بجنازة فقال : ما هذا قالوا : إنسانا مات قال : ما أماته ؟ قالوا : كبر وفنيت أيامه ودنى أجله فمات ، قال : وكان صحيحا حيا يمشي ويأكل ويشرب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجبا منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل شيخ كبير قد فنى شبابه وكبر ، قال : وكان صغيرا ثم شاب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل مريض مستلقى على ظهره ، فقام ينظر إليه ويتعجب منه ، فسألهم ما هذا ؟ قالوا : رجل مريض ، فقال : أو كان هذا صحيحا ثم مرض ؟ قالوا : نعم قال : والله لئن كنتم صادقين فإن الناس لمجنونون . فافتقد الغلام عند ذلك فطلب فإذا هو بالسوق فأتوه فأخذوه وذهبوا به فأدخلوه البيت ، فلما دخل البيت استلقى على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت و يقول : كيف كان هذا ؟ قالوا : كانت شجرة ثم صارت خشبا ، ثم قطع ، ثم بني هذا البيت ، ثم جعل هذا الخشب عليه ، فبينا هو في كلامه إذا رسل الملك إلى الموكلين به : انظروا هل يتكلم أو يقول شيئا ؟ قالوا : نعم وقد وقع في كلام ما نظنه إلا وسواسا ، فلما رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام ، دعا العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علما إلا الرجل الأول فأنكر قوله فقال بعضهم : أيها الملك لو زوجته ذهب عنه الذي ترى ، وأقبل وعقل وأبصر فبعث الملك في الأرض يطلب ويلتمس له امرأة فوجدت له امرأة من أحسن الناس وأجملهم فزوجها منه ، فلما أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون ، فلما سمع الغلام جلبتهم (١) وأصواتهم قال : ما هذا ؟ قالوا : هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك ، فسكت الغلام ، فلما فرغوا من العرس وأمسوا ، دعا الملك امرأة ابنه فقال لها : إنه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام ، فلما دخلت عليه فألطفي به وأقربي منه وتحببي إليه ، فلما دخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرب إليه ، فقال الغلام على رسلك فإن الليل طويل ، بارك الله فيك ، واصبري حتى نأكل ونشرب ، فدعا بالطعام فجعل يأكل فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها نامت . فقام الغلام فخرج من البيت ، وانسل من الحرس والبوابين حتى خرج وتردد في المدينة ، فلقيه غلام مثله من أهل المدينة فأتبعه وألقى ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام ، وتنكر جهده وخرجا جميعا من المدينة فسارا ليلتهما حتى إذا قرب الصبح خشيا الطلب فكمنا ، فاتيت الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة فسألوها أين زوجك ؟ قالت : كان عندي الساعة ، فطلب الغلام فلم يقدر عليه ، فلما أمسى الغلام وصاحبه سارا ثم جعلا يسيران الليل ويكمنان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه ، ووقعا في ملك سلطان آخر . وقد كان لذلك الملك الذي صارا إلى سلطانه ابنة قد جعل لها أن لا يزوجها أحدا إلا من هوته ورضيته ، وبنى لها غرفة عالية مشرفة

على الطريق فهي فيها جالسة تنظر إلى كل من أقبل وأدبر فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه ، فأرسلت إلى أبيها إني قد هويت رجلا فإن كنت مزوجي أحدا من الناس فزوجني منه واتيت أم الجارية فقيل لها : إن ابنتك قد هويت رجلا وهي تقول كذا وكذا ، فأقبلت إليها فرحة حتى تنظر إلى الغلام فأروها إياه فنزلت أمها مسرعة حتى دخلت على الملك ، فقالت : إن ابنتك قد هويت غلاما فأقبل الملك ينظر إليه ، ثم قال أرونيه فأروه من بعد فأمر أن يلبس ثيابا أخرى ونزل فسأله واستنطقه وقال : من أنت ومن أين أنت ؟ قال الغلام : وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس ، فقال : إنك لغريب ، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة ، فقال الغلام : ما أنا بغريب ، فعالجه الملك أن يصدقه قصته فأبى ، فأمر الملك أناسا أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ ، ولا يعلم بهم ، ثم رجع الملك إلى أهله فقال : رأيت رجلا كأنه ابن الملك وماله حاجة فيما تراودونه عليه ، فبعث إليه فقيل له : إن الملك يدعوك ، فقال الغلام : وما أنا والملك يدعوني ومالي إليه حاجة وما يدري من أنا ، فانطلق به على كره منه حتى دخل على الملك فأمر بكرسي فوضع له فجلس عليه ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه فقال له الملك : دعوتك لخير ، إن لي ابنه قد رغبت فيك أريد أن أزوجها منك فإن كنت مسكينا أغنيناك ورفعناك وشرفناك ، قال الغلام : مالي فيما تدعوني إليه حاجة ، فإن شئت ضربت لك مثلا أيها الملك ؟ قال : فافعل . قال الغلام : زعموا أن ملكا من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعوا له طعاما ودعوه إليه فخرج معهم فأكلوا وشربوا حتى سكروا فناموا فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عائدا إلى منزله ، ولم يوقظ أحدا منه فبينا هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب فبصر بقبر على الطريق فظن أنه مدخل بيته فدخله فإذا هو بريح الموتى فحسب ذلك لما كان به السكر أنه رياح طيبة فإذا هو بعظام لا يحسبها إلا فرشه الممهدة ، فإذا هو بجسد قد مات حديثا وقد أروح فحسبه أهله فقام إلى جانبه فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليله فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر فإذا هو على جسد ميت وريح منتنة ، قد دنس ثيابه وجلده ، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى ، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجها إلى باب المدينة ، فوجده مفتوحا فدخله حتى أتى أهله فرأى أنه قد أنعم عليه حيث لم يلقه أحد ، فألقى عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس لباسا أخرى وتطيب . عمرك الله أيها الملك أتراه راجعا إلى ما كان فيه وهو يستطيع ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فالتفت الملك إلى امرأته وابنته ، وقال : قد أخبرتكم أنه ليس له فيما تدعونه رغبة ، قالت أمها : لقد قصرت في النعت لابنتي والوصف لها أيها الملك ولكني خارجة إليه ومتكلمة ، فقال الملك للغلام : إن امرأتي تريد أن تكلمك وتخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك ، فقال الغلام : لتخرج إن أحبت ، فخرجت وجلست فقالت للغلام : تعال إلى ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فأزوجك ابنتي فإنك لو قد رأيتها وما قسم الله عز وجل لها من الجمال والهيئة لاغتبطت ، فنظر الغلام إلى الملك فقال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن سراقا تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا ، فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قط ، وإذا هم بقلة من ذهب مختومة بالذهب فقالوا لا نجد شيئا أعلى من هذه القلة هي ذهب مختومة بالذهب والذي فيها أفضل من الذي رأينا فاحتملوها ومضوا بها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضا عليها ففتحوها فإذا في وسطها أفاع ، فوثبن في وجوههم فقتلنهم أجمعين . عمرك الله أيها الملك أفترى أحدا علم بما أصابهم وما لقوه يدخل يده في تلك القلة وفيها من الأفاعي ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فقالت الجارية لأبيها : ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأكلمه فإنه لو قد نظر إلي وإلى جمالي وحسني وهيئتي وما قسم الله عز وجل لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب ، فقال الملك للغلام : إن ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى رجل قط ، قال : لتخرج أن أحبت ، فخرجت عليه وهي أحسن الناس وجها وقدا وطرفا وهيكلا ، فسلمت على الغلام وقالت للغلام : هل رأيت مثلي قط أو أتم أو أجمل أو أكمل أو أحسن ؟ وقد هويتك وأحببتك ، فنظر الغلام إلى الملك ، فقال : أفلا أضرب لها مثلا ؟ قال : بلى . قال الغلام : زعموا أيها الملك إن ملكا له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه في

بيت وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ، فمكث بذلك حينا ، ثم إن أخاه قال لأبيه : ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه ، وأحتال له ، قال : فانطلق وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة . وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر ، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها ؟ فقال : إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا علي علم فانصرف أخوه راجعا إلى منزله ومتاعه ، وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا ومتاعا لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه مما يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله ، وقال : أنا أداويك فاختلسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق ، ثم قال له : انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر ، فانطلق سائرا فوقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنتا عشرة غولا وفي أسفلها اثنا عشر سيفا ، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فت

من مملكتي طلقاء ، قالوا : أيها الملك ما الذي كنت مملوكا إذ كنت علينا ملكا ، قال : كنت مملوكا لهواي مقهورا بالجهل مستعبدا لشهواتي فقد قطعت تلك الطاعة عني ونبذتها خلف ظهري ، قالوا : فقل ما أجمعت عليه أيها الملك ؟ قال : القنوع والتخلي لآخرتي وترك هذا الغرور ونبذ هذا الثقل عن ظهري والاستعداد للموت ، والتأهب للبلاء ، فإن رسوله عندي قد ذكر أنه قد أمر بملازمتي والإقامة معي حتى يأتيني الموت ، فقالوا : أيها الملك ومن هذا الرسول الذي قد أتاك ولم نره ، وهو مقدمة الموت الذي لا نعرفه ، قال : أما الرسول فهذا البياض الذي يلوح بين السواد ، وقد صاح في جميعه بالزوال ، فأجابوا وأذعنوا ، وأما مقدمة الموت فالبلى الذي هذا البياض طرقه . قالوا : أيها الملك أفتدع مملكتك ؟ وتهمل رعيتك وكيف لا تخاف الاثم في تعطيل أمتك ألست تعلم أن أعظم الاجر في استصلاح الناس وأن رأس الصلاح الطاعة للأمة والجماعة ، فكيف لا تخاف من الاثم ، وفي هلاك العامة من الاثم فوق الذي ترجو من الاجر في صلاح الخاصة ، ألست تعلم أن أفضل العبادة العمل وأن أشد العمل السياسة ، فإنك أيها الملك (ما في يديك) عدل على رعيتك ، مستصلح لها بتدبيرك ، فإن لك من الاجر بقدر ما استصلحت ، ألست أيها الملك إذا خليت ما في يديك من صلاح أمتك فقد أردت فسادهم فقد حملت من الاثم فيهم أعظم مما أنت مصيب من الاجر في خاصة يديك . ألست أيها الملك قد علمت أن العلماء قالوا : من أتلف نفسا فقد استوجب لنفسه الفساد ، ومن أصلحها فقد استوجب الصلاح لبدنه ، وأي فساد أعظم من رفض هذه الرعية التي أنت إمامها والإقامة في هذه الأمة التي أنت نظامها حاشا لك أيها الملك أن تخلع عنك لباس الملك الذي هو الوسيلة إلي شرف الدنيا والآخرة ، قال : قد فهمت الذي ذكرتم وعقلت الذي وصفتم فإن كنت إنما أطلب الملك عليكم للعدل فيكم والاجر من الله تعالى ذكره في استصلاحكم بغير أعوان يرفدونني ووزراء يكفونني فما عسيت أن أبلغ بالوحدة فيكم ألستم جميعا نزعا إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها ولا آمن أن أخلد إلى الحال التي أرجو أن أدعها وأرفضها ، فإن فعلت ذلك أتاني الموت على غرة ، فأنزلني عن سرير ملكي إلى بطن الأرض وكساني التراب بعد الديباج والمنسوج بالذهب ونفيس الجوهر ، وضمني إلي الضيق بعد السعة ، وألبسني الهوان بعد الكرامة ، فأصير فريدا

بنفسي ليس معي أحد منكم في الوحدة ، قد أخرجتموني من العمران وأسلمتموني إلى الخراب ، وخليتم بين لحمي وبين سباع الطير وحشرات الأرض فأكلت مني النملة فما فوقها من الهوام وصار جسدي دودا وجيفة قذرة ، الذل لي حليف ، والعز مني غريب ، أشدكم حبا إلي أسرعكم إلي دفني ، والتخلية بيني وبين ما قدمت من عملي وأسلفت من ذنوبي ، فيورثني ذلك الحسرة ، ويعقبني الندامة ، وقد كنتم وعدتموني أن تمنعوني من عدوي الضار فإذا أنتم لا منع عندكم ولا قوة على ذلك لكم ولا سبيل ، أيها الملا إني محتال لنفسي إذ جئتم بالخداع ، ونصبتم لي شراك الغرور ، فقالوا : أيها الملك المحمود لسنا الذي كنا كما أنك لست الذي كنت ، وقد أبدلنا الذي أبدلك ، وغيرنا الذي غيرك ، فلا ترد علينا توبتنا وبذل نصيحتنا ، قال : أنا مقيم فيكم ما فعلتم ذلك ومفارقكم إذا خالفتموه ، فأقام ذلك الملك في ملكه وأخذ جنوده بسيرته واجتهدوا في العبادة فخصبت بلادهم وغلبوا عدوهم وازداد ملكهم حتى هلك ذلك الملك ، وقد صار فيهم بهذه السيرة اثنين وثلاثين سنة فكان جميع ما عاش أربعا وستين سنة يوذاسف : قد سررت بهذا الحديث جدا ، فزدني من نحوه أزدد سرورا و لربي شكرا . قال الحكيم : زعموا أنه كان ملك من الملوك الصالحين وكان له جنود يخشون الله عز وجل ويعبدونه ، وكان في ملك أبيه شدة من زمانهم والتفرق فيما بينهم و ينقص العدو من بلادهم ، وكان يحثهم على تقوى الله عز وجل وخشيته والاستعانة به ومراقبته والفزع إليه ، فلما ملك ذلك الملك قهر عدوه واستجمعت رعيته وصلحت بلاده وانتظم له الملك ، فلما رأى ما فضل الله عز وجل به أترفه ذلك وأبطره وأطغاه حتى ترك عبادة الله عز وجل وكفر نعمه ، وأسرع في قتل من عبد الله ودام ملكه و طالت مدته حتى ذهل الناس عما كانوا عليه من الحق قبل ملكه ونشوه وأطاعوه فيما أمرهم به وأسرعوا إلى الضلالة ، فلم يزل على ذلك فنشأ فيه الأولاد وصار لا يعبد الله عز وجل فيهم ولا يذكر بينهم اسمه ، ولا يحسبون أن لهم إلها غير الملك ، وكان ابن الملك قد عاهد الله عز وجل في حياة أبيه إن هو ملك يوما أن يعمل بطاعة الله عز وجل بأمر لم يكن من قبله من الملوك يعملون به ولا يستطيعونه ، فلما ملك أنساه الملك رأيه الأول ونيته التي كان عليها ، وسكر سكر صاحب الخمر ، فلم يكن يصحو ويفيق (١) . وكان من أهل لطف الملك رجل صالح أفضل أصحابه منزلة عنده ، فتوجع له مما رأى من ضلالته في دينه ونسيانه ما عاهد الله عليه ، وكان كلما أراد أن يعظه ذكر عتوه وجبروته و لم يكن بقي من تلك الأمة غيره وغير رجل آخر في ناحية أرض الملك لا يعرف مكانه ولا يدعى باسمه . فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفها في ثيابه ، فلما جلس عن يمين الملك انتزعها عن ثيابه فوضعها بين يديه ثم وطئها برجله فلم يزل يفركها بين يدي الملك وعلى بساطه حتى دنس مجلس الملك بما تحات من تلك الجمجمة ، فلما رأى الملك ما صنع غضب من ذلك غضبا شديدا ، وشخصت إليه أبصار جلسائه واستعدت الحرس بأسيافهم انتظارا لامره إياهم بقتله ، والملك في ذلك مالك لغضبه ، وقد كانت الملوك في ذلك الزمان على جبروتهم وكفرهم ذوي أناة وتؤدة ، استصلاحا للرعية على عمارة أرضهم ليكون ذلك أعون للجلب وأدى للخراج ، فلم يزل الملك ساكتا على ذلك حتى قام من عنده ، فلف تلك الجمجمة ثم فعل ذلك في اليوم الثاني والثالث ، فلما رأى أن الملك لا يسأله عن تلك الجمجمة ، ولا يستنطقه عن شئ من شأنها أدخل مع تلك الجمجمة ميزانا وقليلا من تراب فلما صنع بالجمجمة ما كان يصنع أخذ الميزان وجعل في إحدى كفتيه درهما وفي الأخرى بوزنه ترابا ثم جعل ذلك التراب في عين تلك الجمجمة ثم أخذ قبضة من التراب فوضعها في موضع الفم من تلك الجمجمة . فلما رأى الملك ما صنع قل صبره وبلغ مجهوده ، فقال لذلك الرجل : قد علمت أنك إنما اجترأت على ما صنعت لمكانك مني وإدلالك علي ، وفضل منزلتك عندي ، ولعلك تريد بما صنعت أمرا ، فخر الرجل للملك ساجدا وقبل قدميه وقال : أيها الملك أقبل علي بعقلك كله فإن مثل الكلمة مثل السهم إذا رمي به في أرض لينة ثبت فيها وإذا رمي به في الصفا لم يثبت ، ومثل الكلمة كمثل المطر إذا أصاب أرضا طيبة مزروعة نبت فيها ، وإذا أصاب السباخ لم ينبت ، وإن أهواء الناس متفرقة ، والعقل والهوى يصطرعان في القلب ، فإن غلب هوى العقل عمل الرجل بالطيش و السفه ، وإن كان الهوى هو

المغلوب لم يوجد في أمر الرجل سقطة ، فإني لم أزل منذ كنت غلاما أحب العلم وأرغب فيه وأوثره على الأمور كلها ، فلم أدع علما إلا بلغت منه أفضل مبلغ ، فبينا أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ قد بصرت بهذه الجمجمة بارزة من قبور الملوك ، فغاظني موقعها وفراقها جسدها غضبا للملوك ، فضممتها إلي و حملتها إلى منزلي فألبستها الديباج ونضحتها بماء الورد والطيب ووضعتها على الفرش وقلت : إن كانت من جماجم الملوك فسيؤثر فيها إكرامي إياها وترجع إلي جمالها وبهائها ، وإن كانت من جماجم المساكين فإن الكرامة لا تزيدها شيئا ففعلت ذلك بها أياما فلم أستنكر من هيئتها شيئا ، فلما رأيت ذلك دعوت عبدا هو أهون عبدي عندي فأهانها (صفحة ٦٢٨) فإذا هي على حالة واحدة عند الإهانة والاكرام ، فلما رأيت ذلك أتيت الحكماء فسألتهم عنها فلم أجد عندهم علما بها ، ثم علمت أن الملك منتهى العلم ومأوى الحلم فأتيتك خائفا على نفسي و لم يكن لي أن أسألك عن شئ حتى تبدأني به وأحب أن تخبرني أيها الملك أجمجمة ملك هي أم جمجمة مسكين فإنها لما أعياني أمرها تفكرت في أمرها وفي عينها التي كانت لا يملأها شئ حتى لو قدرت على ما دون السماء من شئ تطلعت إلى أن تتناول ما فوق السماء ، فذهبت أنظر ما الذي يسدها ويملأها فإذا وزن درهم من تراب قد سدها وملأها ، ونظرت إلى فيها الذي لم يكن يملأه شئ فملأته قبضة من تراب ، فإن أخبرتني أيها الملك أنها جمجمة مسكين احتججت عليك بأني قد وجدتها وسط قبور الملوك ، ثم أجمع جماجم ملوك وجماجم مساكين فإن كان لجماجمكم عليها فضل ، فهو كما قلت ، وإن أخبرتني بأنها من جماجم الملوك أنبأتك أن ذلك الملك الذي كانت هذه جمجمته قد كان من بهاء الملك وجماله و عزته في مثل ما أنت فيه اليوم فحاشاك أيها الملك أن تصير إلى حال هذه الجمجمة فتوطأ بالاقدام وتخلط بالتراب ويأكلك الدود وتصبح بعد الكثرة قليلا وبعد العزة ذليلا ، وتسعك حفرة طولها أدنى من أربعة أذرع ، ويورث ملكك وينقطع ذكرك و يفسد صنايعك ويهان من أكرمت ويكرم من أهنت وتستبشر أعداءك ويضل أعوانك و يحول التراب دونك ، فإن دعوناك لم تسمع ، وإن أكرمناك لم تقبل ، وإن أهناك لم تغضب ، فيصير بنوك يتامى ونساؤك أيامى وأهلك يوشك أن يستبدلن أزواجا غيرك . فلما سمع الملك ذلك فزع قلبه وانسكبت عيناه يبكى ويعول ويدعو بالويل ، فلما رأي الرجل ذلك علم أن قوله قد استمكن من الملك ، وقوله قد أنجع فيه زاده ذلك جرأة عليه وتكريرا لما قال ، فقال له الملك : جزاك الله عني خيرا وجزا من حولي من العظماء شرا ، لعمري لقد علمت ، ما أردت بمقالتك هذه وقد أبصرت أمري فسمع الناس خبره فتوجهوا أهل الفضل نحوه وختم له بالخير وبقي عليه إلى أن فارق الدنيا . قال ابن الملك : زدني من هذا المثل ، قال الحكيم : زعموا أن ملكا كان في أول الزمان وكان حريصا على أن يولد له وكان لا يدع شيئا مما يعالج به الناس أنفسهم إلا أتاه وصنعه ، فلما طال ذلك من أمره حملت امرأة له من نسائه فولدت له غلاما فلما نشأ وترعرع (٣) خطا ذات يوم خطوة فقال : معادكم تجفون ، ثم خطا أخرى فقال : تهرمون ، ثم خطا الثالثة فقال : ثم تموتون ، ثم عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبي . فدعا الملك العلماء والمنجمين فقال : أخبروني خبر ابني هذا فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره ، فلم يكن عندهم فيه علم ، فلما رأى الملك أنه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات فأخذن في إرضاعه إلا أن منجما منهم قال : إنه سيكون إماما ، وجعل عليه حراسا لا يفارقونه حتى إذا شب انسل يوما من عند مرضعيه والحرس فأتى السوق فإذا هو بجنازة فقال : ما هذا قالوا : إنسانا مات قال : ما أماته ؟ قالوا : كبر وفنيت أيامه ودنى أجله فمات ، قال : وكان صحيحا حيا يمشي ويأكل ويشرب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجبا منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل شيخ كبير قد فنى شبابه وكبر ، قال : وكان صغيرا ثم شاب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل مريض مستلقى على ظهره ، فقام ينظر إليه ويتعجب منه ، فسألهم ما هذا ؟ قالوا : رجل مريض ، فقال : أو كان هذا صحيحا ثم مرض ؟ قالوا : نعم قال : والله لئن كنتم صادقين فإن الناس لمجنونون . فافتقد الغلام عند ذلك فطلب فإذا هو بالسوق فأتوه فأخذوه وذهبوا به

فأدخلوه البيت ، فلما دخل البيت استلقى على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت و يقول : كيف كان هذا ؟ قالوا : كانت شجرة ثم صارت خشبا ، ثم قطع ، ثم بني هذا البيت ، ثم جعل هذا الخشب عليه ، فبينا هو في كلامه إذا رسل الملك إلى الموكلين به : انظروا هل يتكلم أو يقول شيئا ؟ قالوا : نعم وقد وقع في كلام ما نظنه إلا وسواسا ، فلما رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام ، دعا العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علما إلا الرجل الأول فأنكر قوله فقال بعضهم : أيها الملك لو زوجته ذهب عنه الذي ترى ، وأقبل وعقل وأبصر فبعث الملك في الأرض يطلب ويلتمس له امرأة فوجدت له امرأة من أحسن الناس وأجملهم فزوجها منه ، فلما أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون ، فلما سمع الغلام جلبتهم (١) وأصواقم قال : ما هذا ؟ قالوا : هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك ، فسكت الغلام ، فلما فرغوا من العرس وأمسوا ، دعا الملك امرأة ابنه فقال لها : إنه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام ، فلما دخلت عليه فألطفي به وأقربي منه وتحيي إليه ، فلما دخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرب إليه ، فقال الغلام على رسلك (١) فإن الليل طويل ، بارك الله فيك ، واصبري حتى نأكل ونشرب ، فدعا بالطعام فجعل يأكل فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها نامت . فقام الغلام فخرج من البيت ، وانسل من الحرس والبوابين حتى خرج وتردد في المدينة ، فلقيه غلام مثله من أهل المدينة فأتبعه وألقى ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام ، وتنكر جهده وخرجا جميعا من المدينة فسارا ليلتهما حتى إذا قرب الصبح خشيا الطلب فكمنا ، فاتيت الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة فسألوها أين زوجك ؟ قالت : كان عندي الساعة ، فطلب الغلام فلم يقدر عليه ، فلما أمسى الغلام وصاحبه سارا ثم جعلا يسيران الليل ويكمنان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه ، ووقعا في ملك سلطان آخر . وقد كان لذلك الملك الذي صارا إلى سلطانه ابنة قد جعل لها أن لا يزوجها أحدا إلا من هوته ورضيته ، وبنى لها غرفة عالية مشرفة على الطريق فهي فيها جالسة تنظر إلى كل من أقبل وأدبر فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه ، فأرسلت إلى أبيها إني قد هويت رجلا فإن كنت مزوجي أحدا من الناس فزوجني منه واتيت أم الجارية فقيل لها : إن ابنتك قد هويت رجلا وهي تقول كذا وكذا ، فأقبلت إليها فرحة حتى تنظر إلى الغلام فأروها إياه فنزلت أمها مسرعة حتى دخلت على الملك ، فقالت : إن ابنتك قد هويت غلاما فأقبل الملك ينظر إليه ، ثم قال أرونيه فأروه من بعد فأمر أن يلبس ثيابا أخرى ونزل فسأله واستنطقه وقال : من أنت ومن أين أنت ؟ قال الغلام : وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس ، فقال : إنك لغريب ، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة ، فقال الغلام : ما أنا بغريب ، فعالجه الملك أن يصدقه قصته فأبى ، فأمر الملك أناسا أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ ، ولا يعلم بهم ، ثم رجع الملك إلى أهله فقال : رأيت رجلا كأنه ابن الملك وماله حاجة فيما تراودونه عليه ، فبعث إليه فقيل له : إن الملك يدعوك ، فقال الغلام : وما أنا والملك يدعوني ومالي إليه حاجة وما يدري من أنا ، فانطلق به على كره منه حتى دخل على الملك فأمر بكرسي فوضع له فجلس عليه ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه فقال له الملك : دعوتك لخير ، إن لي ابنه قد رغبت فيك أريد أن أزوجها منك فإن كنت مسكينا أغنيناك ورفعناك وشرفناك ، قال الغلام : مالي فيما تدعوني إليه حاجة ، فإن شئت ضربت لك مثلا أيها الملك ؟ قال : فافعل . قال الغلام : زعموا أن ملكا من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعوا له طعاما ودعوه إليه فخرج معهم فأكلوا وشربوا حتى سكروا فناموا فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عائدا إلى منزله ، ولم يوقظ أحدا منه فبينا هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب فبصر بقبر على الطريق فظن أنه مدخل بيته فدخله فإذا هو بريح الموتى فحسب ذلك لما كان به السكر أنه رياح طيبة فإذا هو بعظام لا يحسبها إلا فرشه الممهدة ، فإذا هو بجسد قد مات حديثا وقد أروح فحسبه أهله فقام إلى جانبه فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليله فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر فإذا هو على جسد ميت وريح منتنة ، قد دنس ثيابه وجلده ، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى ، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجها إلى

باب المدينة ، فوجده مفتوحا فدخله حتى أتى أهله فرأى أنه قد أنعم عليه حيث لم يلقه أحد ، فألقى عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس لباسا أخرى وتطيب . عمرك الله أيها الملك أتراه راجعا إلى ما كان فيه وهو يستطيع ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فالتفت الملك إلى امرأته وابنته ، وقال : قد أخبرتكم أنه ليس له فيما تدعونه رغبة ، قالت أمها : لقد قصرت في النعت لابنتي والوصف لها أيها الملك ولكني خارجة إليه ومتكلمة ، فقال الملك للغلام : إن امرأتي تريد أن تكلمك وتخرج إليك و لم تخرج إلى أحد قبلك ، فقال الغلام : لتخرج إن أحبت ، فخرجت وجلست فقالت للغلام : تعال إلى ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فأزوجك ابنتي فإنك لو قد رأيتها وما قسم الله عز وجل لها من الجمال والهيئة لاغتبطت ، فنظر الغلام إلى الملك فقال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن سراقا تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا ، فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قط ، وإذا هم بقلة من ذهب مختومة بالذهب فقالوا لا نجد شيئا أعلى من هذه القلة هي ذهب مختومة بالذهب والذي فيها أفضل من الذي رأينا فاحتملوها ومضوا بها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضا عليها ففتحوها فإذا في وسطها أفاع ، فوثبن في وجوههم فقتلنهم أجمعين . عمرك الله أيها الملك أفترى أحدا علم بما أصابهم وما لقوه يدخل يده في تلك القلة وفيها من الأفاعي ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فقالت الجارية لأبيها : ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأكلمه فإنه لو قد نظر إلي وإلى جمالي وحسني وهيئتي وما قسم الله عز وجل لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب ، فقال الملك للغلام : إن ابنتي تريد أن تخرج إليك و لم تخرج إلى رجل قط ، قال : لتخرج أن أجبت ، فخرجت عليه وهي أحسن الناس وجها وقدا وطرفا وهيكلا ، فسلمت على الغلام وقالت للغلام : هل رأيت مثلي قط أو أتم أو أجمل أو أكمل أو أحسن ؟ وقد هويتك وأحببتك ، فنظر الغلام إلى الملك ، فقال : أفلا أضرب لها مثلا ؟ قال : بلى . قال الغلام : زعموا أيها الملك إن ملكا له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه في بيت وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ، فمكث بذلك حينا ، ثم إن أخاه قال لأبيه : ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه ، وأحتال له ، قال : فانطلق وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة . وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر ، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها ؟ فقال : إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا علي علم فانصرف أخوه راجعا إلى منزله ومتاعه ، وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا ومتاعا لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه مما يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله ، وقال : أنا أداويك فاختلسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق ، ثم قال له : انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر ، فانطلق سائرا فوقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنتا عشرة غولا وفي أسفلها اثنا عشر سيفا ، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فتعلق به وتخلص وسار حتى أتى البحر فوجد سفينة قد أعدت له إلى جانب الساحل فركب فيها حتى أتوا به أهله . عمرك الله أيها الملك أتراه عائدا إلى ما قد عاين ولقي ، قال : لا ، قال : فاني أنا هو ، فيئسوا منه ، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة فساره وقال : اذكرني لها وأنكحنيها فقال الغلام للملك إن هذا يقول إني أحب

الملك أن ينكحنيها ، فقال : لا أفعل قال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن رجلا كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأياما ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر فأتى غولا فهويها ونكحها حتى إذا كان مع الصبح قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله فليس ينام حذرا إذا كان مع الصبح نامت الغول فانسل الرجل حتى أتى الساحل فإذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها : أين الرجل الذي بات معك ؟ قالت : إنه قد فر مني ، فكذبوها وقالوا : أكلته واستأثرت به علينا فلنقتلنك إن لم تأتنا به فمرت في الماء حتى أتته في منزله ورحله فدخلت عليه و جلست عنده وقالت له : ما لقيت في سفرك هذا ، قال : لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك قالت : وقد تخلصت : قال : نعم فقالت : أنا الغولة وجئت لآخذك فقال لها : أنشدك الله أن تهلكيني فإني أدلك على مكان رجل ، قالت : إني أرحمك فانطلقا حتى إذ دخلا على الملك ، قالت : اسمع منا أصلح الله الملك إني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحب الناس إلي ، ثم إنه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا فلما رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فساره وقال له : إني قد أحببت أن تتركها فأتزوجها قال : نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوج بها الملك وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحدا يعلم بهذا ثم ينطلق إليه ؟ قال : الخاطب للغلام : فإني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت . فخرجا من عند الملك يعبدان الله جل جلاله ويسيحان في الأرض ، فهدى الله عز وجل بهما أناسا كثيرا وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده ، وقال : لو بعثت إليه فاستنقذته مما هو فيه ، فبعث إليه رسولا فأتاه فقال له : إن ابنك يقرئك السلام وقص عليه خبره وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه ثم إن بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أياما حتى عرف أنه قد فتح له الباب ودله على سبيل الصواب ، ثم تحول من تلك البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزينا مغتما فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عز وجل ملكا من الملائكة فلما رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه ، ثم قال له : لك الخير والسلامة أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهال أتيتك بالتحية من الحق وإله الخلق بعثني إليك لأبشرك وأذكر لك ما غاب عنك من أمور دنياك وآخرتك ، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي ، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها وازهد في الملك الزائل ، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة ، واطلب الملك الذي لا يزول الفرح الذي لا ينقضي والراحة التي لا يتغير وكن صديقا مقسطا ، فإنك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنة . فلما سمع يوذاسف كلامه خر بين يدي الله عز وجل ساجدا ، وقال : إني لأمر الله تعالى مطيع وإلى وصيته منته فمرني بأمرك فإني لك حامد ولمن بعثك إلي شاكر فإنه رحمني ورؤف بي و لم يرفضني بين الأعداء فإني كنت بالذي أتيتني به مهتما ، قال الملك : إني أرجع إليك بعد أيام ، ثم أخرجك فتهيأ لذلك ولا تغفل عنه ، فوطن يوذاسف نفسه على الخروج وجعل همته كله فيه و لم يطلع على ذلك أحدا حتى إذا جاء وقت خروجه أتاه الملك في جوف الليل والناس نيام ، فقال له : قم فاخرج ولا تؤخر ذلك ، فقام و لم يفش سره إلى أحد من الناس غير وزيره فبينا هو يريد الركوب إذا أتاه رجل شاب جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له . وقال : أين تذهب : يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيها المصلح الحكيم الكامل : وتتركنا له وتترك ملكك وبلادك ، أقم عندنا فإنا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة و لم تنزل بنا عاهة ولا مكروه ، فسكته يوذاسف وقال له : امكث أنت في بلادك ودرا أهل مملكتك فأما أنا فذاهب حيث بعثت وعامل ما أمرت به فإن أنت أعنتني كان لك في عملي نصيبا . ثم إنه ركب فسار ما قضى الله له أن يسير ، ثم إنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشد البكاء ، ويقول ليوذاسف : بأي وجه أستقبل أبويك ؟ وبما أجيبهما عنك وبأي عذاب أو موت يقتلاني ، وأنت كيف تطيق العسر والا ذي

الذي لم تتعوده وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوما قط ؟ وجسدك كيف تحمل الجوع والظمأ والتقلب على الأرض والتراب ، فسكته وعزاه ووهب له فرسه والمنطقة فجعل يقبل قدميه ويقول : لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فإنه لا كرامة لي بعدك وإنك إن تركتني ولم تذهب بي معك أخرج في الصحراء ولم أدخل مسكنا فيه إنسان أبدا ، فسكته أيضا وعزاه وقال : لا تجعل في نفسك إلا خيرا فإني باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك . ثم نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له : البس ثيابي وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في رأسه ، وقال له : انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقرئه السلام ثم الاشراف وقل لهم : إني لما نظرت فيما بين الباقي والزائل رغبت في الباقي وزهدت في الزائل ولما استبان لي أصلي و حسبي وفصلت بينهما وبين الأعداء والقرباء رفضت الأعداء والقرباء وانقطعت إلى أصلي وحسبي ، فأما والدي فإنه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه ، فإذا أبصر كسوني عليك ذكرني وذكر حبي لك ومودتي إياك ، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروها . ثم رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعا فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن ما يكون من الشجر وأكثرها فرعا وغصنا وأحلاها ثمرا ، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعد كثرة ، فسر بذلك المنظر وفرح به ، وتقدم إليه حتى دنا منه ، وجعل يعبره في نفسه ويفسره فشبه الشجر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم ، والطير بالناس الذين يجتمعون إليه و يقبلون منه الدين ، فبينا هو قائم إذا أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فأتبع آثارهم حتى رفعوه في جو السماء وأوتي من العلم والحكمة ما عرف به الأولى والوسطى والأخرى ، والذي هو كائن ، ثم أنزلوه إلى الأرض وقرنوا معه قرينا من الملائكة الأربعة فمكث في تلك البلاد حينا ثم إنه أتى أرض سولابط فلما بلغ والده قدومه خرج يسير هو والاشراف فأكرموه وقربوه ، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلموا عليه وكلمهم الكلام الكثير وفرش لهم الأساس وقال لهم : اسمعوا إلي بأسماعكم وفرغوا إلي قلوبكم لاستماع حكمة الله عز وجل التي هي نور الأنفس وثقوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد ، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الذي بين الحق والباطل ، والضلال والهدى . واعلموا أن هذا هو دين الحق الذي أنزله الله عز وجل على الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والقرون الأولى ، فخصنا الله عز وجل به في هذا القرن برحمته بنا ورأفته رحمته وتحننه علينا وفيه خلاص من نار جهنم إلا أنه لا ينال الانسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحد إلا بالايمان وعمل الخير ، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبدا ومن آمن منكم بالدين فلا يكونن إيمانه طمعا في الحياة ورجاء لملك الأرض وطلب مواهب الدنيا ، وليكن إيمانكم بالدين طمعا في ملكوت السماوات ورجاء للخلاص وطلب النجاة من الضلالة وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة ، فإن ملك الأرض وسلطانها زائل ، ولذاتها منقطعة ، فمن اغتر بها هلك وافتضح ، لو قد وقف على ديان الدين الذي لا يدين إلا بالحق ، فإن الموت مقرون .

وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة . وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر ، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها ؟ فقال : إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا علي علم فانصرف أخوه راجعا إلى منزله ومتاعه ، وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا

ومتاعا لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غذوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه مما يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله ، وقال : أنا أداويك فاختلسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق ، ثم قال له : انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر ، فانطلق سائرا فوقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنتا عشرة غولا وفي أسفلها اثنا عشر سيفا ، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فتعلق به وتخلص وسار حتى أتى البحر فوجد سفينة قد أعدت له إلى جانب الساحل فركب فيها حتى أتوا به أهله . عمرك الله أيها الملك أتراه عائدا إلى ما قد عاين ولقي ، قال : لا ، قال : فاني أنا هو ، فيئسوا منه ، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة فساره وقال : اذكرني لها وأنكحنيها فقال الغلام للملك إن هذا يقول إني أحب الملك أن ينكحنيها ، فقال : لا أفعل قال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن رجلا كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأياما ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر فأتى غولا فهويها ونكحها حتى إذا كان مع الصبح قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله فليس ينام حذرا إذا كان مع الصبح نامت الغول فانسل الرجل حتى أتى الساحل فإذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها : أين الرجل الذي بات معك ؟ قالت : إنه قد فر مني ، فكذبوها وقالوا : أكلته واستأثرت به علينا فلنقتلنك إن لم تأتنا به فمرت في الماء حتى أتته في منزله ورحله فدخلت عليه و جلست عنده وقالت له : ما لقيت في سفرك هذا ، قال : لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك قالت : وقد تخلصت : قال : نعم فقالت : أنا الغولة وجئت لآخذك فقال لها : أنشدك الله أن تهلكيني فإني أدلك على مكان رجل ، قالت : إني أرحمك فانطلقا حتى إذ دخلا على الملك ، قالت : اسمع منا أصلح الله الملك إني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحب الناس إلي ، ثم إنه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا فلما رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فساره وقال له : إني قد أحببت أن تتركها فأتزوجها قال : نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوج بها الملك وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحدا يعلم بهذا ثم ينطلق إليه ؟ قال : الخاطب للغلام : فإني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت . فخرجا من عند الملك يعبدان الله جل جلاله ويسيحان في الأرض ، فهدى الله عز وجل بهما أناسا كثيرا وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده ، وقال : لو بعثت إليه فاستنقذته مما هو فيه ، فبعث إليه رسولا فأتاه فقال له : إن ابنك يقرئك السلام وقص عليه خبره وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه ثم إن بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أياما حتى عرف أنه قد فتح له الباب ودله على سبيل الصواب ، ثم تحول من تلك البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزينا مغتما فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عز وجل ملكا من الملائكة فلما رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه ، ثم قال له : لك الخير والسلامة أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهال أتيتك بالتحية من الحق وإله الخلق بعثني إليك لأبشرك وأذكر لك ما غاب عنك من أمور دنياك وآخرتك ، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي ، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها وازهد في الملك الزائل ، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة ، واطلب الملك الذي لا يزول الفرح الذي لا ينقضي والراحة التي لا تتغير وكن صديقا مقسطا ، فإنك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنة . فلما سمع يوذاسف كلامه خر بين يدي الله عز وجل ساجدا ، وقال : إني لأمر الله تعالى مطيع وإلى وصيته منته فمرني بأمرك فإني لك حامد ولمن بعثك إلي شاكر فإنه رحمني ورؤف بي و لم يرفضني بين الأعداء فإني كنت بالذي أتيتني به مهتما ، قال الملك : إني أرجع إليك بعد أيام ، ثم

أخرجك فتهيأ لذلك ولا تغفل عنه ، فوطن يوذاسف نفسه على الخروج وجعل همته كله فيه و لم يطلع على ذلك أحدا حتى إذا جاء وقت خروجه أتاه الملك في جوف الليل والناس نيام ، فقال له : قم فاخرج ولا تؤخر ذلك ، فقام و لم يفش سره إلى أحد من الناس غير وزيره فبينا هو يريد الركوب إذا أتاه رجل شاب جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له . وقال : أين تذهب : يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيها المصلح الحكيم الكامل : وتتركنا له وتترك ملكك وبلادك ، أقم عندنا فإنا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة و لم تنزل بنا عاهة ولا مكروه ، فسكته يوذاسف وقال له : امكث أنت في بلادك ودرا أهل مملكتك فأما أنا فذاهب حيث بعثت وعامل ما أمرت به فإن أنت أعنتني كان لك في عملي نصيبا . ثم إنه ركب فسار ما قضى الله له أن يسير ، ثم إنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشد البكاء ، ويقول ليوذاسف : بأي وجه أستقبل أبويك ؟ وبما أجيبهما عنك وبأي عذاب أو موت يقتلاني ، وأنت كيف تطيق العسر والا ذي الذي لم تتعوده وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوما قط ؟ وجسدك كيف تحمل الجوع والظمأ والتقلب على الأرض والتراب ، فسكته وعزاه ووهب له فرسه والمنطقة فجعل يقبل قدميه ويقول : لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فإنه لا كرامة لي بعدك وإنك إن تركتني و لم تذهب بي معك أخرج في الصحراء و لم أدخل مسكنا فيه إنسان أبدا ، فسكته أيضا وعزاه وقال : لا تجعل في نفسك إلا خيرا فإني باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك . ثم نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له : البس ثيابي وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في رأسه ، وقال له : انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقرئه السلام ثم الاشراف وقل لهم : إني لما نظرت فيما بين الباقي والزائل رغبت في الباقي وزهدت في الزائل ولما استبان لي أصلي و حسبي وفصلت بينهما وبين الأعداء والقرباء رفضت الأعداء والقرباء وانقطعت إلى أصلي وحسبي ، فأما والدي فإنه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه ، فإذا أبصر كسوني عليك ذكرني وذكر حبي لك ومودتي إياك ، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروها . ثم رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعا فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن ما يكون من الشجر وأكثرها فرعا وغصنا وأحلاها ثمرا ، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعد كثرة ، فسر بذلك المنظر وفرح به ، وتقدم إليه حتى دنا منه ، وجعل يعبره في نفسه ويفسره فشبه الشجر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم ، والطير بالناس الذين يجتمعون إليه و يقبلون منه الدين ، فبينا هو قائم إذا أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فأتبع آثارهم حتى رفعوه في جو السماء وأوتي من العلم والحكمة ما عرف به الأولى والوسطى والأخرى ، والذي هو كائن ، ثم أنزلوه إلى الأرض وقرنوا معه قرينا من الملائكة الأربعة فمكث في تلك البلاد حينا ثم إنه أتى أرض سولابط فلما بلغ والده قدومه خرج يسير هو والاشراف فأكرموه وقربوه ، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلموا عليه وكلمهم الكلام الكثير وفرش لهم الأساس وقال لهم : اسمعوا إلي بأسماعكم وفرغوا إلي قلوبكم لاستماع حكمة الله عز وجل التي هي نور الأنفس وثقوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد ، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الذي بين الحق والباطل ، والضلال والهدى . واعلموا أن هذا هو دين الحق الذي أنزله الله عز وجل على الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والقرون الأولى ، فخصنا الله عز وجل به في هذا القرن برحمته بنا ورأفته رحمته وتحننه علينا وفيه خلاص من نار جهنم إلا أنه لا ينال الانسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحد إلا بالايمان وعمل الخير ، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبدا ومن آمن منكم بالدين فلا يكونن إيمانه طمعا في الحياة ورجاء لملك الأرض وطلب مواهب الدنيا ، وليكن إيمانكم بالدين طمعا في ملكوت السماوات ورجاء للخلاص وطلب النجاة من الضلالة وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة ، فإن ملك الأرض وسلطانها زائل ، ولذاتها منقطعة ، فمن اغتر بها هلك وافتضح ، لو قد وقف على ديان الدين الذي لا يدين إلا بالحق ، فإن غلاما فلما نشأ وترعرع خطا ذات

يوم خطوة فقال : معادكم تحفون ، ثم خطا أخرى فقال : قمرمون ، ثم خطا الثالثة فقال : ثم تموتون ، ثم عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبي . فدعا الملك العلماء والمنجمين فقال : أخبروني خبر ابني هذا فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره ، فلم يكن عندهم فيه علم ، فلما رأى الملك أنه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات فأخذن في إرضاعه إلا أن منجما منهم قال : إنه سيكون إماما ، وجعل عليه حراسا لا يفارقونه حتى إذا شب انسل يوما من عند مرضعيه و الحرس فأتى السوق فإذا هو بجنازة فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنسانا مات قال ، ما أماته ؟ قالوا : كبر وفنيت أيامه ودنى أجله فمات ، قال : وكان صحيحا حيا يمشي ويأكل و يشرب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجبا منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل شيخ كبير قد فني شبابه وكبر ، قال : وكان صغيرا ثم شاب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل مريض مستلقي على ظهره ، فقام ينظر إليه ويتعجب منه ، فسألهم ما هذا ؟ قالوا : رجل مريض ، فقال : أو كان هذا صحيحا ثم مرض ؟ قالوا : نعم ، قال : والله لئن كنتم صادقين فإن الناس لمجنونون . ففافتقد الغلام عند ذلك فطلب فإذا هو بالسوق فأتوه فأخذوه وذهبوا به فأدخلوه البيت ، فلما دخل البيت استلقى على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت ويقول : كيف كان هذا ؟ قالوا : كانت شجرة ثم صارت خشبا ، ثم قطع ، ثم بني هذا البيت ، ثم جعل هذا الخشب عليه ، فبينا هو في كلامه إذ أرسل الملك إلى الموكلين به : انظروا هل يتكلم أو يقول شيئا ؟ قالوا : نعم وقد وقع في كلام ما نظنه إلا وسواسا ، فلما رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام ، دعا العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علما إلا الرجل الأول فأنكر قوله فقال بعضهم أيها الملك لو زوجته ذهب عنه الذي ترى ، وأقبل وعقل أبصر فبعث الملك في الأرض يطلب ويلتمس له امرأة فوجدت له امرأة من أحسن الناس وأجملهم فزوجها منه ، فلما أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون ، فلما سمع الغلام جلبتهم وأصواقم قال : ما هذا ؟ قالوا : هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك ، فسكت الغلام ، فلما فرغوا من العرس وأمسوا ، دعا الملك امرأة ابنه فقال لها : إنه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام : فإذا دخلت عليه فألطفي به واقربي منه وتحببي إليه ، فلما دخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرب إليه ، فقال الغلام على رسلك (٢) فإن الليل طويل ، بارك الله فيك ، واصبري حتى نأكل ونشرب ، فدعا بالطعام فجعل يأكل ، فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها نامت . فقام الغلام فخرج من البيت ، وانسل من الحرس والبوابين حتى خرج و تردد في المدينة ، فلقيه غلام مثله من أهل المدينة فأتبعه وألقى ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام ، وتنكر جهده وخرجا جميعا من المدينة فسارا ليلتهما حتى إذا قرب الصبح خشيا الطلب فكمنا ، فأتيت الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة فسألوها أين زوجك ؟ قالت : كان عندي الساعة ، فطلب الغلام فلم يقدر عليه ، فلما أمسى الغلام وصاحبه سارا ثم جعلا يسيران الليل ويكمنان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه ، ووقعا في ملك سلطان آخر وقد كان لذلك الملك الذي صارا إلى سلطانه ابنة قد جعل لها أن لا يزوجها أحدا إلا من هويته ورضيته ، وبنى لها غرفة عالية مشرفة على الطريق فهي فيها جالسة تنظر إلى كل من أقبل وأدبر ، فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه ، فأرسلت إلى أبيها إن قد هويت رجلا فإن كنت مزوجي أحدا من الناس فزوجني منه وأتيت أم الجارية فقيل لها : إن ابنتك قد هويت رجلا وهي تقول كذا وكذا ، فأقبلت إليها فرحة حتى تنظر إلى الغلام فأروها إياه فنزلت أمها مسرعة حتى دخلت على الملك ، فقالت : إن ابنتك قد هويت رجلا فأقبل الملك ينظر إليه ، ثم قال : أرونيه فأروه من بعد فأمر أن يلبس ثيابا أخرى ونزل فسأله واستنطقه وقال : من أنت ومن أين أنت ؟ قال الغلام : وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس ، فقال : إنك لغريب ، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة ، فقال الغلام : ما أنا بغريب ، فعالجه الملك أن يصدقه قصته فأبى ، فأمر الملك أناسا أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ ، ولا يعلم بهم ، ثم رجع الملك إلى أهله فقال : رأيت رجلا كأنه ابن ملك وماله حاجة فيما تراودونه عليه ، فبعث إليه فقيل له : إن الملك يدعوك ، فقال الغلام : وما أنا والملك يدعوني وما لي إليه حاجة وما يدري

من أنا ، فانطلق به على كره منه حتى دخل على الملك فأمر بكرسي فوضع له فجلس عليه ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه فقال له الملك : دعوتك لخير ، وان لي ابنه قد رغبت فيك أريد أن أزوجها منك فان كنت مسكينا فأغنيناك ورفعناك وشرفناك ، قال الغلام : ما لي فيما تدعوني إليه حاجه ، فان شئت ضربت لك مثلا أيها الملك ؟ قال : فافعل قال الغلام : زعموا أن ملكا من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعوا له طعاما ودعوه إليه فخرج معهم فأكلوا وشربوا حتى سكروا فناموا فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عامدا إلى منزله ، ولم يوقظ أحدا منهم فبينا هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب فبصر بقبر على الطريق فظن أنه مدخل بينه فدخله فإذا هو بريح الموتى فحسب ذلك لما كان به السكر أنه رياح طيبة فإذا هو بعظام لا يحسبها إلا فرشه الممهدة ، فإذا هو بجسد قد مات حديثا وقد أروح فحسبه أهله فقام إلى جانبه فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليلة فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر فإذا هو على جسد ميت وريح منتنة ، قد دنس ثيابه وجلده ، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى ، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجها إلى باب المدينة ، فوجده مفتوحا فدخله حتى أتى أهل فرأى أنه قد أنعم عليه حيث لم يلقه أحد ، فألقى عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس لباسا أخرى وتطيب . عمرك الله أيها الملك أتراه راجعا إلى ما كان فيه وهو يستطيع ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فالتفت الملك إلى امرأته وابنته ، وقال لهما : قد أخبرتكما أنه ليس له فيما تدعونه رغبة ، قالت أمها : لقد قصرت في النعت لابنتي والوصف لها أيها الملك ولكني خارجة إليه ومكلمة له ، فقال الملك للغلام : إن امرأتي تريد أن تكلمك وتخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك ، فقال الغلام : لتخرج إن أحبت ، فخرجت وجلست فقالت للغلام : تعال إلى ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فأزوجك ابنتي فإنك لو قد رأيتها وما قسم الله عز وجل لها من الجمال والهيئة لاغتبطت ، فنظر الغلام إلى الملك فقال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن سراقا تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا ، فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قط ، وإذا هم بقلة من ذهب مختومة بالذهب فقالوا : لا نجد شيئا أعلى من هذه القلة هي ذهب مختومة بالذهب والذي فيها أفضل من الذي رأينا فاحتملوها ومضوا بها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضا عليها ففتحوها فإذا في وسطها أفاع ، فوثبن في وجوههم فقتلتهم أجمعين . عمرك الله أيها الملك أفترى أحدا علم بما أصابهم وما لقوه يدخل يده في تلك القلة وفيها من الأفاعي ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فقالت الجارية لأبيها : ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأكلمه فإنه لو قد نظر إلي وإلى جمالي وحسني وهيئتي وما قسم الله عز وجل لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب ، فقال الملك للغلام : إن ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى رجل قط ، قال : لتخرج إن أحبت ، فخرجت عليه وهي أحسن الناس وجها وقدا وطرفا وهيكلا ، فسلمت على الغلام وقالت للغلام : هل رأيت مثلي قط أو أتم أو أجمل ، أو أكمل أو أحسن ؟ وقد هويتك وأحببتك ، فنظر الغلام إلى الملك ، فقال : أفلا أضرب لها مثلا ؟ قال : بلى . قال الغلام : زعموا أيها الملك أن ملكا له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه في بيت وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ، فمكث على ذلك حينا ، ثم إن أخاه قال لأبيه ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه وأحتال له ؟ قال الملك : فانطلق وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة . وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر ، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت

منها ؟ فقال : إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا علي علم فانصرف أخوه راجعا إلى منزله ومتاعه ، وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا ومتاعا لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غذوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه مما يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله ، وقال : أنا أداويك فاختلسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق ، ثم قال له : انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر ، فانطلق سائرا فوقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنتا عشرة غولا وفي أسفلها اثنا عشر سيفا ، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فتعلق به وتخلص وسار حتى أتى البحر فوجد سفينة قد أعدت له إلى جانب الساحل فركب فيها حتى أتوا به أهله . عمرك الله أيها الملك أتراه عائدا إلى ما قد عاين ولقي ، قال : لا ، قال : فاني أنا هو ، فيئسوا منه ، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة فساره وقال : اذكرني لها وأنكحنيها فقال الغلام للملك إن هذا يقول إني أحب الملك أن ينكحنيها ، فقال : لا أفعل قال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن رجلا كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأياما ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر فأتى غولا فهويها ونكحها حتى إذا كان مع الصبح قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله فليس ينام حذرا إذا كان مع الصبح نامت الغول فانسل الرجل حتى أتى الساحل فإذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها : أين الرجل الذي بات معك ؟ قالت : إنه قد فر مني ، فكذبوها وقالوا : أكلتله واستأثرت به علينا فلنقتلنك إن لم تأتنا به فمرت في الماء حتى أتته في منزله ورحله فدخلت عليه و جلست عنده وقالت له : ما لقيت في سفرك هذا ، قال : لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك قالت : وقد تخلصت : قال : نعم فقالت : أنا الغولة وجئت لآخذك فقال لها : أنشدك الله أن تهلكيني فإني أدلك على مكان رجل ، قالت : إني أرحمك فانطلقا حتى إذ دخلا على الملك ، قالت : اسمع منا أصلح الله الملك إني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحب الناس إلي ، ثم إنه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا فلما رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فساره وقال له : إني قد أحببت أن تتركها فأتزوجها قال : نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوج بها الملك وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحدا يعلم بهذا ثم ينطلق إليه ؟ قال : الخاطب للغلام : فإني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت . فخرجا من عند الملك يعبدان الله جل جلاله ويسيحان في الأرض ، فهدى الله عز وجل بهما أناسا كثيرا وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده ، وقال : لو بعثت إليه فاستنقذته مما هو فيه ، فبعث إليه رسولا فأتاه فقال له : إن ابنك يقرئك السلام وقص عليه خبره وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه ثم إن بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أياما حتى عرف أنه قد فتح له الباب ودله على سبيل الصواب ، ثم تحول من تلك البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزينا مغتما فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عز وجل ملكا من الملائكة فلما رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه ، ثم قال له : لك الخير والسلامة أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهال أتيتك بالتحية من الحق وإله الخلق بعثني إليك لأبشرك وأذكر لك ما غاب عنك من أمور دنياك وآخرتك ، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي ، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها وازهد في الملك الزائل ، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة ، واطلب الملك الذي لا يزول الفرح الذي لا ينقضي والراحة التي لا يتغير وكن صديقا مقسطا ، فإنك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنة . فلما سمع يوذاسف كلامه خر بين يدي الله عز وجل ساجدا ، وقال : إني لأمر الله تعالى مطيع وإلى وصيته منته فمرني بأمرك

فإني لك حامد ولمن بعثك إلي شاكر فإنه رحمني ورؤف بي و لم يرفضني بين الأعداء فإني كنت بالذي أتيتني به مهتما ، قال الملك : إني أرجع إليك بعد أيام ، ثم أخرجك فتهيأ لذلك ولا تغفل عنه ، فوطن يوذاسف نفسه على الخروج وجعل همته كله فيـــه و لم يطلع على ذلك أحدا حتى إذا جاء وقت خروجه أتاه الملك في جوف الليل والناس نيام ، فقال له : قم فاخرج ولا تؤخر ذلك ، فقام و لم يفش سره إلى أحد من الناس غير وزيره فبينا هو يريد الركوب إذا أتاه رجل شاب جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له . وقال : أين تذهب : يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيها المصلح الحكيم الكامل : وتتركنا له وتترك ملكك وبلادك ، أقم عندنا فإنا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة و لم تنزل بنا عاهة ولا مكروه ، فسكته يوذاسف وقال له : امكث أنـــت في بـــلادك ودرا أهل مملكتك فأما أنا فذاهب حيث بعثت وعامل ما أمرت به فإن أنت أعنتني كان لك في عملي نصيبا . ثم إنه ركب فسار مـــا قضى الله له أن يسير ، ثم إنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشد البكاء ، ويقول ليوذاسف : بأي وجه أستقبل أبويك ؟ وبما أجيبهما عنك وبأي عذاب أو موت يقتلاني ، وأنت كيف تطيق العسر والا ذي الذي لم تتعوده وكيـــف لا تســـتوحش وأنت لم تكن وحدك يوما قط ؟ وجسدك كيف تحمل الجوع والظمأ والتقلب على الأرض والتراب ، فسكته وعزاه ووهب لـــه فرسه والمنطقة فجعل يقبل قدميه ويقول : لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فإنه لا كرامة لي بعدك وإنك إن تركتني و لم تذهب بي معك أخرج في الصحراء و لم أدخل مسكنا فيه إنسان أبدا ، فسكته أيضا وعزاه وقـــال : لا تجعـــل في نفسك إلا خيرا فإني باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك . ثم نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له : البس ثيابي وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في رأسه ، وقال له : انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتـــة وأقرئه السلام ثم الاشراف وقل لهم : إني لما نظرت فيما بين الباقي والزائل رغبت في الباقي وزهدت في الزائل ولمـــا اســـتبان لي أصلي و حسبي وفصلت بينهما وبين الأعداء والقرباء رفضت الأعداء والقرباء وانقطعت إلى أصلي وحسبي ، فأما والدي فإنه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه ، فإذا أبصر كسوني عليك ذكرني وذكر حبي لك ومودتي إياك ، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروهـــا . ثم رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعا فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحســـن مـــا يكون من الشجر وأكثرها فرعا وغصنا وأحلاها ثمرا ، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعد كثرة ، فسر بذلك المنظر وفرح به ، وتقدم إليه حتى دنا منه ، وجعل يعبره في نفسه ويفسره فشبه الشحر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم ، والطـــير بالناس الذين يجتمعون إليه و يقبلون منه الدين ، فبينا هو قائم إذا أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فأتبع آثارهم حتى رفعوه في جو السماء وأوتي من العلم والحكمة ما عرف به الأولى والوسطى والأخرى ، والذي هو كائن ، ثم أنزلوه إلى الأرض وقرنوا معه قرينا من الملائكة الأربعة فمكث في تلك البلاد حينا ثم إنه أتى أرض سولابط فلما بلغ والده قدومه خرج يسير هـــو والاشراف فأكرموه وقربوه ، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلموا عليه وكلمهـــم الكـــلام الكثير وفرش لهم الأساس وقال لهم : اسمعوا إلي بأسماعكم وفرغوا إلي قلوبكم لاستماع حكمة الله عز وجل التي هي نور الأنفس وثقوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد ، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الذي بين الحق والباطل ، والضلال والهـــدى . واعلموا أن هذا هو دين الحق الذي أنزله الله عز وجل على الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والقرون الأولى ، فخصنا الله عز وجل به في هذا القرن برحمته بنا ورأفته رحمته وتحننه علينا وفيه خلاص من نار جهنم إلا أنه لا ينال الانسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحد إلا بالايمان وعمل الخير ، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبدا ومن آمن مـــنكم بالـــدين فـــلا يكونن إيمانه طمعا في الحياة ورجاء لملك الأرض وطلب مواهب الدنيا ، وليكن إيمانكم بالدين طمعـــا في ملكـــوت الســـماوات ورجاء للخلاص وطلب النجاة من الضلالة وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة ، فإن ملك الأرض وسلطانها زائل ، ولذاتها منقطعة

، فمن اغتر بها هلك وافتضح ، لو قد وقف على ديان الدين الذي لا يدين إلا بالحق ، فإن الموت مقرون وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة . وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر ، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها ؟ فقال : إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا علي علم فانصرف أخوه راجعا إلى منزله ومتاعه ، وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا ومتاعا لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه مما يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله ، وقال : أنا أداويك فاختلسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق ، ثم قال له : انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر ، فانطلق سائرا فوقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنتا عشرة غولا وفي أسفلها اثنا عشر سيفا ، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فتعلق به وتخلص وسار حتى أتى البحر فوجد سفينة قد أعدت له إلى جانب الساحل فركب فيها حتى أتوا به أهله . عمرك الله أيها الملك أتراه عائدا إلى ما قد عاين ولقي ، قال : لا ، قال : فاني أنا هو ، فيئسوا منه ، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة فساره وقال : اذكرني لها وأنكحنيها فقال الغلام للملك إن هذا يقول إني أحب الملك أن ينكحنيها ، فقال : لا أفعل قال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن رجلا كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأياما ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر فأتى غولا فهويها ونكحها حتى إذا كان مع الصبح قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله فليس ينام حذرا إذا كان مع الصبح نامت الغول فانسل الرجل حتى أتى الساحل فإذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها : أين الرجل الذي بات معك ؟ قالت : إنه قد فر مني ، فكذبوها وقالوا : أكلته واستأثرت به علينا فلنقتلنك إن لم تأتنا به فمرت في الماء حتى أتته في منزله ورحله فدخلت عليه و جلست عنده وقالت له : ما لقيت في سفرك هذا ، قال : لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك قالت : وقد تخلصت : قال : نعم فقالت : أنا الغولة وجئت لآخذك فقال لها : أنشدك الله أن تهلكيني فإني أدلك على مكان رجل ، قالت : إني أرحمك فانطلقا حتى إذ دخلا على الملك ، قالت : اسمع منا أصلح الله الملك إني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحب الناس إلي ، ثم إنه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا فلما رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فساره وقال له : إني قد أحببت أن تتركها فأتزوجها قال : نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوج بها الملك وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحدا يعلم بهذا ثم ينطلق إليه ؟ قال الخاطب للغلام : فإني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت . فخرجا من عند الملك يعبدان الله جل جلاله ويسيحان في الأرض ، فهدى الله عز وجل بهما أناسا كثيرا وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده ، وقال : لو بعثت إليه فاستنقذته مما هو فيه ، فبعث إليه رسولا فأتاه فقال له : إن ابنك يقرئك السلام وقص عليه خبره وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه ثم إن بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أياما حتى عرف أنه قد فتح له الباب ودله على سبيل الصواب ، ثم تحول

من تلك البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزينا مغتما فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عز وجل ملكا من الملائكة فلما رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه ، ثم قال له : لك الخير والسلامة أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهال أتيتك بالتحية من الحق وإله الخلق بعثني إليك لأبشرك وأذكر لك ما غاب عنك من أمور دنياك وآخرتك ، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي ، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها وازهد في الملك الزائل ، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة ، واطلب الملك الذي لا يزول الفرح الذي لا ينقضي والراحة التي لا يتغير وكن صديقا مقسطا ، فإنك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنة . فلما سمع يوذاسف كلامه خر بين يدي الله عز وجل ساجدا ، وقال : إني لأمر الله تعالى مطيع وإلى وصيته منته فمرني بأمرك فإني لك حامد ولمن بعثك إلي شاكر فإنه رحمني ورؤف بي و لم يرفضني بين الأعداء فإني كنت بالذي أتيتني به مهتما ، قال الملك : إني أرجع إليك بعد أيام ، ثم أخرجك فتهيأ لذلك ولا تغفل عنه ، فوطن يوذاسف نفسه على الخروج وجعل همته كله فيه و لم يطلع على ذلك أحدا حتى إذا جاء وقت خروجه أتاه الملك في جوف الليل والناس نيام ، فقال له : قم فاخرج ولا تؤخر ذلك ، فقام و لم يفش سره إلى أحد من الناس غير وزيره فبينا هو يريد الركوب إذا أتاه رجل شاب جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له . وقال : أين تذهب : يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيها المصلح الحكيم الكامل : وتتركنا له وتترك ملكك وبلادك ، أقم عندنا فإنا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة و لم تنزل بنا عاهة ولا مكروه ، فسكته يوذاسف وقال له : امكث أنت في بلادك ودرا أهل مملكتك فأما أنا فذاهب حيث بعثت وعامل ما أمرت به فإن أنت أعنتني كان لك في عملي نصيبا . ثم إنه ركب فسار ما قضى الله له أن يسير ، ثم إنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشد البكاء ، ويقول ليوذاسف : بأي وجه أستقبل أبويك ؟ وبما أجيبهما عنك وبأي عذاب أو موت يقتلاني ، وأنت كيف تطيق العسر والا ذي الذي لم تتعوده وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوما قط ؟ وجسدك كيف تحمل الجوع والظمأ والتقلب على الأرض والتراب ، فسكته وعزاه ووهب له فرسه والمنطقة فجعل يقبل قدميه ويقول : لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فإنه لا كرامة لي بعدك وإنك إن تركتني و لم تذهب بي معك أخرج في الصحراء و لم أدخل مسكنا فيه إنسان أبدا ، فسكته أيضا وعزاه وقال : لا تجعل في نفسك إلا خيرا فإني باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك . ثم نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له : البس ثيابي وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في رأسه ، وقال له : انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقرئه السلام ثم الاشراف وقل لهم : إني لما نظرت فيما بين الباقي والزائل رغبت في الباقي وزهدت في الزائل ولما استبان لي أصلي و حسبي وفصلت بينهما وبين الأعداء والقرباء رفضت الأعداء والقرباء وانقطعت إلى أصلي وحسبي ، فأما والدي فإنه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه ، فإذا أبصر كسوني عليك ذكرني وذكر حبي لك ومودتي إياك ، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروها . ثم رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعا فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن ما يكون من الشجر وأكثرها فرعا وغصنا وأحلاها ثمرا ، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعد كثرة ، فسر بذلك المنظر وفرح به ، وتقدم إليه حتى دنا منه ، وجعل يعبره في نفسه ويفسره فشبه الشجر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم ، والطير بالناس الذين يجتمعون إليه و يقبلون منه الدين ، فبينا هو قائم إذا أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فأتبع آثارهم حتى رفعوه في جو السماء وأوتي من العلم والحكمة ما عرف به الأولى والوسطى والأخرى ، والذي هو كائن ، ثم أنزلوه إلى الأرض وقرنوا معه قرينا من الملائكة الأربعة فمكث في تلك البلاد حينا ثم إنه أتى أرض سولابط فلما بلغ والده قدومه خرج يسير هو والاشراف فأكرموه وقربوه ، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلموا عليه وكلمهم الكلام الكثير وفرش لهم الأساس وقال لهم : اسمعوا إلي بأسماعكم

وفرغوا إلي قلوبكم لاستماع حكمة الله عز وجل التي هي نور الأنفس وثقوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد ، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الذي بين الحق والباطل ، والضلال والهدى . واعلموا أن هذا هو دين الحق الذي أنزله الله عز وجل على الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والقرون الأولى ، فخصنا الله عز وجل به في هذا القرن برحمته بنا ورأفته رحمته وتحننه علينا وفيه خلاص من نار جهنم إلا أنه لا ينال الانسان ملكوت السماوات ولا يدخلها أحد إلا بالايمان وعمل الخير ، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبدا ومن آمن منكم بالدين فلا يكونن إيمانه طمعا في الحياة ورجاء لملك الأرض وطلب مواهب الدنيا ، وليكن إيمانكم بالدين طمعا في ملكوت السماوات ورجاء للخلاص وطلب النجاة من الضلالة وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة ، فإن ملك الأرض وسلطانها زائل ، ولذاتها منقطعة ، فمن اغتر بها هلك وافتضح ، لو قد وقف على ديان الدين الذي لا يدين إلا بالحق ، فإن غلاما فلما نشأ وترعرع (١) خطا ذات يوم خطوة فقال : معادكم تجفون ، ثم خطا أخرى فقال : تهرمون ، ثم خطا الثالثة فقال : ثم تموتون ، ثم عاد كهيئته يفعل كما يفعل الصبي .

فدعا الملك العلماء والمنجمين فقال : أخبروني خبر ابني هذا فنظروا في شأنه وأمره فأعياهم أمره ، فلم يكن عندهم فيه علم ، فلما رأى الملك أنه ليس عندهم فيه علم دفعه إلى المرضعات فأخذن في إرضاعه إلا أن منجما منهم قال : إنه سيكون إماما ، وجعل عليه حراسا لا يفارقونه حتى إذا شب انسل يوما من عند مرضعيه والحرس فأتى السوق فإذا هو بجنازة فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنسانا مات قال ، ما أماته ؟

قالوا : كبر وفنيت أيامه ودنى أجله فمات ، قال : وكان صحيحا حيا يمشي ويأكل و يشرب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل شيخ كبير فقام ينظر إليه متعجبا منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل شيخ كبير قد فنى شبابه وكبر ، قال : وكان صغيرا ثم شاب ؟ قالوا : نعم ، ثم مضى فإذا هو برجل مريض مستلقي على ظهره ، فقام ينظر إليه ويتعجب منه ، فسألهم ما هذا ؟ قالوا : رجل مريض ، فقال : أو كان هذا صحيحا ثم مرض ؟ قالوا : نعم ، قال : والله لئن كنتم صادقين فإن الناس لمجنونون .

فافتقد الغلام عند ذلك فطلب فإذا هو بالسوق فأتوه فأخذوه وذهبوا به فأدخلوه البيت ، فلما دخل البيت استلقى على قفاه ينظر إلى خشب سقف البيت ويقول : كيف كان هذا ؟ قالوا : كانت شجرة ثم صارت خشبا ، ثم قطع ، ثم بني هذا البيت ، ثم جعل هذا الخشب عليه ، فبينا هو في كلامه إذ أرسل الملك إلى الموكلين به : انظروا هل يتكلم أو يقول شيئا ؟ قالوا : نعم وقد وقع في كلام ما نظنه إلا وسواسا ، فلما رأى الملك ذلك وسمع جميع ما لفظ به الغلام ، دعا العلماء فسألهم فلم يجد فيه عندهم علما إلا الرجل الأول فأنكر قوله فقال بعضهم أيها الملك لو زوجته ذهب عنه الذي ترى ، وأقبل وعقل أبصر فبعث الملك في الأرض يطلب ويلتمس له امرأة فوجدت له امرأة من أحسن الناس وأجملهم فزوجها منه ، فلما أخذوا في وليمة عرسه أخذ اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون ، فلما سمع الغلام جلبتهم (١) وأصواتهم قال : ما هذا ؟ قالوا : هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك ، فسكت الغلام ، فلما فرغوا من العرس وأمسوا ، دعا الملك امرأة ابنه فقال لها : إنه لم يكن لي ولد غير هذا الغلام : فإذا دخلت عليه فألطفي به واقربي منه وتحببي إليه ، فلما دخلت المرأة عليه أخذت تدنو منه وتتقرب إليه ، فقال الغلام على رسلك (٢) فإن الليل طويل ، بارك الله فيك ، واصبري حتى نأكل ونشرب ، فدعا بالطعام فجعل يأكل ، فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها نامت .

فقام الغلام فخرج من البيت ، وانسل من الحرس والبوابين حتى خرج وتردد في المدينة ، فلقيه غلام مثله من أهل المدينة فأتبعه وألقى ابن الملك عنه تلك الثياب التي كانت عليه ولبس ثياب الغلام ، وتنكر جهده وخرجا جميعا من المدينة فسارا ليلتهما حتى إذا قرب الصبح خشيا الطلب فكمنا ، فأتيت الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة فسألوها أين زوجك ؟ قالت : كان عندي

الساعة ، فطلب الغلام فلم يقدر عليه ، فلما أمسى الغلام وصاحبه سارا ثم جعلا يسيران الليل ويكمنان النهار حتى خرجا من سلطان أبيه ، ووقعا في ملك سلطان آخر وقد كان لذلك الملك الذي صارا إلى سلطانه ابنة قد جعل لها أن لا يزوجها أحدا إلا من هويته ورضيته ، وبني لها غرفة عالية مشرفة على الطريق فهي فيها جالسة تنظر إلى كل من أقبل وأدبر ، فبينما هي كذلك إذ نظرت إلى الغلام يطوف في السوق وصاحبه معه في خلقانه ، فأرسلت إلى أبيها إن قد هويت رجلا فإن كنت مزوجي أحدا من الناس فزوجني منه وأتيت أم الجارية فقيل لها : إن ابنتك قد هويت رجلا وهي تقول كذا وكذا ، فأقبلت إليها فرحة حتى تنظر إلى الغلام فأروها إياه فنزلت أمها مسرعة حتى دخلت على الملك ، فقالت : إن ابنتك قد هويت رجلا فأقبل الملك ينظر إليه ، ثم قال : أرونيه فأروه من بعد فأمر أن يلبس ثيابا أخرى ونزل فسأله واستنطقه وقال : من أنت ومن أين أنت ؟ قال الغلام : وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس ، فقال : إنك لغريب ، وما يشبه لونك ألوان أهل هذه المدينة ، فقال الغلام : ما أنا بغريب ، فعالجه الملك أن يصدقه قصته فأبى ، فأمر الملك أناسا أن يحرسوه وينظروا أين يأخذ ، ولا يعلم بهم ، ثم رجع الملك إلى أهله فقال : رأيت رجلا كأنه ابن ملك وماله حاجة فيما تراودونه عليه ، فبعث إليه فقيل له : إن الملك يدعوك ، فقال الغلام : وما أنا والملك يدعوني وما لي إليه حاجة وما يدري من أنا ، فانطلق به على كره منه حتى دخل على الملك فأمر بكرسي فوضع له فجلس عليه ودعى الملك امرأته وابنته فأجلسهما من وراء الحجاب خلفه فقال له الملك : دعوتك لخير ، وان لي ابنه قد رغبت فيك أريد أن أزوجها منك فان كنت مسكينا فأغنيناك ورفعناك وشرفناك ، قال الغلام : ما لي فيما تدعوني إليه حاجه ، فان شئت ضربت لك مثلا أيها الملك ؟ قال : فافعل قال الغلام : زعموا أن ملكا من الملوك كان له ابن وكان لابنه أصدقاء صنعوا له طعاما ودعوه إليه فخرج معهم فأكلوا وشربوا حتى سكروا فناموا فاستيقظ ابن الملك في وسط الليل فذكر أهله فخرج عامدا إلى منزله ، ولم يوقظ أحدا منهم فبينا هو في مسيره إذ بلغ منه الشراب فبصر بقبر على الطريق فظن أنه مدخل بينه فدخله فإذا هو بريح الموتى فحسب ذلك لما كان به السكر أنه رياح طيبة فإذا هو بعظام لا يحسبها إلا فرشه الممهدة ، فإذا هو بجسد قد مات حديثا وقد أروح فحسبه أهله فقام إلى جانبه فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليلة فأفاق حين أفاق ونظر حين نظر فإذا هو على جسد ميت وريح منتنة ، قد دنس ثيابه وجلده ، ونظر إلى القبر وما فيه من الموتى ، فخرج وبه من السوء ما يختفي به من الناس أن ينظروا إليه متوجها إلى باب المدينة ، فوجده مفتوحا فدخله حتى أتى أهل فرأى أنه قد أنعم عليه حيث لم يلقه أحد ، فألقى عنه ثيابه تلك واغتسل ولبس لباسا أخرى وتطيب .

عمرك الله أيها الملك أتراه راجعا إلى ما كان فيه وهو يستطيع ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فالتفت الملك إلى امرأته وابنته ، وقال لهما : قد أخبرتكما أنه ليس له فيما تدعونه رغبة ، قالت أمها : لقد قصرت في النعت لابنتي والوصف لها أيها الملك ولكني خارجة إليه ومكلمة له ، فقال الملك للغلام : إن امرأتي تريد أن تكلمك وتخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك ، فقال الغلام : لتخرج إن أحبت ، فخرجت وجلست فقالت للغلام : تعال إلى ما قد ساق الله إليك من الخير والرزق فأزوجك ابنتي فإنك لو قد رأيتها وما قسم الله عز وجل لها من الجمال والهيئة لاغتبطت ، فنظر الغلام إلى الملك فقال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن سراقا تواعدوا أن يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا ، فنقبوا حائط الخزانة فدخلوها فنظروا إلى متاع لم يروا مثله قط ، وإذا هم بقلة من ذهب مختومة بالذهب فقالوا : لا نجد شيئا أعلى من هذه القلة هي ذهب مختومة بالذهب والذي فيها أفضل من الذي رأينا فاحتملوها ومضوا بها حتى دخلوا غيضة لا يأمن بعضهم بعضا عليها ففتحوها فإذا في وسطها أفاع ، فوثبن في وجوههم فقتلتهم أجمعين .

عمرك الله أيها الملك أفترى أحدا علم بما أصابهم وما لقوه يدخل يده في تلك القلة وفيها من الأفاعي ؟ قال : لا ، قال : فإني أنا هو ، فقالت الجارية لأبيها : ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأكلمه فإنه لو قد نظر إلي وإلى جمالي وحسني وهيئتي وما قسم الله عز وجل لي من الجمال لم يتمالك أن يجيب ، فقال الملك للغلام : إن ابنتي تريد أن تخرج إليك و لم تخرج إلى رجل قط ، قال : لتخرج إن أحبت ، فخرجت عليه وهي أحسن الناس وجها وقدا وطرفا وهيكلا ، فسلمت على الغلام وقالت للغلام : هل رأيت مثلي قط أو أتم أو أجمل ، أو أكمل أو أحسن ؟ وقد هويتك وأحببتك ، فنظر الغلام إلى الملك ، فقال : أفلا أضرب لها مثلا ؟ قال : بلى . قال الغلام : زعموا أيها الملك أن ملكا له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه في بيت وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ، فمكث على ذلك حينا ، ثم إن أخاه قال لأبيه ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه وأحتال له ؟ قال الملك : فانطلق وخذ معك ما شئت من مال ومتاع ودواب ، فاحتمل معه الزاد والراحلة وانطلق معه المغنيات والنوائح فلما دنا من مدينة ذلك الملك أخبر الملك بقدومه فأمر الناس بالخروج إليه وأمر له بمنزل خارج من المدينة فنزل الغلام في ذلك المنزل فلما جلس فيه ونشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويساهلوهم في بيعهم ويسامحوهم ففعلوا ذلك فلما رأى الناس قد شغلوا بالبيع انسل ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه ثم أتى السجن فأخذ حصاة فرمى بها لينظر ما بقي من نفس أخيه ، فصاح حين أصابته الحصاة . وقال : قتلتني ففزع الحرس عند ذلك وخرجوا إليه وسألوه لم صحت وما شأنك وما بدا لك وما رأيناك تكلمت ونحن نعذبك منذ حين ويضربك ويرميك كل من يمر بك بحجر ، ورماك هذا الرجل بحصاة فصحت منها ؟ فقال : إن الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا علي علم فانصرف أخوه راجعا إلى منزله ومتاعه ، وقال للناس : إذا كان غدا فأتوني أنشر عليكم بزا ومتاعا لم تروا مثله قط فانصرفوا يومئذ حتى إذا كان من الغد غدوا عليه بأجمعهم فأمر بالبز فنشروا وأمر بالمغنيات والنايحات وكل صنف معه مما يلهى به الناس فأخذوا في شأنهم فاشتغل الناس فأتى أخاه فقطع عنه أغلاله ، وقال : أنا أداويك فاختلسه وأخرجه من المدينة فجعل على جراحاته دواء كان معه حتى إذا وجد راحة أقامه على الطريق ، ثم قال له : انطلق فإنك ستجد سفينة قد سيرت لك في البحر ، فانطلق سائرا فوقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فنظر إلى الشجرة فإذا على رأسها اثنتا عشرة غولا وفي أسفلها اثنا عشر سيفا ، وتلك السيوف مسلولة معلقة فلم يزل يتحمل ويحتال حتى أخذ بغصن من الشجرة فتعلق به .

. . . .

كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٦٣٣ - ٦٣٨

وتخلص وسار حتى أتى البحر فوجد سفينة قد أعدت له إلى جانب الساحل فركب فيها حتى أتوا به أهله .

عمرك الله أيها الملك أتراه عائدا إلى ما قد عاين ولقي ، قال : لا ، قال : فاني أنا هو ، فيئسوا منه ، فجاء الغلام الذي صحبه من المدينة فساره وقال : اذكرني لها وأنكحنيها فقال الغلام للملك إن هذا يقول إني أحب الملك أن ينكحنيها ، فقال : لا أفعل

قال : أفلا أضرب لك مثلا ؟ قال : بلى . قال : إن رجلا كان في قوم فركبوا سفينة فساروا في البحر ليالي وأياما ثم انكسرت سفينتهم بقرب جزيرة في البحر فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه وألقاه البحر إلى الجزيرة ، وكانت الغيلان يشرفن من الجزيرة إلى البحر فأتى غولا فهويها ونكحها حتى إذا كان مع الصبح قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها واتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فانطلقت به فبات معها ينكحها وقد علم الرجل ما لقي من كان قبله فليس ينام حذرا إذا كان مع الصبح نامت الغول فانسل الرجل حتى أتى الساحل فإذا هو بسفينة فنادى أهلها واستغاث بهم فحملوه حتى أتوا به أهله فأصبحت الغيلان فأتوا الغولة التي باتت معه فقالوا لها : أين الرجل الذي بات معك ؟ قالت : إنه قد فر مني ، فكذبوها وقالوا : أكلته واستأثرت به علينا فلنقتلنك إن لم تأتنا به فمرت في الماء حتى أتته في منزله ورحله فدخلت عليه وجلست عنده وقالت له

: ما لقيت في سفرك هذا ، قال : لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك قالت : وقد تخلصت : قال : نعم فقالت : أنا الغولة وجئت لآخذك فقال لها : أنشدك الله أن تهلكيني فإني أدلك على مكان رجل ، قالت : إني أرحمك فانطلقا حتى إذ دخلا على الملك ، قالت : اسمع منا أصلح الله الملك إني تزوجت بهذا الرجل وهو من أحب الناس إلي ، ثم إنه كرهني وكره صحبتي فانظر في أمرنا فلما رآها الملك أعجبه جمالها فخلا بالرجل فساره وقال له : إني قد أحببت أن تتركها فأتزوجها قال : نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوج بها الملك وبات معها حتى إذا كانت مع السحر ذبحته وقطعت أعضاءه وحملته إلى صواحباتها أفترى أيها الملك أحدا يعلم بهذا ثم ينطلق إليه ؟ قال : الخاطب للغلام : فإني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت . فخرجا من عند الملك يعبدان الله جل جلاله ويسيحان في الأرض ، فهدى الله عز وجل بهما أناسا كثيرا وبلغ شأن الغلام وارتفع ذكره في الآفاق فذكر والده ، وقال : لو بعثت إليه فاستنقذته مما هو فيه ، فبعث إليه رسولا فأتاه فقال له :إن ابنك يقرئك السلام وقص عليه خبره وأمره فأتاه والده وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه ثم إن بلوهر رجع إلى منزله واختلف إلى يوذاسف أياما حتى عرف أنه قد فتح له الباب ودله على سبيل الصواب ، ثم تحول من تلك البلاد إلى غيرها وبقي يوذاسف حزينا مغتما فمكث بذلك حتى بلغ وقت خروجه إلى النساك لينادي بالحق ويدعو إليه أرسل الله عز وجل ملكا من الملائكة فلما رأى منه خلوة ظهر له وقام بين يديه ، ثم قال له : لك الخير والسلامة أنت إنسان بين البهائم الظالمين الفاسقين من الجهال أتيتك بالتحية من الحق وإله الخلق بعثني إليك لأبشرك وأذكر لك ما غاب عنك من أمور دنياك وآخرتك ، فاقبل بشارتي ومشورتي ولا تغفل عن قولي ، اخلع عنك الدنيا وانبذ عنك شهواتها وازهد في الملك الزائل ، والسلطان الفاني الذي لا يدوم وعاقبته الندم والحسرة ، واطلب الملك الذي لا يزول الفرح الذي لا ينقضي والراحة التي لا يتغير وكن صديقا مقسطا ، فإنك تكون إمام الناس تدعوهم إلى الجنة .
فلما سمع يوذاسف كلامه خر بين يدي الله عز وجل ساجدا ، وقال : إني لأمر الله تعالى مطيع وإلى وصيته منته فمرني بأمرك فإني لك حامد ولمن بعثك إلي شاكر فإنه رحمني ورؤف بي و لم يرفضني بين الأعداء فإني كنت بالذي أتيتني به مهتما ، قال الملك : إني أرجع إليك بعد أيام ، ثم أخرجك فتهيأ لذلك ولا تغفل عنه ، فوطن يوذاسف نفسه على الخروج وجعل همته كله فيه و لم يطلع على ذلك أحدا حتى إذا جاء وقت خروجه أتاه الملك في جوف الليل والناس نيام ، فقال له : قم فاخرج ولا تؤخر ذلك ، فقام و لم يفش سره إلى أحد من الناس غير وزيره فبينا هو يريد الركوب إذا أتاه رجل شاب جميل كان قد ملكهم بلاده فسجد له .
وقال : أين تذهب : يا ابن الملك وقد أصابنا العسر أيها المصلح الحكيم الكامل : وتتركنا له وتترك ملكك وبلادك ، أقم عندنا فإنا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة و لم تنزل بنا عاهة ولا مكروه ، فسكته يوذاسف وقال له : امكث أنت في بلادك ودرا أهل مملكتك فأما أنا فذاهب حيث بعثت وعامل ما أمرت به فإن أنت أعنتني كان لك في عملي نصيبا .
ثم إنه ركب فسار ما قضى الله له أن يسير ، ثم إنه نزل عن فرسه ووزيره يقود فرسه ويبكي أشد البكاء ، ويقول ليوذاسف : بأي وجه أستقبل أبويك ؟ وبما أجيبهما عنك وبأي عذاب أو موت يقتلاني ، وأنت كيف تطيق العسر والا ذي الذي لم تتعوده وكيف لا تستوحش وأنت لم تكن وحدك يوما قط ؟ وجسدك كيف تحمل الجوع والظمأ والتقلب على الأرض والتراب ، فسكته وعزاه ووهب له فرسه والمنطقة فجعل يقبل قدميه ويقول : لا تدعني وراءك يا سيدي اذهب بي معك حيث خرجت فإنه لا كرامة لي بعدك وإنك إن تركتني و لم تذهب بي معك أخرج في الصحراء و لم أدخل مسكنا فيه إنسان أبدا ، فسكته أيضا وعزاه وقال : لا تجعل في نفسك إلا خيرا فإني باعث إلى الملك وموصيه فيك أن يكرمك ويحسن إليك .
ثم نزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره وقال له : البس ثيابي وأعطاه الياقوتة التي كان يجعلها في رأسه ، وقال له : انطلق بها معك وفرسي وإذا أتيته فاسجد له وأعطه هذه الياقوتة وأقرئه السلام ثم الاشراف وقل لهم : إني لما نظرت فيما بين الباقي والزائل

رغبت في الباقي وزهدت في الزائل ولما استبان لي أصلي و حسبي وفصلت بينهما وبين الأعداء والقرباء رفضت الأعداء والقربـاء وانقطعت إلى أصلي وحسبي ، فأما والدي فإنه إذا أبصر الياقوتة طابت نفسه ، فإذا أبصر كسوني عليك ذكرني وذكر حبي لـك ومودتي إياك ، فمنعه ذلك أن يأتي إليك مكروها .

ثم رجع وزيره وتقدم يوذاسف أمامه يمشي حتى بلغ فضاء واسعا فرفع رأسه فرأى شجرة عظيمة على عين من ماء أحسن مـا يكون من الشجر وأكثرها فرعا وغصنا وأحلاها ثمرا ، وقد اجتمع إليها من الطير ما لا يعد كثرة ، فسر بذلك المنظر وفرح به ، وتقدم إليه حتى دنا منه ، وجعل يعبره في نفسه ويفسره فشبه الشحر بالبشرى التي دعا إليها وعين الماء بالحكمة والعلم ، والطـير بالناس الذين يجتمعون إليه و يقبلون منه الدين ، فبينا هو قائم إذا أتاه أربعة من الملائكة عليهم السلام يمشون بين يديه فأتبع آثارهم حتى رفعوه في جو السماء وأوتي من العلم والحكمة ما عرف به الأولى والوسطى والأخرى ، والذي هو كائن ، ثم أنزلوه إلى الأرض وقرنوا معه قرينا من الملائكة الأربعة فمكث في تلك البلاد حينا ثم إنه أتى أرض سولابط فلما بلغ والده قدومه خرج يسير هـو والاشراف فأكرموه وقربوه ، واجتمع إليه أهل بلده مع ذوي قرابته وحشمه وقعدوا بين يديه وسلموا عليه وكلمهـم الكـلام الكثير وفرش لهم الأساس وقال لهم : اسمعوا إلي بأسماعكم وفرغوا إلي قلوبكم لاستماع حكمة الله عز وجل التي هي نور الأنفس وثقوا بالعلم الذي هو الدليل على سبيل الرشاد ، وأيقظوا عقولكم وافهموا الفصل الذي بين الحق والباطل ، والضلال والهدى .

واعلموا أن هذا هو دين الحق الذي أنزله الله عز وجل على الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والقرون الأولى ، فخصنا الله عز وجل بـه في هذا القرن برحمته بنا ورأفته رحمته وتحننه علينا وفيه خلاص من نار جهنم إلا أنه لا ينال الانسان ملكـوت السـماوات ولا يدخلها أحد إلا بالايمان وعمل الخير ، فاجتهدوا فيه لتدركوا به الراحة الدائمة والحياة التي لا تنقطع أبدا ومن آمن منكم بالـدين فلا يكونن إيمانه طمعا في الحياة ورجاء لملك الأرض وطلب مواهب الدنيا ، وليكن إيمانكم بالدين طمعا في ملكوت السـماوات ورجاء للخلاص وطلب النجاة من الضلالة وبلوغ الراحة والفرج في الآخرة ، فإن ملك الأرض وسلطانها زائل ، ولذاتها منقطعة ، فمن اغتر بها هلك وافتضح ، لو قد وقف على ديان الدين الذي لا يدين إلا بالحق ، فإن الموت مقرون مع أجسـادكم وهـو يتراصد أرواحكم أن يكبكبها مع الأجساد . واعلموا أنه كما أن الطير لا يقدر على الحياة والنجاة من الأعداء من اليوم إلى غـد إلا بقوة من البصر والجناحين والرجلين ، فكذلك الانسان لا يقدر على الحياة والنجاة إلا بالعمل والايمان والعمل الصالح وأفعـال الخير الكاملة ، فتفكر أيها الملك أنت والاشراف فيما تسمعون وافهموا واعتبروا ، واعبروا البحر ما دامت السـفينة ، و اقطعـوا المفازة ما دام الدليل والظهر والزاد ، واسلكوا سبيلكم ما دام المصباح ، وأكثروا من كنوز البر مع النساك ، وشاركوهم في الخير والعمل الصالح ، وأصلحوا التبع وكونوا لهم أعوانا ، ومروهم بأعمالكم لينزلوا معكم ملكوت النور ، واقبلوا النور ، واحتفظـوا بفرائضكم ، وإياكم أن تتوثقوا إلى أماني الدنيا وشرب الخمور وشهوة النساء من كل ذميمة وقبيحة مهلكة للروح والجسد واتقوا الحمية والغضب والعداوة والنميمة ، وما لم ترضوه أن يؤتى إليكم فلا تأتوه إلى أحد ، وكونوا طاهري القلوب ، صادقي النيات لتكونوا على المنهاج إذا أتاكم الاجل . ثم انتقل من أرض سولابط وسار في بلاد ومدائن كثيرة حتى أتى أرضا تسـمى قشـمير فسار فيها وأحيا ميتها ومكث حتى أتاه الاجل الذي خلع الجسد ، وارتفع إلى النور ، ودعا قبل موته تلميذا له اسمه أيابذ الـذي كان يخدمه ويقوم عليه ، وكان رجلا كاملا في الأمور كلها ، وأوصى إليه ، وقال : إنه قد دنا ارتفاعي عن الدنيا ، واحتفظـوا بفرائضكم ، ولا تزيغوا عن الحق ، وخذوا بالتنسك ثم أمر أيابذ أن يبني له مكانا فبسطه هو رجليه وهيأ رأسه إلى المغرب ووجهه إلى المشرق ثم قضي نحبه) كمال الدين و إتمام النعمة للشيخ الصدوق ٦٥٣ ، البحار للشيخ المجلسي ٧٥ / ٤٤٤

الناس هكذا فكيف حال الأنبياء والمرسلين وأولـي العـزم مـنهم ؟ الـذين أطلعهـم الله عـلى أحوال الكونين ، وأمـر النشـأتين ، وكـيف هـم يرغبـون في الدنيا الدنية ، ويميلـون إلى النعـم الفانيـة ، واللذائـذ الزايلـة ، ويعرضـون عـن نعـم الله الباقيـة الدائمـة ، التـي لـيس لهـا فنـاء وزوال أبداً ؟ وأعظم منها ثم أعظم لقاء ربهـم ، فهـل رأيـت عـاقلاً يـترك الوجه الحسن وينظر إلى الوجه القبيح ، والطعام الطيب والثياب اللينة ، ويستعمل الخبيث والثياب الخشنة.

فلمـا ثبـت أن الأنبياء مـنزهون ومـبرؤن مـن الميل إلى الدنيا وشـهواتها ، وانسـد هذا الطريق ، تبين أنه لايصدر منهم معصية أبداً لا صغيرة ولا كبـيرة ، إذ المعـاصي كلهـا سـببها الميـل إلى الدنيا بشهوة النفس الأمارة، وأصول العصيـان والمعـاصي هي هذه الأربعة المذكورة والباقي فـروع ، والشـجرة إذا قطعـت من أصلها لاتثمر بوجه ، حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وتركها رأس كل عبادة ، عميت قلوب من يجوز المعاصي والخطايا على الأنبيـاء عليهم السلام ، طبـع اللـه على قلوبهم وسمعهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب أليم .

وأمـا السـهو والنسيان فـلا يجـوز أن ينسـبا أيضـاً إلـيهم ، وإلا لمـا بقـي الوثـوق والاعتمـاد بوعـدهم ووعيـدهم وإخبـارهم عـن الله بـأحوال القيامـة ، والحشـر والنشـر ، وأصـول الـدين وفروعه ، والعقائد وغيرها ، وانتفت العلة الغائية لبعثتهم ، كما لايخفـى عـلى ذي حجى ، والمقام ليس للبسط والكلام.

ومختصر المقصـود والمـرام ، أن الاعتقـاد الصـحيح والحق الصريـح ، أن الأنبيـاء لايعصـون مطلقـاً قبـل البعثـة وبعدهـا ، أما بعدها فقد عرفـت دليلهـا ، وأمـا قبلهـا فـلأن الله

جعل الأنبياء حجة بالغة على الخلق كما قال : ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ ﴾ [1] والمراد من الحجة البالغة الأنبياء عليهم السلام ، ولابد أن يكون للحق أئمة حجج على الخلق بحيث لايكون لأحد عذر عنده ، ويكون قاطعاً لكل الأعذار ، وإلا لم تكن الحجة بالغة كاملة.

ولما كان كذلك تعين أن الأنبياء لابد أن يكونوا منزهين ومبرئين من جميع الذنوب والمعاصي حتى قبل البعثة ، إذ لو ارتكبوا قبلها أنواع المعاصي ، وحين البعثة تابوا عنها ، ودعوا الخلق إلى الحق ، تنفرت عنه الطباع ، وما اطمأنت النفوس بقوله وما سكنت ، بل كانت دائماً في الشك والارتياب في حقه ، فحينئذ لم يكن حجته بالغة ، بخلاف ما لو كان منزها من حين الولادة ، ومبرءاً ومطهراً ومعصوماً من الذنوب ، ولم تصدر منه معصية قط ، ودعا الناس إلى الحق بأدلة قاطعة ، ومعجزات باهرة ، لاطمأنت النفوس قطعاً ، وحصل لها السكون ، ومانفرت منه الطباع ، فيصدق حينئذ أنه حجة بالغة كاملة ، فمن لم يقبل قوله ، ولم يطع أمره ونهيه ، استحق أنواع العقاب والعذاب ، وكان المنكر له ولقوله داخلاً تحت قوله تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ [2] .

أما ترى الواعظ الذي يصعد المنبر ، ويدعو الناس إلى طريق الحق ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وعلمنا منه ارتكاب المعصية ، واقتراف السيئة والخطيئة ، وان كان تائباً ليس حاله في قبول أمره ، وامتثال دعوته ، واطمئنان النفس وسكونها بكلامه ، كحال الواعظ الداعي إلى الحق ، الذي كان طاهراً ومنزهاً من جميع المعاصي والسيئات ظاهراً ، ولم يقترف معصية ولم يرتكب خطيئة ، والبداهة حاكمة بالفرق بين الواعظين ، في سكون النفس واطمئنان القلب ، بل الناس يعيرون الواعظ الأول ، لو ذكروا أفعاله

١. سورة الأنعام آية (١٤٩)

٢. سورة النمل آية (١٤)

القبيحة المتقدمة وان تاب عنها ، ويرون العيب السابق نقصاً وقادحاً في تأثير أقواله ، فكيف حال من أراد أن يكون له الرياسة العامة ، والسلطنة التامة ، والناس كلهم يكونون عبيداً تحت الشدة له ؟ فحينئذ لا تقوم الحجة على الخلق ، بل يكون لهم الحجة على الحق.

ولا شك أيضا أن الذي لم تصدر عنه معصية لا صغيرة ولا كبيرة أتم وأكمل ، وأحق بالخلافة والنبوة ممن عصى ثم تاب ، وفعل الله في غاية الإتقان ، وعلى وفق الحكمة ، فلا يجوز له أن يكرم الولاية والنبوة والخلافة مع وجود الأحق والأكمل والأتم لغيره ، إذ قبحه لايخفى على الجاهل الغبي ، فضلاً عن العاقل الذكي ، وصدور القبيح عن الله محال ، كما قررنا سابقا.

الحاصل من اطلع على مقام الأنبياء عليهم السلام لايسند المعصية المعروفة بين الناس إليهم أبدا ، بل حسبها من المحالات في حقهم ، إذ هم سلام الله عليهم لما أجابوا أول مرتبة ، وسبقوا الخلق في إجابة أمر الحق ، وقالوا: بلى عند قوله تعالى : (ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم والأئمة من ولده أوليائكم ؟) [1] خلق الله طينتهم من أعلى عليين بالأصالة ، والمؤمنون لما تبعوهم في الإجابة بقولهم : بلى أيضا خلق طينتهم من عليين بالتبعية ، فالأنبياء في مقام المتبوعية ، والمؤمنون وغيرهم في مقام التابعية ، والمتبوع أبداً لاينزل إلى مقام التابع ورتبته ، وإلا لم يكن متبوعاً فظهر أنه لاتصدر عنهم عليهم السلام المعاصي مطلقاً ، الصغيرة والكبيرة ، وإلا لم يكونوا أنبياء ، وهذا خلف.

ياحبيبي عليك بحفظ هذا المطلب العزيز ، الذي هو أدق من الشعر ، وأحد من السيف

---

١. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي ١٦٧ ، الجواهر السنية للحر العاملي ٢٧٢ ، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ١ / ٥٩

الفصل السادس

{ تنزيه الأنبياء عليهم السلام }

الفصل السادس

{تنزيه الأنبياء عليهم السلام }

لما عرفت هذا المطلب الصريح ، والمعتقد الصحيح ، فربما أشكل عليك بعض الأخبار ، الدالة على معصية الأنبياء كقوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ ١ وقوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ٢ وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ ٣ وأمثالها من الآيات والروايات ، كرواية سلمان قال لأمير المؤمنين عليه السلام (يا أمير المؤمنين لقد وجدت في التوراة كذلك ، وفي الإنجيل كذلك ، بأبي أنت وأمي ياقتيل كوفان ، والله لولا أن يقول الناس : لسلمان واشوقاه رحم الله قاتل سلمان ، لقلت فيك مقالاً تشمئز منه النفوس ، لأنك حجة الله الذي به تاب على آدم ، وبه أنجى يوسف من الجب ، وأنت قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : أتدري ما قصة أيوب وسبب تغير نعمة الله عليه ؟ قال : الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين ، قال : لما كان عند الإنبعاث للنطق شك أيوب في ملكي فقال : هذا خطب جليل وأمر جسيم ، قال الله عز وجل : يا أيوب أتشك في صورة أقمته أنا " إني

---

١. سورة طه آية (١٢١)

٢. سورة الفتح آية (٢)

٣. سورة طه آية (١١٥)

ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحت عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين وأنت تقول : خطب جليل وأمر جسيم ؟ فوعزتي لأذيقنك من عذابي أو تتوب إلي بالطاعة لأمير المؤمنين ، ثم أدركته السعادة بي) [١] .

وأمثالها من الآيات والروايات الدالة بظاهرها على وقوع المعصية ، والشك والتردد منهم عليهم السلام .

فاعلم أن هذه الأخبار والآيات ليست باقية على ظواهرها ، وإنما هي من المتشابهات الواجب ردها على المحكمات ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [٢] .

ولما نظرنا في كلامه المجيد ، رأينا قد وصف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [٣] وقال أيضا : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [٤].

وبالضرورة والبداهة لو كان تصدر منه العياذ بالله معصية ، أو كان فيه خلاف الاعتدال خَلقاً ، أو خُلُقاً لما وصفه الله سبحانه بعظم الخلق ، واستقامة الباطن والظاهر ، ووصفه جل وعلا له بالسراج المنير ، أقوى شاهد وأعظم دليل على ماقلنا.

---

١. البحار للشيخ المجلسي ٢٦ / ٢٩٣ ، مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني ٢ / ٣١

٢. سورة آل عمران آية (٧)

٣. سورة القلم آية (٤)

٤. سورة النجم آية (٣-٤)

قال سبحانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [1] فظهر أن ليس فيه ﷺ كدورة بوجه من الوجوه ، والمعصية كائنة ما كانت كدورة .

ومن قوله سبحانه مخاطبا لنبينا ﷺ: ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [2] وقوله أيضا : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [3] وأمثالها يعلم اشتراك الأنبياء عليهم السلام مع نبينا ﷺ فيما قلنا .

فكل الأنبياء والأوصياء معصومون مطهرون بنص الكتاب والسنة ، ودليل العقل المستنير بنور الله . وأيضا قال الله سبحانه ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [4] .

ولاشك أن من في السماوات هم الملائكة ، ومن في الأرض الجن والإنس ، ومن عنده ليس إلا المخصوصون من الأنبياء والأوصياء سلام الله عليهم ، الذين هم عند الله دائما بتوجههم وإقبالهم عليه سبحانه ، ويتلقون منه الفيوضات ، ويوصلونها إلى الخلق .

فالآيات بمعونة العقل السليم ، أدلة صريحة واضحة ، وبراهين محكمة لائحة على عصمة الأنبياء سلام الله عليهم ، فينبغي أن تجعل هذه الآيات أصلاً أصيلاً ، وتحمل

---

١. سورة الأحزاب آية (٤٥ – ٤٦)
٢. سورة الأحقاف آية (٩)
٣. سورة الأنعام آية (٩٠)
٤. سورة الأنبياء آية (١٩ – ٢٠)

باقي الآيات والروايات على معنى ، بحيث لايكون منافياً للآيات المحكمة ، والأصول الأصيلة ، وهذا الحمل له وجهان:

وجه إجمالي ، ووجه تفصيلي ، والوجه التفصيلي أيضا له وجوه كثيرة : ونحن نكتفي في المقام بالوجه الإجمالي إذ التفصيلي يؤدي إلى التطويل ، والمقام لايناسبه .

ونقول : إن المعاصي المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام كلها بمعنى ترك الأولى ، وترك المستحب والمندوب ، لاترك الواجب وفعل الحرام ، المستلزم للمعصية نعوذ بالله.

فالأنبياء لعلو مقامهم ، إذا صدر عنهم ترك المندوب ، يعاتبون ويؤاخذون ، لما ورد عنهم عليهم السلام : (إن حسنات الأبرار سيئات المقربين) [1] وقال سيد الشهداء عليه الصلاة والسلام في دعاء عرفة : (الهي من كانت محاسنه مساويء ، فكيف لاتكون مساويه مساويء، ومن كانت حقايقه دعاوى ، فكيف لاتكون دعاويه دعاوي) [2].

فاستغفار الأنبياء عليهم السلام كلا لجهة ترك المستحبات وفعل المباحات ، لا فعل المعاصي العياذ بالله ، إذ قبح المعصية عندهم مثل قبح ونتن الجيفة عند سائر الناس ، فهل رأيت أحداً بقدر الإمكان يقرب من الجيفة فضلا عن تناوله وأكله ؟ فقبح المعصية عند الأنبياء ، والخواص ومقربي ذي الجلال أعظم من ذلك.

فحينئذ كيف يتصور صدور المعصية عنهم عليهم السلام ؟ مع أنه لو انكشف لك حقيقة الأمر في نظم الوجود ، لعرفت أن صدورها عنهم في عالم التكوين والوجود محال ، بل طاعات الرعايا والأمم عندهم معاصي .

---

١. البحار للشيخ المجلسي ١١ / ٢٥٦ ، الجواهر السنية للحر العاملي ٨٣ ، زبدة البيان للمحقق الأردبيلي ٧٨

٢. البحار للشيخ المجلسي ٩٥ / ٢٢٥

الفصل السابع

{المعصومون الأربعة عشرة عليهم السلام
لم يتركوا الأولى }

الفصل السابع

{المعصومون الأربعة عشرة عليهم السلام لم يتركوا الأولى }

اعلم أن نبينا والأئمة الاثني عشر والصديقة الطاهرة ، الذين لم نجوز نسبة ترك الأولى أيضاً إليهم صلوات الله عليهم ، فما ورد فيه من المعصية والخطيئة محمول على معصية رعاياهم وشيعتهم ، إذ يتحملون معاصي أممهم وشيعتهم ، وينسبون مكارههم إلى أنفسهم ، كما ورد في تأويل قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [١] عن الرضا عليه السلام مامعناه : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحمل ذنوب شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ونسبها إلى نفسه ، والله سبحانه وعده أنك لما تحملت تلك الذنوب ، ونسبتها إلى نفسك اغفر لهم .

وأما شك الأنبياء مثل أيوب عليه السلام في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، فالمراد منه أيضاً صدور ترك الأولى عنهم ، إذ مقتضى الإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام هو العمل بكل راجح، واجباً كان أو مندوباً ، وترك كل مرجوح ، حراماً كان أو مكروهاً ، والتساوي إن فرض وقوعه كالمباح ، فترك الراجح إن صدر عن أحدهم ، فيكون شاكاً ومتردداً في العمل لا العلم ، إذ هم سلام الله عليهم أشد الخلق والمؤمنين في العلم رسوخاً وثباتاً ، لكن كمال الإيمان هو تطابق العلم والعمل ، وعدم مخالفتها بوجه من الوجوه .

---

١. سورة الفتح آية (٢)

وأما مخالفة العمل فهي دليل على عدم كمال الرسوخ والثبات في العمل لا العلم والاعتقاد ، والذين ثبتوا ورسخوا في العلم والعمل معاً في جميع الأمور دقيقها وجليلها ، حقيرها وكبيرها في جميع الآنات وكل الحالات ، وتقدموا في القرب من خالقهم على الذرات الكونية ، والحقائق الوجودية منحصرون في المعصومين الأربعة عشر (محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

الفصل الثامن

{النبوة تثبت بالنبوة وخوارق العادات مع التحدي }

الفصل الثامن

{النبوة تثبت بالنبوة وخوارق العادات مع التحدي }

اعلـم أن النبـوة تثبـت بإظهار النبـوة ، وإتيان خوارق العادات ، مقرونـا بالتحدي والادعاء ، وتوصيف الحق بالصفات اللائقة بجلال قدسه ، وعدم إتيانه بأمور يسفهه العقلاء بها ، ويتفقون على بطلانها .

فخرق العادة بدون إظهار النبوة وادعائها لايكون دليلاً للنبوة ، فهـو إمـا سـحر ، وإما كرامة مخصوصة للأولياء والمؤمنين الكملين .

ومع إظهار النبـوة أيضـاً لايكون دليلاً لصدقها ، إذ كثيراً ماتقع خوارق العادات مـن السـحرة ، كمـا أن ابن المقفع ادعى الربوبية والالوهية بالسحر والتمويه ، وأقر به خمسون ألف نفر من السفهاء.

فالضابط في الصدق والكذب مجموع الأمور المذكورة ، فإن ادعى النبوة ، ونزه الله سبحانه عن النقايص ، ووصفه بالكمالات اللائقة بتوحيده وتفريـده ، وظهـرت منه خـوارق العادات ، ومع ذلك كان كاذباً ، وجب على الله سبحانه من بـاب اللطـف أن يظهـر كذبـه على جميع الخلق ، وإلا لزم الإغراء بالباطل والضـلال وهـو محـال على الله سـبحانه ، فـإذا لم يظهـر كذبه وبطلان قوله بوجـه ، قطعنـا بأنـه نبي ومرسـول مـن جانب الله عز وجل ، ووجب علينا الإقرار بنبوته ورسالته .

الفصل التاسع

{نبينا ﷺ هو الواسطة بين اللّه تعالى وبين الخلق }

الفصل التاسع

{ نبينا ﷺ هو الواسطة بين اللّه تعالى وبين الخلق }

فظهر مما ذكرنا وتبين واتضح من هذه الصفات الكلية العامة ، بأن النبي والرسول عن جانب الله سبحانه والواسطة بينه وبين الخلق ، في إيصال الفيوضات الكونية والشرعية هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ لاغيره .

لأنه ﷺ ادعى النبوة ، وظهرت منه المعاجز وخوارق العادات ، بنقل متواتر ، ولو جاز نعوذ بالله كذب هذا النقل لجاز كذب ساير الناقلين من الأنبياء ، إذ بلغ في الكثرة إلى حد يمنع العقل من تواطئهم واجتماعهم على الكذب.

وأعظم معجزاته الباقي { إلى } الآن بين أيدينا ، والموجود عندنا هو القرآن المجيد، الذي هو باقٍ في إعجازه إلى الآن ويبقى إلى يوم القيامة ، وعجزت عنه فصحاء العرب وبلغاؤهم من الشعراء والخطباء ، مع شيوع الفصاحة والبلاغة بينهم ، لاسيما في ذلك الزمان ، في المنظوم والمنثور وبذلوا جهدهم ، لعلمهم بأنهم لو تمكنوا من إتيان سورة أو آية مثله ، لأبطلوا نبوته فما تيسر لهم ، وما تمكنوا من إطفاء ذلك النور وإبطال كلمة الحق ، حتى حاربوه ﷺ وأراقوا دماء أنفسهم بأيديهم ، وابتلوا بذل الأسر ، وتحملوا الذل والعار ، وأعطوا الجزية والخراج ذليلين صاغرين.

فلو كانوا تمكنوا بإعانة الجن أيضاً مع تمام فصاحتهم وبلاغتهم ، من إتيان سورة أو آية لما احتاجوا ، وما قدموا إلى هذه المحاربات العظيمة ، وتلف الأنفس والأسر ، وإعطاء الفداء والجزية مع الذلة والصغار ، وتحمل العار إلى آخر الدهر .

إن القرآن العظيم مركب من الحروف الهجائية ، التي عندهم سبحان من أنزله ورتبه في أسلوب ، ليس كأسلوب النظم ولا النثر ولا الخطبة بل هو جامع لجميع المقامات، والأوزان الشعرية ، وطريقة الرسم وإنشاء الخطب ، وجميع اللغات والنكات ، والعلوم الظاهرية والأسرار الباطنية ، والحقائق الإلهية والدقائق الوجودية ، وأحكام المبدء والمعاد وسائر الأحوال ، التي بنان البيان عن بيانها عاجز قاصر والعقل في ادراكها حائر حاسر ، مع اجتماع بعضه على كل ما هو جامعه ، ودلالة حرفه على ماتدل عليه الكلمة ، وسائر الأحوال التي ليست في قدرة الإنسان ولا طاقة البشر ، بل ليس بمقدور أحد من المخلوقات ، إذ هذا المعجز العظيم كصنعة الإنسان ، فمن قدر على خلق الإنسان قدر على إتيان مثل القرآن ، فالآن ألف ومائة سنة مضت من نزوله إلى الآن مع كثرة منكري نبوة صاحبه ، الذين هم دائماً في صدد قدح هذا الدين المبين ، والملة البيضاء ، وقلة المقرين به وضعفهم ظاهراً ، لم يتمكنوا من إتيان مثله بسورة أو آية قصيرة .

ومحال على الله سبحانه أن يجعل الخلق في حيرة وضلالة مع اشتمال القرآن بتوصيف الله سبحانه بصفات الجلال والجمال ، بحيث إن العقل المستقيم يقطع بحقيقة وبطلان توصيف الله بغير هذه الصفات.

الفصل العاشر

{النبي محمد ﷺ مبعوث إلى جميع ما سوى الله سبحانه }

الفصل العاشر

{النبي محمد ﷺ مبعوث إلى جميع ما سوى اللّه سبحانه }

بعد ما علمت أن النبي والمرسول من جانب الله سبحانه الآن هو نبينا محمد بن عبدالله ﷺ، فاعلم أنه ﷺ مبعوث على كافة الخلق ، وعامة الموجودات من الإنس والجن ، والملائكة والحيوان ، والبهائم والحشرات والنباتات والجماد ، وسائر الخلق في الارضين والسماوات ، بشهادة القرآن النازل إليه من الملك المنان : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1] وقال تعالى أيضا : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[2] .

والعالمين جمع محلي بالألف واللام مفيد للعموم ، وجامع جميع أفراد العالم ، يعني جميع ماسوى الله سبحانه ، وأن غير الإنس والجن ، من سائر الحيوانات والطيور ، وحشرات الأرض ، بل النباتات والجمادات أيضاً مكلفون كما هو صريح القرآن المجيد ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾[3] وقال أيضا : ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا

---

١. سورة سبأ آية (٢٨)

٢. سورة الفرقان آية (١)

٣. سورة الإنعام آية (٣٨)

نَذِيرٌ ﴾ ١ وقال أيضا في شعور وتكليف الجمادات والنباتات : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ ٢.

ولاشك أن تكليف ماليس له شعور وإدراك قبيح ، وصدوره عن الحكيم المطلق محال ، فثبت أن جميع الذرات الوجودية مكلفون ، وأن نبينا مبعوث من جانب الله إليهم بنص الآيتين السابقتين ، وسلطان على كل ماسوى الله سبحانه.

وجميع الموجودات من الدرة إلى الذرة كلاً وطراً تابعة ، ورعية وأمة له ﷺ، وتحت حكمه وحيطة تصرفه واقتداره ، وليس لأحد سواه أن يكون متبوعاً ورئيساً وسلطاناً أبداً ، مع وجوده في العالمين .

---

١. سورة فاطر آية (٢٤)

٢. سورة الأحزاب آية (٧٢)

الفصل الحادي عشر

{شريعة نبينا محمد ﷺ
إلى يوم القيامة }

الفصل الحادي عشر

{شريعة نبينا محمد ﷺ إلى يوم القيامة }

شريعة نبينا ﷺ مستمرة ودائمة الى يوم القيامة ، وليس لشريعته ناسخ ، ولا بعده نبي قال الله تعالى في كلامه الحميد المجيد : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [1] فبنبوته ختمت النبوة ، وهو النبي أبد الآبدين لاغيره ، ولا يكون غيره أبداً ، وحكمه لاينقطع ولا يضمحل إلى يوم القيامة ، وشريعته ﷺ هي السادسة من الشرايع المؤسسة ، وتلك الشرايع ليست بأزيد من الستة :

(أولها) شريعة آدم عليه السلام كما هو مبدء النسل

(وثانيها) شريعة نوح وهي نسخت شريعة آدم عليه السلام ، وهو أسس شريعة خاصة من الله سبحانه.

(ثالثها) شريعة إبراهيم نسخت شريعة نوح .

(رابعها) شريعة موسى نسخت شريعة ابراهيم .

(خامسها) شريعة عيسى نسخت شريعة موسى .

(سادسها) شريعة نبينا محمد بن عبدالله ﷺ نسخت ماقبلها.

---

١. سورة الأحزاب آية (٤٠)

وباقي الأنبياء كلاً وطراً كانوا يعملون بهذه الشرايع ، ويوصي إليهم طبق شريعته من هذه الشرايع، وأما علة الانحصار في هذه الستة :

فأعلم انأ قد أثبتنا في سائر رسائلنا وأجوبة مسائلنا ، بالبراهين القطعية من العقلية والنقلية ، أن عالم التكوين وعالم التشريع في حكم واحد ، وكل واحد طبق الآخر ، بل عالم التشريع روح عالم التكوين ، وعالم تكوين وجود الإنسان لايتم إلا بعد أطوار ستة ، طور النطفة ، وطور العلقة ، وطور المضغة ، وطور العظام ، وطور اكتساء اللحم ، وطور ولوج الروح .

ومعلوم أن المراتب الخمس مقدمات لولوج الروح ، والمقصود بالذات هو الروح ، فإذا ظهرت بقي حكمها ولا يزول أبداً ، بل دائماً في الترقي والتزايد إلى حين الموت ، فعند ذلك تتوجه إلى عالمها ، ويبقى الجسم في قبره .

بخلاف حكم النطفة ، فتنقلب عند كونها وصيرورتها علقة ، وكذا حكم العلقة عند كونها مضغة ، والمضغة عند كونها عظاما ، فيرتفع وينقلب ، وأما الروح فحكمها مستمر إذا ظهرت ولا تنقلب أبدا ، نعم تأخذ في الزيادة والنقيصة ، والتغيير والتبديل ، إلى أن يبلغ الإنسان أربعين سنة ، فهناك غاية كمالها.

وشريعة نبينا محمد بن عبدالله ﷺ لما كانت سادسة ، وواقعة في المرتبة السادسة ، كانت روح الشرايع ، وكانتساير الشرايع والأنبياء كلها مقدمات لظهور كامل نور هذا الرسول ، فنور نبوته دائماً في ازدياد بلا ارتياب ، وشمس ملك سلطنته ليس لها أفول واضطراب.

الفصل الثاني عشر

{نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين }

الفصل الثاني عشر

{نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين }

اعلم أنه لما كان الخلق في الدنيا وقتئذ في سلسلة الصعود ، كان الخاتم في سلسلة العود أشرف مما سوى نفسه ، إذ هو أقرب إلى الله من غير نفسه ، ولو كان غيره أقرب إلى الله منه لكان خاتماً ، فبحكم بطلان الطفرة لابد أن يكون ذلك الخاتم في سلسلة النزول ، فاتحاً في سلسلة الصعود ، ومبدء الوجود ، وأصل كل موجود .

فلما ختمت النبوة بوجوده ﷺ، فلابد أن يكون أفضل وأشرف وأكمل الأنبياء والمرسلين والخلق أجمعين ، وتكون شريعته ناسخة لجميع الشرايع ، وملته كذلك بالنسبة لكل الملل ، إذ في صورة تساويه مع غيره تكون خاتميته بدون مساويه ترجيحاً بلا مرجح ، وفي صورة التعدد تكون محالاً ، إذ الخاتم هو المبدء الفاتح ، والمبدء أول مظاهر ظهور الحق سبحانه وتعالى ، وأول مراتب الوجود ، ولاشك أن المبدء للمراتب واحد لامتعدد وإلا لزم تساوي الواحد والكثرة في الشرف وهو محال ، مع خلق الكثرة دون الوحدة وهو محال آخر ، لاستلزامه ترجيح المرجوح ، وتفضيل المفضول .

فوجب تقديم الوحدة على الكثرة في مبدء الوجود ، ولما كان حكم التشريع والتكوين متحداً ، لزم أن يكون المبدء في التكوين هو المبدء في التشريع ، فوجب أن يكون الواسطة في

إيصال الفيض من الحق إلى الخلق في التكوين ، بعينه هو الواسطة للفيض في التشريع ، ولما كان حكم الصعود حكم العود يعني عود الأشياء إلى مباديها ، لا إلى ذات الله عز وجل إذ الطريق مسدود والطلب مردود ، وجب أن يكون ختم النبوة التشريعية بمبدء الوجود التكويني ، وذلك المبدء كما عرفت لابد أن يكون واحداً ، لا جرم كان خاتم النبوة واحداً ، وكان كل الوجود في حيطة حكمه وأمره ، في الظهور والبروز ، كما كان في البطون ، كالشمس إذا كانت تحت حجاب الأرض ، مختفية عن الأبصار ، ومحجوبة عن الأنظار ، ترى الكواكب المستمدة منها بأجمعها ، لها ظهور وبروز ، وامتياز بعضها عن بعض ، وإذا ظهرت في الشهود ، وطلعت من المشرق ، ترى جميع النجوم والكواكب مضمحلة في جنبها ، ومختفية في الوجود ، ليس لها حكم بوجودها أبداً.

وهذا بعينه مثال نبينا خاتم النبوة والرسالة ﷺ، لما كان ﷺ في الباطن ممداً للأنبياء بأسرهم ، كان لهم ظهور وبروز وامتياز وحكم وشريعة ، ولما أشرقت شمسه من أفق طالع السعود ، وأنار بقدومه وطلعته المنيرة عالم الشهود ورأته الخلايق بعين الوجود ، بطلت نبوة كل نبي إلا نبوته ، واختفت كل الشرايع إلا شريعته ، واضمحلت كل الملل إلا ملته ﷺ .

فإذا تأملت ونظرت بعين الدقة في هذا المثال ، ومثال تكون الإنسان من العلقة ، والمضغة إلى آخر المراتب المذكورة ، عرفت أن كل الشرايع شريعته ، وكل الملل ملته ، وكل الأنبياء والرسل الستة أداة وآلات وأدوات تبليغه.

كان ﷺ يتكلم مع الخلق في كل زمان ، من وراء الحجاب بلسان الأنبياء ، إذ لم يكن للخلق طاقة مشاهدة نور جماله بلا حجاب ، ولا يتحمل تلقي الفيض منه بلا واسطة ونقاب ، كما أن نور جميع الكواكب من الشمس بإشراقها عليها ، وأشعة النجوم الواقعة على

وجه الأرض جميعها من الشمس ، لاستمدادها كلا منها ، وإنما النجوم والكواكب مظاهر لها ، ليس لها نور وإشراق أبداً إلا بها ومنها ، وكذلك تدبير النطفة والعلقة ، والمضغة والعظام ، واكتساء اللحم ، بأجمعها من جهة إشراق الروح لا من جهة الجسد المحض ، وتنقُل هذه المراتب لنضج الجسد ، حتى يستعد ويتمكن لتحمل ظهور الروح فيه.

فظهر لك مما ذكرنا أن جميع المذاهب النازلة من السماء ، وجميع الشرايع وجميع الملل من خاتم النبوة ، لكن من وراء الحجاب ، وهذه الشريعة الموجودة بعد ظهوره روحي فداه شريعته بغير حجاب ، ومن هذا تبين لك أن كل الوجود ، وجميع الموجود ، كلاً وطراً آثار خاتم النبوة ، وشؤناته ، لأنه هو واسطة لإيجاد الوجود بين الحق والخلق ، في التكوين والتشريع ، فلا يكون له شبيه ولا نظير { ولا ثاني } والثاني [١] في جميع ماخلق ، ولذا قال ﷺ (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) [٢] فانكشف لك ماذكرنا ، وظهر عموم قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [٣] فهو النذير والرسول من جانب الله سبحانه ، على كافة المخلوقات في جميع العوالم ، فمحال أن لا تكون شريعته ناسخة للشرايع ، ولا يكون دينه ناسخاً للأديان ، وإلا لزم كونه تابعاً أو مساوياً لغيره ، وهذا مناف لمبدأيته ﷺ الكاشفة عنها الخاتمية ، فهو الأصل وحده ، وكل الموجودات فروعه وشئوناته وأشعته ، وعكوسه ، كالشمس وأشعتها ، أو كالقلب وسائر الأعضاء والجوارح ، والحمد لله الذي هدانا لهذا.

١. عله المعنى (ولا ثاني في جميع ما خلق) بدل (والثاني في جميع ما خلق) لأنه في البداية يقول قدست نفسه (فلا يكون له شبيه ولا نظير)

٢. البحار للشيخ المجلسي ١٨ / ٢٧٨

٣. سورة الفرقان آية (١)

الباب الرابع

في إثبات إمامة الأئمة
الأثني عشر وأحكام دولة نواب
خير البشر سلام اللّه عليهم
ما دارت الشمس والقمر

وفيه فصول تسعة

الفصل الأول

{جسد نبينا محمد ﷺ
علة لوجود الأرواح والعقول أجمع }

الفصل الأول

{ جسد نبينا محمد ﷺ علة لوجود الأرواح والعقول أجمع }

اعلم أن نبينا ﷺ روح ، تجسد الأرواح والعقول ، التي لايعتريها الدثور والفناء إلى نفخ الصور ، خلقت من شعاع جسمه المنور ، وجسده المطهر ، ولجهة عصمته وطهارته ونظافته ظاهراً وباطناً ، معرى من جميع الكدورات ، ومصفى ومبرء من كل الأعراض والغرائب والفضولات .

فمقتضى الهلاك والدثور فيه معدوم مفقود ، فموجب الفناء والبلى فيه غير موجود ، وإذا كان يعمل فيه بمقتضى ذاته المقدسة ، التي هي علة وجود الأملاك والأفلاك ، اقتضى أن يدوم بالدوام الأبدي ، ويخلد بالخلود السرمدي ، كأهل الجنة في الجنة ، إذ بنيته المطهرة أصفى من بنية أهل الجنة ، واعتدال مزاجه المبارك أشد اعتدالاً ، وأصفى من مزاج أهل الجنة بمراتب كثيرة ، والعدل الحكيم يعطي كل ذي حق حقه ، ولكن لو حكم الله عليه بالحياة الأبدية ، كما هو مقتضى ذاته المقدسة ﷺ، مع ظهور المعجزات وخوارق العادات منه دائماً ، وعدم احتيال الخلق وتأثيره في حقه بوجه من الوجوه ، لتوهمت في حقه الربوبية ، وسجدوا له معترفين بالالوهية ، وهذا مناف لما بعث له من هداية الخلق ، وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور ، فلهذه الجهة ولغيرها مما يوجب التطويل قدر الله سبحانه عليه الموت

الظاهري ، وهو خلع اللباس البشري ، قال في كلامه المجيد : (إنك ميت وإنهم ميتون) [1]
وأمته ﷺ بعده لا تخلو من قسمين :

{ القسم الأول } إما كانوا كاملين ومكملين ، يعني أنهم وصلوا إلى مقام لايحتاجون إلى معلم ، وكل واحد منهم علموا تمام مسائل الحلال والحرام ، والاعتقاد والأحكام ، وتعلموا ما يصلح جميع أحوالهم وأمورهم المتعلقة لأنفسهم ، ومن بعدهم إلى يوم القيامة من النبي ﷺ ، وأخذوا منه جميع ذلك وتخلقوا بها ، بحيث لم يقع بينهم أصلاً مقطعاً نزاع وخصومة ، ولم يصدر عنهم فعل خلاف مرضاة الله جل وعلا ، وكذلك الأشخاص الذين يأتون من بعدهم موصوفون بصفاتهم ، حتى لاينهدم الأساس الذي أسسه النبي ﷺ ، وتحمل في تشييده ، وإقامة الدين المبين بنفس نفيسة تلك الزحمات ، ولا يكون عبثا .

والقسم الثاني إن من أمته الموجودين بعده لم يكونوا كاملين ، ولم يأخذوا مسائل الحرام والحلال بالتمام والكمال عنه ﷺ ، بل التي تعلموها وأخذوها لم يحفظوها ، ونسوا أغلبها ، ودائماً يقع بينهم النزاع والخصومات ، وحب الجاه والرياسات ، ومتابعة هوى النفس والشهوات ، بحيث لو بقوا على هذه الحالة مدة من الزمان ، وبرهة من الأوان ، لانهدم أساس النبوة ، وكان جميع تعبه الذي تحمله عبثاً وهباء .

فوجب عليه ﷺ أن ينصب عليهم حاكماً وقيماً ، يعلمهم جميع العلوم ومسائل الحلال والحرام ، ويطلعهم على الاعتقادات وساير الأحكام ، التي يحتاج إليها الموجودون ومن بعدهم من التابعين ، في الوقايع التي حدثت ولم تحدث ولم تقع بعد ، ويجعل ذلك الحاكم والقيم مربياً ومؤدباً لأحوال الخلق ، ويسأل الله عز وجل بأن يكرمه قوة حافظة ،

---

١. سورة الزمر آية (٣٠)

حتى لاينسى شيئاً مما علمه ، ويزيد في نور قلبه ، حتى لايميل إلى الباطل والدنيا وما فيها من الشهوات ، حتى يكون ذلك الحاكم كنفس النبي ﷺ مربياً للأمة الضعيفة الحال بينهم ، كالأب الرؤوف الشفيق ، والأم الشفيقة ، ويتصدى لحمايتهم ورعايتهم بنفسه ، ولاشك ولاريب أن الأمة لم تطلع على كثير من الحلال والحرام ، فضلاً عن غيرها ، والدليل على هذا الاختلاف الواقع الموجود بينهم ، وإلا لم تفترق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، قول كل فرقة يستلزم بطلان قول الأخرى [1] .

وكل الفرق ينسبون أنفسهم إلى النبي ﷺ، ويعملون بكتاب الله ظاهراً وبالقطع أن قول النبي ﷺ أحد هذه الأقوال ، وباقي الكل باطل ، وكل يدعي الحق وينسبه إلى نفسه ، مع شيوع الظلم والفساد فيهم ، والكذب على الرسول في حياته وبعد مماته ، حتى قال ﷺ (أيها الناس قد كثر علي الكذابة ألا فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [2] .

ومعلوم قطعا ويقينا أن الأمة ليست كالقسم الأول والطائفة الأولى ، مع وجود المنافقين والخائنين في زمانه ﷺ، الذين وصفهم الله سبحانه في كلامه المجيد في مواضيع عديدة ، بل حالهم بالقطع واليقين كحال الطائفة الثانية.

والقسم الثاني الذين هم جاهلون بكثير من الأحكام ، ومسائل الحلال والحرام ، وأغلب المنافقين الذين كانوا في ذلك الزمان يظهرون الإسلام لساناً ، وفي القلب كفار ومنافقون ، وكانوا دائماً في صدد إبطال هذا الدين ، واضمحلال هذا الطريق المبين ، فكيف

---

١. قال رسول الله ﷺ (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة ناجية ، والباقون في النار) الأقتصاد للشيخ الطوسي ٢١٣ ، البحار للشيخ المجلسي ٣٦ / ٣٣٦

٢. تحف العقول لأبن شعبة الحراني ١٩٣

يمكن إهمال هذا الخلق الكثير ، والجم الغفير ، مع كثرة المنافقين ، وأعداء الدين ، بلا حاكم ولا والٍ عليهم بعد نبيهم ﷺ؟ فيكون إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، والأمر والنهي ، والزجر والتهديد ، والوعد والوعيد ، كلها عبثاً وهباءاً ، والنبي ﷺ أجل وأعظم ، والله سبحانه أكرم من أن يجعل هذا الخلق العظيم في تيه وضلال ، ولاينصب لهم علم الهداية ، حتى يقيمهم على الطريق المستقيم ، والنهج الذي بعث به النبي الكريم .

فوجب على النبي ﷺ أن ينصب بأمر من الله حاكماً على الخلق ، وهو الإمام عندنا الإمامية ، حتى يجري بينهم حكم النبي ﷺ .

الفصل الثاني

{وصي النبي لا بد أن يكون منصوباً من قبل اللّه تعالى }

الفصل الثاني

{وصي النبي لا بد أن يكون منصوباً من قبل اللّه تعالى }

اعلم أنه لابد أن يكون ذلك الحاكم معيناً ومنصوباً من جانب الله عز وجل ، بنص الرسول ﷺ وبيانه ، لأن ذلك الحاكم لابد أن يكون مصلحاً لحال الخلق لامفسداً ، والإصلاح ناشيء من شيئين :

أحدهما : علمه بجميع مراد الحق من الخلق ، في كل المقامات والمراتب ، الظاهرية والباطنية ، المخفية والجلية ، وتمكنه من إظهار المعجزات وخوارق العادات ، وعدم ميله إلى الدنيا ، وعدم متابعته النفس والهوى في أمر من الأمور ، الذي ليس براجح ، فلو لم يكن له علم لما تمكن من تبليغ الأحكام ، التي وضعها الله لإصلاح عباده إليهم.

فان عمل بخلاف مراد الله سبحانه ، كان فيه كمال الفساد ، إذ هو ضد الإصلاح ، وكذا لو تبع هوى نفسه ومال إلى الدنيا ، لدخل في عموم قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً ﴾ [1] الآية إذ هو في حال التفاته إلى هوى النفس معرض عن الله سبحانه ، فلا يكون في تلك الحالة حاكماً عن الله سبحانه ، إذ الإعراض عين الفساد ، كما أن الإقبال عين الصلاح ، فالمعرض عن الله ليس بمصلح بل هو مفسد .

---

١. سورة الجاثية آية (٢٣)

فالحاكم العالم بجميع مراد الله ، والتكاليف والأحكام الراجحة للخلق والمكلفين ، في جميع الأحوال وأوضاعهم ، والمتمكن من تدبير أمورهم على وفق إرادة الله سبحانه ، غير مائل إلى الدنيا والهوى ، واستمراره فيه ، لايتمكن من نصبه ولايعرفه إلا الله تعالى الذي علمه جميع العلوم واطلع على تحمله وصبره وحفظه وتدبيره وسكونه واطمئنان قلبه وتوجهه وإقباله إلى حضرة قدسه ، ونبيه وأوليائه بتعليم منه.

وأما سائر الناس فليس لهم علم إلا بحسن الظاهر ، وأما بسريرته وهواجس قلبه فلا يطلع عليها إلا الله سبحانه ، وأنبياؤه وأولياؤه بتعليمه سبحانه ، والإمام المصلح لايكفي في حقه حسن الظاهر ، بل لابد في حقه من القطع بالحسن الواقعي ، والعصمة الحقيقية ، إذ هو دليل إرادة الله ، ولسان نبي الله ، وحجته ، واليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [٢].

فبناء على هذا نصْب الإمام والحاكم على الخلق والأمة والرعية لابد أن يكون من جانب الله ، يوحى منه على لسان نبيه ﷺ ، في حق شخص مخصوص ، وإلا فلا يحصل القطع بصلاحه وإصلاحه ، أما ترى إلى نبي الله موسى بن عمران ، كيف اختار من قومه سبعين رجلاً لميقات ربه ، ففسدوا آخر الأمر ؟ فإذا كان هذا حال اختيار النبي من أولي العزم ، فكيف يكون حال اختيار سائر الخلق ، من الجهال وأرباب الغرض ؟ فوجب أن يكون التعيين والاختيار من جانب الله بنص النبي لاغير ذلك .

---

١. سورة البقرة آية (٢٢٠)

٢. سورة القصص آية (٦٨)

الفصل الثالث

مناقشة حديث
(لا تجتمع أمتي على خطأ)

الفصل الثالث

مناقشة حديث (لاتجتمع أمتي على خطأ)

اعلم أن الخبر الذي ينسبونه إلى النبي ﷺ قال : (لاتجتمع أمتي على خطأ) [1] على فرض صحته وصدوره منه ﷺ، فالمراد منه أحد وجهين صحيحين :

الأول : المراد من الأمة هي الجماعة ، التي يكون الحاكم المعصوم المنصوب على العموم من جانب الحي القيوم بينهم وفيهم غير ممتاز ، وغير معين فيهم ، وهذا هو الإجماع الذي نقول بحجيته.

الثاني : إن المراد من الأمة المسلمون كلهم على سبيل الاستغراق ، وهذا أيضاً عندنا حجة ، لوجود الحاكم المنصوب أيضاً فيهم ، ودخوله بينهم قطعاً ، كالإجماع على وجوب الصلاة ، والزكاة والحج ، وسائر الضروريات .

وأما إذا كان المراد من الأمة البعض المطلق ، لزم كون ثلاث وسبعين فرق الإسلام على حق ، إذ يصدق على كل فرقة من تلك الفرق ، أنها أمة أجمعت على كذا ، والأمة جنس شامل على القليل والكثير ، والجليل والحقير قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾ [2]

---

١. المراجعات للسيد شرف الدين ٣٤٦

٢. سورة النحل آية (١٢٠)

وهو منافٍ لقول رسول الله ﷺ يوم الخندق : (إن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة ، والباقي في النار) [1] .

الحاصل على فرض صحته لايمكن حمله إلا على المعنيين المذكورين الصحيحين ، إذ الأمة [2] لا تصدق إلا على التابع له ﷺ ، ولاشك أن العاصي حين المعصية ليس بتابع له ﷺ ، إذ هو ﷺ ما أمر بالمعصية ، ولم يأمر بها ، حتى يكون العاصي حين المعصية تابعاً ، ويصدق التابعية نعوذ بالله ، فلو اجتمعوا على أمر فلابد من حصول القطع على تابعيتهم ، حتى يصدق عليهم أن الأمة اجتمعوا ، وهذا القطع لا يحصل إلا أن يكون بينهم معصوم لم يعص الله أبداً .

فهذا الإجماع حجة حيث يكشف عن قول المعصوم عليه السلام ، لا كل اتفاق وكل إجماع ، وأما الإجماع الذي هو اتفاق الكل ، بحيث لم يخرج أحد من المسلمين من تحت عمومه فليس له وجود ، ولاتحقق في حق إمام حاكم ، ونصْبه بعد رسول الله ﷺ ، إذ المسلمون حين وفاته ﷺ كانوا متفرقين في أطراف البلاد ، وماكانوا حاضرين في المدينة ، وإنما الحاضر فيها أهلها فقط ، واجتماعهم كلاً على نصب إمام حاكم ، واتفاق كلهم عليه محل نظر ، بل مقطوع بخلافه ، مع أن اتفاق كل أهل المدينة على فرض تسليمه ليس بكاف ، إذ أهل مكة ، والطائف ، وأهل اليمن كلهم كانوا ذلك الوقت مسلمين ، ولم يحضروا هناك ، ولم يدخلوا في

---

١. قال رسول الله ﷺ (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة ناجية ، والباقون في النار) الأقتصاد للشيخ الطوسي ٢١٣ ، البحار للشيخ المجلسي ٣٦ / ٣٣٦

٢. قال المقدس المولى آية الله الميرزا علي الإحقاقي قدس الله نفسه (الأمة أمتان : أمة الدعوة وأمة الإجابة ، وجميع الناس أمة له ﷺ بالدعوة ولا يكونون أمة حقيقية له إلا بالإجابة والتبعية ، والمخالفون له والعصا ة إن أطلق عليهم الأمة فبالدعوة لا بالإجابة والحقيقة)

إجماعهم ، فكيف قام الإجماع الضروري ، وانعقد عندهم ؟ مع إخبار النبي ﷺ بافتراق أمته بعده ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم هالكون إلا فرقة ناجية.

فالإجماع على شخص واحد بوجود الفِرق العديدة ، من ظرافات الأقوال ، فقول النبي ﷺ أولى بالتصديق من قول الغير .

وأما القول : إن المراد { من الإجماع } إجماع أهل الحل والعقد ، فان كان المقصود من أهل الحل والعقد هو المعصومون عليهم السلام فهو حق صحيح ، وإن كان المقصود غيرهم ففيه ماذكرنا ، من أن القطع بالتبعية لايحصل إلا بوجود معصوم ، مع إن انحصار أهل الحل والعقد بأهل المدينة محل نظر ، إذ كثير من المسلمين المخلصين كانوا منتشرين في الأطراف يوم بيعة سقيفة بني ساعدة ، وما كانوا حاضرين .

وفي إجماع أهل الحل والعقد من أهل المدينة أيضا نظر ، إذ لم يدع هذا الإجماع غير فرقة واحدة ، وليس لها شاهد إلا من نفسها ، وشهادة المدعي ليست بمسموعة .

فظهر أن هذه الاجماعات على نصْب الحاكم باطلة غير مفيدة ، وليس فيما نسبوه من الخبر إلى النبي ﷺ دلالة بوجه من الوجوه ، على جواز نصْب الأمة والرعية إماماً حاكماً بينهم ، كما رأيت أيها المتبصر الفطن.

الفصل الرابع

{آية التبليغ في
تنصيب علي عليه السلام ولياً على الخلق }

الفصل الرابع

{ آية التبليغ في تنصيب علي عليه السلام ولياً على الخلق }

قد عرفت إن نصْب الإمام والحاكم على الرعية ، وتعيينه واجب على الله سبحانه، بتبليغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [١].

ولاشك أن هذا الأمر أمر خاص ، ليس كسائر الأمور ، فيه اهتمام تام ، والرسول ليس من تبليغه في أمان ، وفي إظهاره ظاهراً خايف كسلان ، لعلمه بأنه ليس كسائر الأحكام ، من الصوم والصلاة ، والحج والجهاد وغيرها من الأمور العظام ، إذ ليس في تبليغها خوف ولا اضطراب ، وإنما هو نصْب خليفة وإمام وحاكم ، الذي يرغب عنه الناس ، الذي يوسوس في صدورهم الخناس ، لكونه خلاف مقتضيات أنفسهم ، وإرادتهم ومشتهيات ميلهم ، وخوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً كان من إنكارهم وقصدهم قتله ، فحينئذ يرتدون عن الدين ، ويتبعون آباءهم الأولين ، ويكون جميع تعبه وزحماته في إقامة الدين ، وماتحمله من المشقات في إعلاء كلمة هذا الحق المبين ، عبثاً وهباءاً ، وتكون إعلام الدين منطمسة ، ورايات الحق والشريعة مندرسة ، ولكن لما وعد الله سبحانه لرسوله النصر والحفظ ، فلذا نصب حاكماً ووصياً ، كما سنذكره إن شاء الله .

---

١. سورة المائدة آية (٦٧)

الحاصل لما كان الإمام والحاكم منصوباً من جانب الله سبحانه ، بتبليغ النبي ونصه ، كان خليفة الله وخليفة رسوله ، على الخلق أجمعين ، وحجة بين المكلفين ، بحيث لايساويه أحد من الرعايا في كمال من كمالاته ، ولو على جهة الاتفاق ، لأنه حجة على المجموع ، كما أنه حجة على كل فرد ، والعالم بمجموعه شخص واحد مكلف ، وحجة الله عليه خاتم النبيين ، وخاتم الوصيين ، كما أشرنا إليه ، فانه { كلما } كان هذا الإمام أكمل وأقدم في جميع الصفات ، كان أحسن وأولى ، وفي إتمام الحجة وإكمال النعمة أعظم ، والحق سبحانه مع قدرته على نصب خليفة وإمام هكذا ، لو عدل عنه إلى أنقص وأنزل منه رتبة ، لكان عدولاً من الراجح إلى المرجوح ، وهذا في حق الحق سبحانه محال ، إذ يلوم الأنبياء ويذمهم على ترك الأولى ، وترك الراجح ، وهو أجل وأكرم من أن يرتكبه وهو القائل ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [١] .

ودعوى عدم قدرته كفر ، وعدم وجود المتعلق غلط ، إذ قلنا سابقا إن خاتم النبيين مبدأ وجود الكائنات ، وكل الذرات الوجودية بتوسطه وجدوا ، كأشعة الشمس بالنسبة إليها ، فجميع الأنوار المنبثة في الأشعة جزء من سبعين جزء من نور الشمس ، فعلى هذا كانت جميع الكمالات المنبثة في الرعايا ، كلها جزء من سبعين جزء ، من كمال خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم .

وخليفته الذي هو خاتم الوصيين أيضاً لابد وأن يكون جامعاً لجميع الكمالات ، وأحسن الصفات ، حتى لاتتمكن الرعية المحجوجين من قول إنه لو كان موصوفاً بصفة كذا من الكمال كان أحسن ولا يبقى لهم حجة بوجه من الوجوه ، في إنكار خليفة الله سبحانه،

---

١. سورة البقرة آية (٤٤)

ولابد أن يكون ذلك المنصوب حاكماً وإماماً وخليفة ، من المنسوبين إلى رسول الله ﷺ، إذ في نسبته ﷺ شرف فائق كل الشرف.

والنسبة على قسمين سببي ونسبي ، واجتماع كليهما أكمل من وجود أحدهما.

والنسبة القريبة أشرف من النسبة البعيدة ، وأقرب النسب الذي هو محل اجتماع النسبتين يكون النبي ﷺ أكبر وأعظم في النسب الظاهرية ، ليس إلا ابن العم ، فلما اجتمع مع النبي ﷺ في هذه النسب ، اشترك معه ﷺ في جميع الشرافات العرضية ، وعلو رفعة الآباء والأجداد ، والسيادة بين القوم ، وشرف الموطن والمحل والمكان وسائر الأحوال كلاً ، فصار أشرف من العرب ، الذي أشرف من العجم ، وأشرف من قريش التي أشرف طوائف العرب ، وأشرف من آل هاشم التي أشرف طوائف قريش ، التي كان بيدها بيت الله ، وحرم الله ، ومفاتيحها دائما.

ولابد أن يكون أيضاً معصوماً ومطهراً من جميع المعاصي ، والذنوب الكبيرة والصغيرة ، قبل البلوغ وبعده ، وقبل الخلافة وبعدها ، حتى لايشاهد الخلق فيه غير حسن السيرة والسريرة ، ولاينفر عنه الملائكة المقربون ، ولايعرض عنه الجن ، إذ هو خليفة الله على الملائكة والجن والإنس ، وحجته في سمائه وأرضه ، وخليفة الرسول على جميع مابعث له الرسول ، وحتى يستدل بطهارته وعصمته ، على أن الله سبحانه منزه ومبرء من جميع النقائص والصفات الإمكانية.

ولابد أن يكون الخليفة أيضاً أعلم جميع الخلق ، بجميع العلوم الكونية والوجودية ، حتى يستدل بسعة علمه على إن علوم خالقه لاتتناهى ، وكذلك في القدرة لابد

أن يكون أقدر المخلوقين ، ومتمكناً من إظهار عجائب الأفعال ، وخوارق العادات ، وانفعال كل الموجودات له ، حتى يستدل الخلق به على عظمة خالقه ، وقدرته ، وبارئه الذي أعطى مخلوقاً ضعيفاً هذا الاقتدار ، وهذه القدرة الكاملة ، فجميع ما يظهر في هذا الحاكم والخليفة من القدرة والاقتدار ، هي القدرة الإلهية العظمى ، والغرض من إيجاد العالم إظهار الصفات الكمالية الإلهية للمخلوق في المخلوق ، لأن ذات الواجب جل شأنه وعظمت قدرته ، ولابد أن يكون أشجع الخلق ، بحيث لو قابله جميع الإنس والجن لغلبهم ، إلا أن لايرى الصلاح في ذلك ، وكذا في الورع والزهد ، لابد أن يكون أزهد الخلق وأورعهم ، بحيث لايكون لغير الله سبحانه عنده قرب ولاقيمة ، وكذا في سائر الصفات الكمالية ، والنعوت الحسنة ، بحيث تعجز عنها سائر الخلق .

الفصل الخامس

{لابد لوصي النبي من وصي آخر من قبل اللّه تعالى }

الفصل الخامس

{ لابد لوصي النبي من وصي آخر من قبل الله تعالى }

اعلـم أن الـدليل الـذي أثبتنا به أن النبي ﷺ لابـد لـه من الانتقال من هذا العالم إلى عالم آخر ، هو الدليل على لزوم ارتحـال وصيه وخليفته أيضاً ، من دار الدنيا إلى العقبى ، لكن لابد له ﷺ من وصي آخـر يقـوم مقامـه ، في جميع الأمـور ، التي بهـا قـام الـوصي الأول ، إذ نبوتـه ﷺ ممتدة أبد الدهر ، فأوصياؤه ﷺ لابـد أن يكونوا متعددين لبقاء شريعته ما بقي الدهـر ، ولما كـان أوصياؤه جامعين جـميع الكمالات والصفات الكمالية ، فعـددهم أيضا لابـد أن يكـون أشرف الإعداد وأكملها ، حتى يكونوا جامعين مجـامع جـميع الكمـالات ، حتى في العـدد والكثرة ، والأعداد على ثلاثة أقسام :

عـدد تـام ، وعـدد زايـد ، وعدد ناقص ، ولاشك أن العدد الناقص نقص ، لايجوز أن يكـون عـدد الأوصياء ، فلابد أن يكون جامعاً للعدد التام ، وهو العدد الذي يسـاوي كسـور أصله ويطابقه كالستة [١] ، حتى يدل على أن الأوصياء ظاهرهم طبق بـاطنهم ، وقلبهـم وفـق لسـانهم ، تـامين في الخَلق والخُلق ، والعلم والعمل ، وسـائر الأحوال الذاتية .

---

١. قال المقدس آية الله المولى الميرزا علي الإحقاقي قدس الله نفسه (فإن كسور الستة ثلاثة :
نصف وهو الثلاثة ، وثلث وهو اثنان ، وسدس وهو واحد ، ومجموعها أي مجموع الكسور أيضاً ستة ، فصار عدداً تاماً، كسوره تساوي نفسه ، وليس في الأعداد مثله ، يساوي كسوره نفسه ، فهي إما زائدة كسورها عليها أو ناقصة عنها)

ولابد لعددهم أن يكون جامعاً للعدد الزايد أيضاً ، إذ لطيفتهم زائدة على ذواتهم، لأنهم يكملون أنفسهم ، وزيادة على هذا يكملون الغير أيضاً ، كما أن الأشياء قسم منها لطيفته زائدة على ذاته ، كالسراج والشمس يضيئان نفسهما وغير نفسهما أيضاً ، من دون أن ينقص منهما شيء بوجه .

وقسم لطيفته مساوية لذاته كالجمرة ، تضيء نفسها دون غيرها .

وقسم لطيفته ناقصة عن ذاته ، كالأحجار وسائر الأشياء الغاسقة ، لاتضيء نفسها فضلاً عن غيرها ، فالإمام ووصي الرسول وخليفته لابد أن يكون من قبيل الأول ، لا الثالث والثاني ، وعددهم أيضاً لابد أن يكون عدداً زائداً ، وأول الأعداد التام الستة ، وأول العدد من الأعداد الزائدة اثنا عشر [1] فإذا ثنيت الستة صارت اثني عشر . والتثنية إشارة إلى ثبوت تماميتهم في عالم الغيب والشهادة ، وعلم الظاهر والباطن ، وعالم الإجمال والتفصيل ، فالاثنا عشر جامع للعدد التام ، وجامع للعدد الزائد ، فعدد أوصياء نبي آخر الزمان ، وخاتم النبيين ﷺ، لابد أن يكون اثني عشر بلا زيادة ونقصان ، حتى لايفوتهم كمال من الكمالات .

---

١. قال المقدس آية الله المولى الميرزا علي الإحقاقي قدس الله نفسه (إن الأعداد التي قبل الأثني عشر من الأعداد العشرة كلها ناقصة ، أي كسورها أقل من عددها إلا الستة فإنها تامة فقط ، وأول العدد الذي كسوره زائدة عليه هو العدد اثنا عشر، لأن كسوره نصف وهو الستة ، وثلثه وهو أربعة ، وربعه وهو ثلاثة ، وسدسه وهو اثنان ومجموع الكسور (١٥) خمسة عشرة ، على الأصل وهو (١٢) اثنا عشر

الفصل السادس

{علي عليه السلام أكمل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم}

الفصل السادس

{علي عليه السلام أكمل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم}

لما عرفت الصفات التي لابد للإمام والخليفة من الاتصاف بها ، فانظر الآن بعين البصيرة ، وكحلها بنور الإيمان ، وانصف نفسك ، هل ترى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هو جامع لهذه الصفات ، وحاوي لتلك المقامات ، ومتصف بهذه النعوت الحميدة ، والأخلاق المحمودة ، غير علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ؟

أما في نسبته من رسول الله قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [1] ، وليس بين المسلمين من هو جامع لهاتين الصفتين : النسبة النسبية ، والنسبة السببية ، غير ابن عم الرسول ، زوج البتول ، علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب عليه السلام .

وفي العدول في الآية الشريفة عن التراب إلى التعبير بالماء أسرار عجيبة ، والله سبحانه في كل موضع في مقام خلق البشر يأتي بذكر التراب ، بخلاف هذا المقام أتى بلفظ الماء، الذي هو أصل للتراب وأبوه ، إذ به ينفعل لا بغيره ، وبإضافته عليه يكون قابلاً للتصور بصُور مختلفة ، وكل أصل يطلق عليه الماء ، ولذا كنى أمير المؤمنين عليه السلام بأبي تراب.[2]

---

١. سورة الفرقان آية (٥٤)

٢. علل الشرائع : القطان ، عن ابن زكريا القطان ، عن ابن حبيب ، عن ابن بهلول ، عن أبيه عن أبي الحسن العبدي ، عن سليمان بن مهران ، عن عباية بن ربعي قال : قلت لعبد الله ابن عباس : لم كنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا أبا تراب ؟ قال : لأنه

وبالجملة فالكلام في هذا المقام طولاني ، وذكرناه في سائر الرسائل مفصلاً ، والمهم في المقام إثبات نسبة أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ بالنسبتين المذكورتين.

وأما سائر الكمالات من العصمة والطهارة ، والعلم والمعرفة ، والقدرة والزهد ، والورع والكرم ، والشجاعة ، والفصاحة والبلاغة وغيرها ، في حد كمالها فوق قوة البشر ، ومرتبة المخلوقين فما ادعى أحد اجتماعها في حق أحد إلا في حق أمير المؤمنين ، وأولاده الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، وادعت الشيعة الاثنا عشرية الإجماع على ذلك ، وسائر الملل والنحل ، وإن أنكروا ذلك لفظاً لكن في عرض كلماتهم ، وتأليفاتهم ، وأشعارهم وقصائدهم ، صرحوا بما ادعت الشيعة ، ولم يظهر منهم ما ينافي مدعى الشيعة .

وغير الشيعة لايشترطون في أئمتهم العصمة - وقد عرفت وجوبها فيه - ولانص الرسول في حقهم من جانب الله سبحانه في خلافتهم

وأما الشيعة فهم متفقون على نص الرسول في حق أمير المؤمنين بوصايته وخلافته والمخالفون رووا حديث غدير خم بطرق كثيرة مختلفة متواترة ، وليس إنكارهم إلا العناد والكذب على الله ورسوله .

صاحب الأرض وحجة الله على أهلها بعده ، وبه بقاؤها ، وإليه سكونها ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة يقول : يا ليتني كنت ترابيا، أي يا ليتني من شيعة علي وذلك قول الله عز وجل : (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ٣٥ / ٥١ ، علل الشرائع للشيخ الصدوق ١ / ١٥٦

الحاصل لاحاجة لنا إلى تطويل الكلام ، في المقصود والمرام ، بل نقول إن خليفة رسول الله ﷺ لابد أن يكون موصوفاً بصفات مخصوصة ، إذا اختل أحدها بطلت خلافته ، كما ذكرنا بعض تلك الصفات.

ونحن نرى أن الأشخاص الذين يعتقد في حقهم غير الشيعة أنهم خلفاء ، ليسوا متصفين بأكثر تلك الصفات المذكورة ، بإقرارهم أي التابعين منهم والمتبوعين.

والذي تعتقده الشيعة أن خليفة رسول الله ﷺ يعتقدون في حقه ، أنه متصف بتلك الصفات المذكورة بل أزيد منها . والمخالفون لم يتمكنوا من عدم إثباتها في حقه عليه السلام . فالأمر حينئذ لايخلو من أن الاشخاص الذين تدعي في حقهم الشيعة أنهم خلفاء رسول الله ، إما موصوفون بالصفات المذكورة وهي موجودة مجتمعة فيهم أم لا ، فان كان الأمر كما يقولون يعني الشيعة فهو المطلوب ، وان لم يكن كما يقولون فنحن لم نسمع ولم نر أحدا غيرهم عليهم السلام يدعي في حقهم اجتماع تلك الصفات ووجودها فيهم .

فيلزم إذا أن الله سبحانه جعل الخلق في التيه والضلالة ولم يظهر لهم خليفة رسوله ﷺ مع شدة احتياج الخلق وهو قبيح منه تعالى عن ذلك علوا كبيرا .

فظهر أن الذي تدعي الشيعة اجتماع تلك الصفات فيه وهو في الواقع موصوف بها هو خليفة رسول الله ﷺ وإلا لأظهر الله سبحانه كذبه كما أظهر كذب سائر من ادعى الخلافة كما قال في كلامه الحميد المجيد : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [1] وقال تعالى أيضا ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ [1] ،

---

١. سورة التوبة آية(١١٥)

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ٢، ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ ٣ .

---

١. سورة الليل آية (١٢)

٢. سورة النحل آية (٩)

٣. سورة القيامة (١٦ – ١٧ – ١٨ – ١٩)

الفصل السابع

{إن الخليفة بعد النبي
بلا فصل هو علي عليه السلام }

الفصل السابع

{إن الخليفة بعد النبي بلا فصل هو علي عليه السلام }

قد ظهر وتحقق أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا فصل هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، لاختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومزيد اعتنائه صلى الله عليه وآله وسلم بشأنه عليه السلام ، وليس أحد من المسلمين ينكر ذلك ، وسبقته في الإسلام ، وعدم سجوده لصنم قط ، وعدم عبادته لغير الله أبداً ، وكونه من أشرف وأكابر قريش ، واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له لنفسه أخاً ، وكونه نفس رسول الله في آية المباهلة ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ [1] بإجماع المفسرين ، وسبقته في الجهاد مع الكفار ، وعدم فراره في المحاربات حتى سمي : (كرار غير فرار) [2] وعدم مخالفته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حال من الأحوال بالاتفاق ، وكونه زوج البتول سيدة نساء العالمين ، التي قال في حقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) [3].

وهذا مذكور في البخاري ، وعدم خطأه في حكم ، وعدم عجزه في مسألة ، وعدم صدور معصية منه أبداً ، وصدقه في مقاله في كل مقام ، وهو الصادق الحقيقي الذي

---

١. سورة آل عمران آية (٦١)

٢. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر لعلي عليه السلام (لأعطين الراية غداً رجلاًيحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، كرار غير فرار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه) البحار للشيخ المجلسي ٣١ / ٢٦٠

٣. كشف الغطاء للشيخ جعفر كاشف الغطاء١ / ١٢

أمر الله سبحانه بإطاعته وإتباعه والانقياد له : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ ١.

وكذا أولاده الأحد عشر عليهم السلام مشتركون معه في الأوصاف وجامعون لها ، وما ينسب أحد من المخالف والمؤالف خلاف هذه الأوصاف إليه ، وإلى أولاده الأحد عشر ، فوجب أن يكون أوصياء الرسول كما ذكرنا اثني عشر ، جامعين لتلك الصفات على كمال ماينبغي ، وهم أولوا القربى الذين أمر الله سبحانه بمحبتهم ، وأولوا الأمر الذين أوجب الله طاعتهم ، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فلو لم تكن هذه الصفات موجودة فيهم ، لوجب على الله لطفاً أن يظهر جامع هذه الصفات ، ويبين كذبهم العياذ بالله ، ولما لم يفعل علمنا بالقطع واليقين أنهم أئمة الهدى ، وأوصياء الرسول صلى الله عليه وآله .

أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وبعده ابنه الحسن بن علي ، وبعده أخوه الحسين بن علي ، وبعده ابنه علي بن الحسين ، وبعده ابنه محمد بن علي ، وبعده ابنه جعفر بن محمد ، وبعده ابنه موسى بن جعفر ، وبعده ابنه علي بن موسى الرضا ، وبعده ابنه محمد بن علي ، وبعده علي بن محمد ، وبعده ابنه الحسن بن علي ، وبعده ابنه محمد المهدي بن الحسن صلوات الله عليهم أجمعين .

١. سورة التوبة آية (١١٩)

الفصل الثامن

{إن الإمام الثاني عشر هو الإمام المهدي (عجل) }

الفصل الثامن

{ إن الإمام الثاني عشر هو الإمام المهدي (عجل) }

الإمام الثاني عشر الآن حي وموجود ، لكن غائب عن الأبصار ، يفيض على الخلق ويمدهم من وراء الحجاب كالشمس إذا جللتها السحاب ، حتى يأمره الله تعالى بالخروج ، وإظهار نفسه الشريفة ، وليس بعده إمام ، وإلا لم يكن عددهم كاملاً ، ولزم خلوهم من صفة من الصفات الكمالية وهو محال عليهم ، فلو كان عجل الله فرجه ظاهراً موجوداً لقصده الأعداء بالقتل ، كما قتلوا أجداده الطاهرين ، فلو قاتلهم بقوته لقتلهم جميعاً ، ولزم حينئذ محذوران.

الأول : إن في الأصلاب الخبيثة نطفا طيبة . وفي الأصلاب الطاهرة نطفا خبيثة ، فلو قتل الكفار والمخالفين جميعاً لانقطع فيض الوجود من النطف الطيبة ، وجرى فيهم الظلم ، وكان لهم الحجة على الله سبحانه يوم القيامة وهو محال .

الثاني : لزوم الإلجاء في التكليف ، فلو قاتلهم يعني الكفار بقوته وسطوته وحاربهم ، لآمنوا خوفاً من سيفه وقتله باللسان ، وأنكروا ونافقوا في قلوبهم ، فإن ماتوا بهذه الحالة ، وانتقلوا من الدنيا ، ولم يتمكنوا من إظهار ما في قلوبهم ، ومع ذلك عاقبهم الله سبحانه ، كان لهم حجة على الله سبحانه ، وهذا خلاف المقصود من بعثة الأنبياء . قال تعالى

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [1] وقال أيضا ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [2] فظهر أن الإمام لو كان ظاهراً ، وقصد الأعداء قتله ، فلابد أن لايقاتلهم ولايحاربهم ، وإن قتلوه كما قتلوا أجداده الطاهرين خلى العالم من حجة الله تعالى ، ولابد في الأرض من الحجة ، وإلا لانقلبت وخرب العالم .

وقبيح على الله أن يجعل الخلق في الضلالة ، ولم ينصب لهم علم الهداية ، مع أنا أثبتنا بالأدلة العقلية والنقلية ، أن الإمام واسطة فيض جميع الذرات الوجودية ، فعند فقدانه لزم اضمحلال العالم ، وهلاك كل الموجودات ، وفناء العالم ، قبل الوقت المقرر ، قبيح عند الله سبحانه.

فوجب أن يغيب عجل الله فرجه مدة من الزمان عن الأبصار ، حتى تضمحل الدولة الباطلة ، وتخلو الأصلاب من النطف الطيبة والخبيثة ، فعند ذلك يظهر بسيف قاطع، ويهلك الباطل ويظهر الحق ، عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، وجعلنا من أعوانه وأنصاره ، بحق النبي الأكرم وآله الكرام عليهم صلوات الملك العلام ، مادام نور وظلام .

---

١. سورة النساء آية (١٦٥)

٢. سورة البقرة آية (٢٥٦)

الفصل التاسع

{إن غير أهل البيت عبدوا الأصنام مدة وفروا من الحروب }

الفصل التاسع

{إن غير أهل البيت عبدوا الأصنام مدة وفروا من الحروب }

إن الذين يقول الناس فيهم أنهم أحق من غيرهم ، عبدوا الأصنام مدة من السنين، وبعد ذلك كانوا يفرون في الحروب والغزوات ، ويقول الله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [1] وفرارهم من الزحف في الغزوات والحروب ثابت بالتواتر كما ذكره المؤرخون :

وما أنسى لا أنسى اللذين تقدما   وفرهما والفر قد علما حوب

وأما كون زوجات النبي ﷺ فغير خفي ، من أن زوجة فرعون كانت آسية بنت مزاحم مؤمنة ، وبالعكس زوجة النبي نوح عليه السلام كانت كافرة ، كزوجة النبي لوط عليه السلام وآبائهم وأمهاتهم كانوا كفارا وآية : ﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ ﴾ [2] ليست دليلا على ذلك يقيناً ، لأن الله عز وجل أيضاً ذكر في كلامه الحميد قصة زوجتي نوح ولوط ولو (ومع) أنهما كانتا كافرتين ، لم ينفعهما صحبة النبيين ، والتناقض في قول الله عز وجل محال .

---

١. سورة الأنفال آية (١٥ – ١٦)

٢. سورة النور آية (٢٦)

والحديث المتفق عليه بين المسلمين معروف من أن النبي ﷺ قال (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة ، حتى أنه لو دخل أحدكن جحر ضب لدخلتموه) ١

هذا وأن فاطمة الزهراء صلوات الله عليها التي أذيتها أذية رسول الله ﷺ، وأذي رسول الله ﷺ أذية الله ، وأذية الله موجبة للعن والفضيحة في الدنيا والعقبى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ ٢ وأمثال هذه الأمور الضرورية المتواترة بين المسلمين كثيرة لاتخفى على الإنسان المتبصر .

فأي عاقل بل أي سفيه بعد ملاحظة ومشاهدة هذه الصفات وأمثالها ، يقدم هؤلاء الأشخاص على الأئمة عليهم السلام ، أولئك المنزهون المبرءون من جميع الصفات الذميمة ، والأوصاف القبيحة بالاتفاق ، على أن تعظيم واحترام أهل البيت عليهم السلام من ضروريات الدين ، من تكلم عليهم بما لا يليق فقد كفر وخرج عن دين محمد ﷺ لا والله العظيم ، العاقل لا يرضى بهذا الاستبدال ﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌ ﴾ ٣ ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ ٤ .

---

١. الإقتصاد للشيخ الطوسي ٢١٣
٢. سورة الأحزاب آية (٥٧)
٣. سورة البقرة آية (٦١)
٤. سورة الحج آية (٤٦)

الباب الخامس

في المعاد و حشر الأرواح
و فيه ثلاث عشر فصلاً

الفصل الأول

{وعد اللّه تعالى للحشر يوم القيامة للمطيع والعاصي }

الفصل الأول

{ وعد الله تعالى للحشر يوم القيامة للمطيع والعاصي }

لاشك ولا ريب أن الدنيا دار محن وآلام ، واختلاف وتغير ، وتبدل وزوال وانتقال ، وليس لحال من الأحوال كالخير والشر ، والنفع والضرر ، والنعمة والنقمة ، والتعب والراحة ، والصحة والسقم ، دوام واستمرار أبدا .

ولاشك أن الله سبحانه خلق الخلق وكلفهم بتكاليف ، وفيها أمر ونهي ووعد ووعيد ، وفي امتثال تلك التكاليف وعدهم بالأجر والثواب ، وفي تركها ومخالفتها العقاب ، والله سبحانه أجل وأعظم من أن يخلف وعده ، ولايأت بما وعده ، لعدم تمكنه واقتداره .

ونحن نرى أن جماعة عملوا بما أمر وأطاعوه ، وأتوا بحق عبادته بمقتضى مقامهم ، وجماعة عصوه وماقصروا في مخالفتهم دقيقة واحدة ، لا هؤلاء كافأهم الله بسوء أعمالهم وابتلاهم ، ولا الطائفة الأولى أعطاهم الأجر والثواب بحسب وعده ، الذي لايكون فيه خلف أبداً ، حتى ماتوا وارتحلوا من دار الدنيا ، فان لم يكن دار أخرى ، وعالم ومحل آخر للجزاء والمكافآت ، لزم الظلم وخلف الوعد ، وتساوى المطيع والعاصي ، وهذا محال على الله تعالى ، فوجب أن يعود جميع المخلوقين والمكلفين في عالم ومحل آخر ، حتى يستوفوا حقوقهم .

الفصل الثاني

في كيفية المعاد

الفصل الثاني

في كيفية المعاد

وهي أن الخلق إذا ماتوا تكون أرواحهم على ثلاثة أقسام :

{ القسم الأول } :

ماحض الإيمان ، وهذا القسم أرواحهم بعد موتهم تصير إلى جنة الدنيا وتتنعم هناك، فإذا كان يوم الجمعة ويوم العيد ، عند طلوع الصبح الصادق ، تأتي إليهم الملائكة بنوق من نور ، على كل ناقة قبة من ياقوت وزمرد وزبرجد ودر ، فتركبها فتطير بها الملائكة مابين السماء والأرض ، فتأتي بها إلى (وادي السلام) خلف الكوفة ، فتبقى الأرواح هناك إلى زوال الشمس ، فتستأذن من الملك الموكل بهم لزيارة قبورهم وأهاليهم ، إلى أن يصير الظل من كل شيء مثله ، فعند ذلك يصيح بهم الملك ويناديهم ، فيجتمعون ويركبون النوق ، وتطير بهم الملائكة حتى يصلوا إلى غرفات الجنان فيتنعمون هناك ، ويبقون بهذا الطريق إلى رجعة آل محمد ﷺ، فعند ذلك يحيون ويرجعون إلى الدنيا .

فمن خرج من الدنيا شهيداً ، عاش في الرجعة مقدار عمره في الدنيا مرتين ثم يموت ، ومن خرج من الدنيا ميتاً حتف أنفه ، استشهد في الرجعة ونال درجة الشهادة.

وبعد انتهاء دولة الحق ، وتمام مدة الرجعة ، يرفع الله سبحانه محمداً وأهل بيته الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين إلى السماء ، فتبقى الأرض خالية عنهم عليهم السلام ، ويبقى الناس أربعين يوما في هرج ومرج ، ثم ينفخ اسرافيل في صوره نفخة الصور ، فتبطل الأرواح ، وتسكن الحركات ، ويفنى جميع من في السماوات والارضين ، فلا يبقى حس ولا محسوس إلى أربعمائة سنة ، والأجساد تتلاشى في القبور ، وتتفرق أجزاؤها ، وتبقى في القبور مستديرة كسحالة الذهب في دكان الصائغ .

وأما القسم الثاني :

فهو ماحض للكفر ، إذا مات حشرت روحه عند مطلع الشمس ، فتعذب هناك بحرارة الشمس ، فإذا قرب غروبها ، حشرت في برهوت وادي حضرموت وعذبت هناك إلى الصباح ، فعند ذلك ملائكة العذاب تسوقها إلى مطلع الشمس ، وهكذا يفعل بها إلى نفخة الصور ، وعند ذلك تبطل ، وأما أجسادهم فتبقى في قبورهم ، فيدخل إليها دخان وشرارة نار جهنم ، التي في المشرق إلى وقت نفخة الصور .

وأما القسم الثالث :

وهو المستضعف الذي لا هو ماحض الإيمان ، ولا ماحض الكفر ، فتبقى أرواحهم مع أجسادهم إلى يوم القيامة ، ملقاة في قبورهم .

الحاصل فإذا مضى بين النفختين مقدار أربعمائة سنة ، يمطر من تحت العرش من بحر صاد مطر رائحته رائحة المني ، أربعين صباحاً ، حتى يكون وجه الأرض بحراً واحداً مواجاً ، فتجتمع أجزاء كل جسد في قبره ، فينبت اللحم في مقدار أربعين يوما ، ثم يبعث الله اسرافيل ويأمره ، فينفخ نفخة النشور والبعث ، فتطير الأرواح فتدخل في أجسادها ، كل روح

في جسدها الذي كانت فيه في دار الدنيا ، فينفض كل أحد التراب من قبل رأسه ، ويخرج من قبره ، ويأتي إلى المحشر ، وتقوم القيامة ، وهذا معنى المعاد ، يعني عود الأرواح إلى أجسادها الدنيوية .

ويجب على كل أحد الإيمان بهذا المعاد ، إذ هو ممكن والله قادر على كل ممكن ، والله سبحانه ورسوله والأئمة الصادقون أخبروا عن ذلك فهو حق ، وأيضاً هذا المعاد ثمرة العدل والفضل ، ويوم جزاء الأعمال ، وعدم وجود منافي الفضل في إعطاء الثواب ، ومنافي العدل في وقوع العقاب ، وأيضاً هذا المعاد لطف على المكلفين ، حيث يعينهم على الطاعة ، ويمنعهم عن المعصية ، فوجب بمقتضى الحكمة .

وأيضا إن جميع المسلمين أجمعوا واتفقوا على وقوعه ، وأنه أصل من أصول الإسلام ، فلا يتحقق الإسلام بدون اعتقاد وقوعه ، وأن منكره كافر ، فظهر أن وقوعه حق .

وأيضا إن الله كلف العباد وأمرهم بالطاعة ، ووعدهم بالوفاء بعهده الحق ، وامتثال أمره حسْن الثواب ، ونهاهم عن المعصية، وخوفهم عن نقض العهد ، ومخالفة النهي بالعقاب ، والتكليف (والجزاء) لم يقع ، وأخبرهم الله سبحانه بتأخيره إلى يوم القيامة ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ ١ وقال أيضا ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٢

والآيات في هذا المعنى كثيرة ووقوعه حق وثابت بلاشك وارتياب

---

١. سورة إبراهيم آية (٤٢)

٢. سورة الحج آية (٤٧)

الفصل الثالث

{ الحشر عام لكل ناطق وصامت }

الفصل الثالث

{ الحشر عام لكل ناطق وصامت }

لما كان الحشر للمخلوقات حتى يتم مقتضى عدل الحق سبحانه ، وجب إعادة كل ذي روح ، حتى يجازى بعمله من الخير والشر ، وأخذ حق المظلوم من الظالم .

وهذه الأصول الثلاثة يعني مجازات المكلف بعمله من الخير والشر ، وأخذ حق المظلوم من ظالمه ، تشمل كل ذي روح ، من جميع الحيوانات ، من الإنس والجن ، وسائر الشياطين ، والحيوانات بأنواعها ، إلا أن مجازات كل شيء بحسبه ومقدار قابليته واستعداده ، بل يراعى هذا الحكم في نوع واحد أيضاً قال الله سبحانه :﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ ﴾ ١.

والدليل على عموم الحساب والحشر على كل حيوان ناطق وصامت قوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ ٢ ، ويدل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم :(يقتص للجماء

١. سورة الأنعام آية (١٣٢)

٢. سورة الأنعام آية (٣٨)

من القرناء) ١ ، **وقوله تعالى :** ﴿ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ ٢ **في التأويل أن الله سبحانه يأخذ الحق لصاحبه ، وإن كان من الناطقين للصامتين ، ومن الصامتين للناطقين ، بل يحشر الجمادات كالأحجار المعبودة بغير حق ، والأشجار وغيرها ، ويقتص منهم لرضائهم بالعبودية ، قال تعالى** ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ ٣.

إن قلت : كيف ترضى الأحجار والأشجار بالمعبودية ، وليس لها عقل وشعور؟ قلت : لها شعور لكن بحسب مقامها في الوجود كما قال تعالى : (لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ) ٤ **والشاهد قوله : (ماوردوها) أتى بصيغة الجمع المذكر العاقل ، فلو لم يكن لها شعور لكان المناسب (ماوردتها) ، لا ماوردوها ، ومثلها في الدلالة على شعور الجمادات قوله تعالى :(فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)** ٥ **ولم يقل : طائعات.**

وبالجملة شعور النباتات والجمادات قريب من ضروريات المذهب ، بل في هذه الأوقات لو أراد أحد أن يدعي الضرورة لأمكنه ، إذ عرض ولاية آل محمد صلوات الله عليهم على الأشجار والأحجار ، والأنهار والبحار ، والبراري والجبال ، والإعراض والجواهر ،

---

١. البحار للشيخ المجلسي ٦١ / ٤ ، روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان ، فقال النبي ﷺ: أتدرون فيما انتطحا ؟ فقالوا لا ندري ، قال لكن الله يدري وسيقتص بينهما ، وعلى عذا ، فإنما جعلت أمثالمافي الحشر والقصاص) البحار للشيخ المجلسي ٧ / ٢٥٦

٢. سورة الكهف آية (٤٩)

٣. سورة الأنبياء آية (٩٨)

٤. سورة الأنبياء آية (٩٩)

٥. سورة فصلت آية (١١)

وصل إلى حد التواتر المعنوي ، ومنكره مكابر مكابد ، وحملها على المجاز بعيد عن طريق العقلاء ، بل مواضع في الأخبار حملها على المجاز يبطل المدعى ، ويستلزم الكذب العياذ بالله .

وشرحنا هذا المطلب في سائر رسائلنا وأجوبة المسائل ، وهذا المقام مما نلاحظ فيه الاختصار ، خوفا من الملال والكلال.

الفصل الرابع

{ القصاص للجمادات والأشجار في الدنيا }

الفصل الرابع

{ القصاص للجمادات والأشجار في الدنيا }

القصاص من الجمادات والأشجار يكون في دار الدنيا ، كما تدل عليه الأخبار الكثيرة ، كخبر افتخار ماء زمزم على الفرات ، فأجرى الله سبحانه فيه عيناً من الصبر المر . كما روي في الكافي قال : عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن جعفر بن محمد الأشعري ، عن ابن القداح ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : دعا رجل بعض بني هاشم إلى البراز فأبى أن يبارزه ، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) : (ما منعك أن تبارزه ؟ قال : كان فارس العرب ، وخشيت أن يغلبني ، فقال له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فإنه بغى عليك ، ولو بارزته لغلبته ، ولو بغى جبل على جبل لهد الباغي) [١] ، ونحوها.

وأما وجه قصاص الجمادات والأشجار في دار الدنيا ، فهو أنه ليس لها اختيار كلي قوي ، حتى ينتظر إلى يوم القيامة بل اختيارها جزئي بحيث لا يحسن ، وليس لادراك الجزئي رتبة من نوع الآخرة .

وأما عقوبة الأجسام (الأصنام) وإن كانت جزئية ، أيضاً مع ذلك أخرت إلى يوم القيامة ، لخذلان من عبدها وافتضاحهم ، وإتمام الحجة عليهم.

---

١. الكافي للشيخ الكليني ٥ / ٣٥ ، ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ٢٧٥ ، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ / ١٦٩

الفصل الخامس

{نطق الجوارح يوم القيامة }

الفصل الخامس

{نطق الجوارح يوم القيامة }

من جملة الأمور التي يجب الاعتقاد بها ، نطق الجوارح ، حتى تشهد على صاحبيها من المكلفين بما عملوا بها ، قال تعالى ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [١] والأخبار الكثيرة واردة في أن البقاع والارضين تشهد يوم المحشر ، بما عملوا عليها ، والأيام والساعات والشهور والسنين تشهد بما عملوا فيها ، [٢] والعقل السليم الصحيح مؤيد لهذا المدعى ، فإذا طابق العقل والنقل في ثبوت أمر وجب الاعتقاد بثبوته .

---

١. سورة النور آية (٢٤)

٢ . تفسير الإمام العسكري : قال رسول الله ﷺ: أما إن الله عز وجل كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم فكذلك قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم ، فلله عز وجل على كل عبد رقباء من كل خلقه ومعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ويحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله وألفاظه وألحاظه ، والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له أو عليه ، والليالي والأيام والشهور شهوده عليه أو له ، وسائر عباد الله المؤمنين شهوده عليه أو له ، وحفظته الكاتبون أعماله شهود له أو عليه ، فكم يكون يوم القيامة من سعيد بشهادتها له ، وكم يكونوا يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه ، إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة عباده أجمعين وإماءه فيجمعهم في صعيد واحد ، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي ، ويحشر الليالي والأيام ، ويستشهد البقاع والشهور على أعمال العباد ، فمن عمل صالحا شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوده وأعوامه وساعاته وأيامه وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيسعد بذلك سعادة الأبد ، ومن عمل سوءا شهدت عليه جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وليالي الجمع وساعاتها وأيامها فيشقى بذلك شقاء الأبد ، فاعملوا ليوم القيامة وأعدوا الزاد ليوم الجمع - يوم التناد - وتجنبوا المعاصي فبتقوى الله يرجى الخلاص ، فإن من عرف حرمة رجب وشعبان ووصلهما بشهر رمضان بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ٧ / ٣١٥ - ٣١٦

الفصل السادس

{تطاير الكتب يوم القيامة }

الفصل السادس

{تطاير الكتب يوم القيامة}

ومن جملة ما يجب اعتقاده تطاير الكتب ، وكيفيته أن الإنسان إذا مات ووضع في قبره ولحده ، دخل عليه ملك يسمى رومان ، قبل مجيء منكر ونكير ، ويجلس ذلك الميت ويقول له : اكتب عملك فيقول الميت : قد نسيت أعمالي . فيقول الملك أنا أذكرك . ويقول الميت : ليس عندي قرطاس أكتب عليه فيقول الملك : بعض كفنك قرطاسك . يقول الميت : ليس لي دواة ، فيقول الملك ريق فمك ، يقول الميت : ليس لي قلم ، فيقول الملك : اصبعك ، فيملي الملك عليه جميع ما عمله من الأعمال الكبيرة والصغيرة ، ثم يجعل تلك القطعة كالقلادة في عنق الميت ، فيكون أثقل عليه من جبل أحد ، وهذا معنى قوله تعالى :﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [١] .

فإذا كان يوم القيامة طارت تلك الكتب ، فمن كان عمله حسناً يأتيه كتابه من قدامه بيده اليمنى ، ومن كان عمله سيئاً يأتيه كتابه من خلفه ، ويثقبه ويخرج من صدره ، ويكون بيده اليسرى ، فتقف الخلائق جميعاً صفوفاً بين يدي كتاب الله الناطق ، وإمامه صلوات الله عليه ، وهو كتاب من تعرض عليه أعمال الخلائق .

١. سورة الإسراء آية (١٣)

ثـم ينطـق عليهـم كتـاب الله الناطق بكلام واحد ، فينظر كل واحد منهـم إلى كتابه الذي بيده ، ويرون أعمالهم التي يقرؤها عـليهم ، لا تزيـد ولا تنقـص ، ولـيس فيهـا خـلاف بوجه ، والحال أن ذلك القول واحد ، كـما قـال تعـالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ١ ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٢ فـالمراد مـن الكتـاب فـي الآيـة الشريفة هـو أمـير المؤمنين صلـوات اللـه وسلامه عليه ، وأعمال الخلائق في دار الدنيا ، في كل يوم بعد رسـول الله ﷺ تعرض عليه ، ويوم القيامة إذا حمل لواء الحـمد ، الذي هو مخصوص برسول الله ﷺ ينطق بكلام واحد ، بإذن رسول الله ﷺ .

---

١. سورة الجاثية آية (٢٨)

٢. سورة الجاثية آية (٢٩)

الفصل السابع

{الاعتقاد بالميزان يوم القيامة }

الفصل السابع

{الإعتقاد بالميزان يوم القيامة }

ومن جملة الأمور التي يجب الاعتقاد بها ، اعتقاد الميزان لأعمال الخلائق ، واختلف في حقيقته ، لاختلاف الأخبار ، وأقوال العلماء الأخيار ، فالمروي في بعض الأخبار: إن الميزان هو الكفتان كالميزان المتعارف ، وفي بعضها : ولاية آل محمد عليهم السلام ، وفي بعضها : هو عدل الله سبحانه ، لأنه هو العالم بمقادير الأعمال والاستحقاقات الراجحة والمرجوحة.

والحق هو عدم التنافي بينها ، إذ الميزان صاحب الكفتين ، كفة الحسنات وكفة السيئات ، وهما عين ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهما بعينه عدل الله سبحانه ، وليس هذه الرسالة محل وجه الجمع والدليل ، فالذي يجب الإعتقد به ، أن يوم القيامة تنصب الموازين لامتياز أعمال الخلائق ، وأما تعيينه فليس بواجب ، وهو راجع إلى كمال المعرفة .

والدليل على وجود الميزان قوله تعالى ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [1] ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [2]

---

١. سورة الأنبياء آية (٤٧)

٢. سورة الأعراف آية (٨ – ٩)

الفصل الثامن

{الاعتقاد بوجود
الصراط يوم القيامة }

الفصل الثامن

{الإعتقاد بوجود الصراط يوم القيامة }

ومن جملة الأمور التي يجب اعتقادها وجود الصراط ، وهو الجسر المنصوب على متن جهنم ، صعوده ألف سنة ، ونزوله ألف سنة ، وحذاله ألف سنة [١]، وفي حذاله خمسون عقبة ، وفي كل عقبة تقف الخلائق ألف سنة ، وهو أحد من السيف وأدق من الشعر ، ويعرض ويتسع للمطيع ما بين السماء والأرض ، ويضيق للعاصي ويكون أدق من الشعر ، وتمر الخلائق عليه بحسب أعمالهم ، متفاوتي المراتب ، بعضهم يمر عليه كالبرق الخاطف ، وبعضهم كعدو الفرس ، وبعضهم كالماشي بلا راحلة ، وبعضهم على الركب يجرون أنفسهم، وبعضهم معلقين تأخذ النار شيئاً منهم ، وبعضهم متروكين.

والذي يجب على المكلف اعتقاده هو وجود الصراط يوم القيامة ، وأنه أحد من السيف وأدق من الشعر ، وأنه جسر منصوب ممدود على جهنم ، وأن جميع المكلفين يمرون عليه ، وأما معرفة كيفية الصراط ، ومعنى الصعود والنزول ، والمراد من هذه المراتب ، فليس بواجبة ، والدليل على ماذكر الأخبار المتواترة معنى من الفريقين ، وإجماع المسلمين .

١. الحَذل والحُذال : مستدارذيل القميص ، فحذال الصراط هي الجهة العليا المستديرة

الفصل التاسع

{الاعتقاد بوجود حوض الكوثر والشفاعة يوم القيامة }

الفصل التاسع

{ الإعتقاد بوجود حوض الكوثر والشفاعة يوم القيامة }

ومن جملة الأمور التي يجب اعتقادها وجود حوض الكوثر في عرصة يوم القيامة ، ويصب فيه الماء من نهر الكوثر ، وساقيه مولانا وإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام ، يسقي المؤمنين ويروي عطاشاهم منه يوم القيامة ، اللهم ارزقنا .

ومن جملة تلك الأمور أيضاً الشفاعة ، وهي شفاعة رسول الله ﷺ لأهل المعاصي الكبائر من أمته ، كما قال (ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [1] والأخبار بهذا المعنى متواترة متظافرة متكاثرة ، أو شفاعة النبي ﷺ للأنبياء وأهل بيته ، ثم الأنبياء يشفعون لمن آمنوا بهم من أممهم ، والأئمة يشفعون لشيعتهم ، وشيعتهم يشفعون لمحبيهم .

والذي يجب اعتقاده هو ثبوت شفاعة محمد ﷺ للمذنبين من أمته ، وأما التفصيل والترتيب فلا يجب ، وإنما هو وإقامة الدليل عليه من متممات الإيمان ومكملات المعرفة .

---

١. النكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد ٥٤

الفصل العاشر

{ الاعتقاد بالجنة وطبقاتها الثمان }

الفصل العاشر

{ الإعتقاد بالجنة وطبقاتها الثمان }

ومن جملة الأمور التي يجب اعتقادها وجود الجنة ، وما فيها من النعيم الدائم ، وإنها ثمانية كما تصرح بها الأخبار ، وينطق بها القرآن المجيد ، ووجود جنة الدنيا ، وهي التي تجتمع فيها أرواح المؤمنين بعد مفارقتها من الأبدان ، وتستقر فيها إلى نفخ الصور .

والله عز وجل ذكر كلتي الجنتين ، الدنيا والآخرة في كلامه المجيد : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾[1] هذه جنة الدنيا ، إذ جنة الآخرة ليست فيها بكرة ولا عشية . وبعد هذه الآية بلا فاصلة قوله تعالى ﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾[2] هذه جنة الآخرة .

واعلم أن لها ثمان طبقات.

الأولى : جنة الفردوس.

الثانية : الجنة العالية.

الثالثة : جنة النعيم.

الرابعة : جنة عدن .

الخامسة : جنة دار السلام.

السادسة : جنة دار الخلد.

السابعة : جنة المأوى.

الثامنة : جنة دار المقام.

---

١. سورة مريم آية (٦١ — ٦٢)

٢. سورة مريم آية (٦٣)

وكـل جنـة منهـا لهـا حضـيرة ، يعني لكـل جنـة مـن هـذه الجنـان الأصلية ظـل كالشـمس وأشـعتها ، ونسبة هذه الحضائر إلى الجنان الأصلية كالأشـعة إلى الشـمس ، ونعـيم كل حضيرة منسوب إلى أصلها ومنه .

والحضائر سبع ، إذ جنـة عـدن لـيس لهـا ظـل ، لصـفائها وغاية لطفهـا ، أمـا تـرى الشمس إذا أشرقت إلى المرآة لها شعاع ونور مشعشع يخرج منها وينـعكس ، وإن أشرقـت إلى جسم ألطف من المرآة لم يظهر منه نور .

فطبقـات الجنـة في الآخرة تكون خمسة عشر ، ثمانيـة منهـا أصـلية ، كـل جنـة فـوق سماء ، والطبقة الثامنة فوق الكرسي ، وسبعة منها فروع وحضائر ، وهـي تحـت الجنـان الثمانية، ونعيمها أقل من نعيم أصولها ، وفي الخبر أنـه يسـكنها ثلاثة طوائف من الخلائق.

الأولى : مؤمنوا الجن

الثانية : أولاد الزنـا الذين آمنوا وعملوا صالحاً ، وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن

الثالثـة : المجانين الذين ماجرى عليهم التكليف ، ولم يشفع لهـم أحـد مـن أقـاربهم ، حتى يلحقوا بهم.

وأسـماء الحضـائر هـي أسـماء الجنـان الأصـلية كالشـمس ، هـي في السـماء الرابعـة ونورهـا فـي الأرض ، يسـمى باسـمها فـي السماء . فالواجب وجوب اعتقاد الجنة ونعيمها.

وأمـا التفصيـل المذكـور فـلا يجب ، والدليل على وجودها القرآن ، والأخبار المتواترة، وإجماع المسلمين .

الفصل الحادي عشر

{ الاعتقاد بوجود النار وطبقاتها السبع }

الفصل الحادي عشر

{ الإعتقاد بوجود النار وطبقاتها السبع }

ومن جملة ما يجب اعتقاده على المكلفين وجود جهنم ، وما فيها من العذاب الأليم ، وهي سبع طبقات في الآخرة ، وسبع طبقات في الدنيا .

وجهنم الدنيا عند مطلع الشمس ، والقرآن ناطق به في مواضع عديدة ، قال سبحانه : ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[1] ولاشك أن هذه نار جهنم الدنيا ، إذ الآخرة كما ذكرنا ليس لها غدو وصبح وعشاء ، وقال سبحانه بعد هذه الآية الشريفة : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾[2] ولاشك أن عذاب يوم القيامة غير عذاب الدنيا.

واعلم أن القرآن ، وأخبار أهل العصمة ، وإجماع المسلمين ، متفقة على وجود جهنم بقول مطلق ، لكن اختلفوا في كيفيتها ، هل هي موجودة بالفعل أو بالقوة ؟ أو أن كليات العذاب والجحيم موجودة ، وأما جزئياتها فليست بموجودة بالفعل ، وإنما توجد بالتدريج ؟

١. سورة غافر آية (٤٥ – ٤٦)
٢. سورة غافر آية (٤٦)

والحق أن هذا الاختلاف باطل . والاعتقاد الصحيح هو أن نار الدنيا وجهنمها ، وجهنم الآخرة ونارها موجودة بالفعل ، كما أن القرآن والأخبار ، لاسيما أخبار المعراج تدل عليه صريحا ، والنبي ﷺ دخلها وشاهد المعذبين فيها.

والذي يجب اعتقاده وجود جهنم وعذابها ، ويجب أيضاً اعتقاد أن عذاب جهنم الآخرة أبدي دائمي لانقطاع له ، ولا انتهاء بوجه من الوجوه ، بل كلما طال مكثهم فيها زاد عذابها واشتد ألمها ، كما يدل عليه القرآن ، وأخبار أهل العصمة صريحاً ، ودليل العقل حاكم به كما ذكر في محله .

واعلم أن جهنم الآخرة أربعة عشر طبقة ، سبعة منها أصلي :

الأولى : جحيم وهي أعلاها مرتبة.

الثانية : لظى

الثالثة : سقر

الرابعة : حطمة

الخامسة : هاوية

السادسة : سعير

السابعة : جهنم

وهي لها ثلاث طبقات : الأولى : الفلق وهو بئر فيه توابيت .

الثانية : الصعود وهو جبل من صفر من نار في وسط جهنم .

الثالثة : الآثام وهو واد من الحديد الذائب الجاري في أطراف الجبل.

وأما حضائر ظل النيران ، فيعذب فيها من ارتكب المعاصي الكبيرة من الشيعة ، الذين لم تنلهم الشفاعة ، فاستحقوا جهنم .

الفصل الثاني عشر

{ دوام نعيم الجنة للمؤمنين ودوم عذاب جهنم للكافرين }

الفصل الثاني عشر

{ دوام نعيم الجنة للمؤمنين ودوم عذاب جهنم للكافرين }

يجب أن يعتقد أن أهل الجنة دائماً مخلدون في الجنة ، ويتنعمون دائماً ، والله سبحانه أكرمهم بعطاء وكرامة لانقطاع لها ، ونعمها دائمة بدوام أمر الله تعالى ، ليست لها غاية ولانهاية ، ولايخرجون منها أبد الآبدين في نعمة وسرور ، وراحة وعزة وكرامة ، ويشهد له الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، والشاك فيه كافر.

ويجب الاعتقاد بأن أهل جهنم مخلدون في النار ، ودائماً معذبون ، ولايخفف عنهم العذاب ، ولايموتون حتى يستريحوا ، قال تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ١ وقال أيضا : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ ٢ وقال أيضا : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ ٣ .

ويشهد على هذا المعنى كتاب الله ، وسنة رسوله والأئمة الطاهرون ، وإجماع المسلمين ، ولا اعتناء بمخالفة بعض الصوفية ، وبعض الآراء المنحرفة ، ولا الالتفات

---

١. سورة البقرة آية (١٦٢)

٢. سورة فاطر آية (٣٦)

٣. سورة النساء آية (٥٦)

بأقوالهم الباطلة [1] ، بعد شهادة كتاب الله وسنة رسوله ، المجمع عليها وتصريحها بذلك ، ونحن أقمنا الأدلة القطعية العقلية الجلية عليه في بعض أجوبة مسائلنا.

---

١. قال ابن عربي في كتابه فصوص الحكم (وأما أهل النار ، فمآلهم إلى النعيم ، لكن في النار أزلا ، إذ لا بد لصورة النار ، بعد انتهاء مدة العقاب أن يكون بردا وسلاما ، على من فيها ، وهذا نعيمهم) شرح الفصوص لمحمد بن داوود قيصري الرومي ٩٨٤ .

قال الملا صدرا الشيرازي في الأسفار تبعا لأبن عربي وملقبه بالعارف المحقق ما نصه (أما أهل النار فلا شبهه في تجدد أحوالهم وتبدل جلودهم واستحالة أبدانهم وتقلبها من صوره إلى صوره لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وذلك لان طبائعهم من القوى الجسمانية المادية لما مر ان دار الجحيم من جنس هذه الدار وقد سبق ان أفاعيل القوى المادية وانفعالاتها متناهية فلا بد فيها من انقطاع وتبدل ثم لا بد في تبدل الأبدان واستحالة المواد من حركه دورية صادره عن أجسام سماوية محيطه بأجسام ذوات جهات متبائنة كائنة فاسده فيكون الحكم في أهل النار بحسب ما يعطيه الامر الإلهي بما أودعه من القوة المحركة في الجرم الأقصى الجابرة إياه على حركاته والكواكب الثابتة في سياحة الدراري السبعة المطموسة الأنوار كلها يوم الآخرة فهي كواكب لكنها ليست بثواقب ولا مضيئه ولها تأثيرات في خلق أهل النار بفنون من العذاب وصنوف من العقاب بحسب ما يقتضيه سوابق أعمالهم ومبادئ أفعالهم واعتقاداتهم ونياتهم ولهذا حكم أهل المعرفة والشهود بان حكم النار وأهلها قريب من حكم الدنيا وأهلها ولهذا ليس لأهل النار الذين هم من أهلها بعد استيفاء مده العذاب وانقضاء زمان العقاب نعيم خالص ولا عذاب خالص وحالهم بين الحياة والممات كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى وهذا بعينه حال أهل الدنيا فان نعيم الدنيا ممزوجة بالمحنة والبلاء وحياتها مشوبة بالموت والسبب في ذلك أنه بقي فيهم ما أودع الله فيهم من آثار حركات الأفلاك و لم يقع لهم توفيق الخروج من حكم الطبيعة وتأثيرها فلا جرم لم ينجو من عذاب النار وان تغيرت منهم الصورة وتبدلت لهم النشأة على قدر ما تغير وتبدل من صور الأفلاك والكواكب من التبديل والطمس والانكدار كما قال تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك واما أصحاب الجنة فليس لهم هذا التبدل والاستحالة والكون والفساد لارتفاع نشأتهم عن نشأة الطبيعة واحكامها فحركاتهم وأفاعيلهم نوع آخر ليس فيها نصب ولا تعب ولا في أعمالهم من لغوب لان حركاتهم واعمالهم ليست بدنية بل هي كخطرات الوهم ولحظات الضمير منا هاهنا حيث لا تعب ولا كلال ولا نصب ولا فتور يعتريها لان السماوات وحركاتها مطوية في حقهم لأنهم من أصحاب اليمين ولهم مقام فيه يكون طي الزمان والمكان فزمانهم زمان يجتمع فيه الماضي والمستقبل من هذا الزمان ومكانهم مكان يحضر في خدمته جميع ما تسعه السماوات والأرض ومع ذلك يكون جنه الأعمال ونعيمها من المحسوسات بلا شبهه الا انها وان كانت محسوسة لكنها ليست طبيعية مادية بل صورها صور ادراكية وجودها العيني عين محسوسيتها وكل ما فيها نفساني الوجود مجرد عن نشأة الدنيا والطبيعة والهيولي المستحيلة الكائنة الفاسدة ومع ذلك يقع في عالم الجنان التجددات في تكوين الصور الجنانية لا من أسباب مادية بل جهات فاعليه نفسانية وشؤونات إلهية بحكم كل يوم هو في شان وقد ثبت ان أصل التغيرات في الآفاق انما نشأت من عالم الأنفس ونشأة الجنان نشأة النفوس ففيها الأكوان النفسانية .

قال العارف المحقق في الفتوحات المكية في الباب السابع والأربعين منها فلا تزال الآخرة دائمه التكوين فإنهم يقولون في الجنان للشئ الذي يريدونه كن فيكون فلا يتمنون فيها أمرا ولا يخطر لهم خاطر في تكوين امر الا ويتكون بين أيديهم وكذلك أهل النار

لا يخطر لهم خاطر خوفا من عذاب أكبر مما هم عليه الا ويكون فيهم ذلك العذاب وهو خطور الخاطر فان الدار الآخرة تقتضي تكوين الأشياء حسا بمجرد حصول الخاطر والهم والإرادة والشهوة كل ذلك محسوس وليس ذلك في الدنيا أعني الفعل بمجرد الهمة لكل أحد انتهى كلامه ومن عرف كيفية قدره الله في صنع الخيال وما تجده النفس بل توجده بإذن الله من صور الأجرام العظيمة والأفلاك الجسمية الساكنة والمتحركة والبلاد الكثيرة وخلائقها وأحوالها وصفاتها في طرفة عين هان عليه التصديق) الأسفار للملا صدرا الشيرازي ٥ / ٣٨٠ .

انظر بعين البصيرة والشرع هل ترى فيما قالا صلة بالدين ؟ والحق يقول بأوضح بيان في الرد على الكافرين بقوله (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله وعهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون) وقال تعالى (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)

الفصل الثالث عشر

{وجوب الاعتقاد بجميع
ما جاء به النبي الأكرم }

الفصل الثالث عشر

{وجوب الإعتقاد بجميع ما جاء به النبي الأكرم }

يجب الاعتقاد بجميع مانطق به القرآن المجيد ، وأتى به خاتم النبيين ، وسيد المرسلين محمد بن عبدالله ﷺ للخلق ، من علم القيامة ، وسؤال منكر ونكير ، من ماحض الإيمان وماحض الكفر في القبر ، والحشر والنشر ، في المرصاد وهو قنطرة من الصراط ، تؤدى فيها مظالم العباد ، وكذا الختم على الأفواه ، ونطق الجوارح ، والجنة ومافيها من الاكل والشرب والنكاح وأقسام النعيم ، ومن أحوال جهنم وعذابها وغلها وسلاسلها وسرابيلها ومقامعها من حديد ، والحميم والزقوم ، وغسلين وغير ذلك ، وأن القيامة تقوم قطعاً لاشك فيه ، والله سبحانه يحيي كل من في القبور للحساب والجزاء .

خـــاتمة

وفيهـا فصـول

الفصل الأول

{ ذكر العلامات قبل قيام القائم (عج) }

الفصل الأول

{ ذكر العلامات قبل قيام القائم (عج) }

من الأمور التي لابد للمؤمن أن يدين بها الاعتقاد برجعة محمد وأهل بيته الطاهرين ﷺ أجمعين.

ومختصر المقام : أن سنة خروج الحجة بقية الله عجل الله فرجه وظهوره ، يقع فيها قحط شديد ، وتمطر في عشرين من جمادى الأولى مطر شديد ، بحيث لم يقع مثله من يوم آدم إلى ذلك الوقت ، ويتصل المطر من عشرين جمادى الأولى إلى أول رجب ، فتنمو لحوم أشخاص ، يحييهم الله سبحانه ، ويرجعهم إلى الدنيا ، فيتصل بعضها ببعض ويتم الجسد.

وفي اليوم العاشر من رجب ، يخرج الدجال من أصفهان ، والسفياني عثمان بن عنبسة ، أبوه من ذرية عتبة بن أبي سفيان ، وأمه من ذرية يزيد بن معاوية ، يخرج من الرملة في الوادي اليابس ، ويظهر في شهر رجب في قرص الشمس جسد مطهر أمير المؤمنين عليه السلام ، بحيث يعرفه كل أحد . وينادي شخص في السماء باسم ذلك المعصوم المبارك المطهر ، وفي أواخر شهر رمضان ينخسف القمر ، وفي نصفه تنكسف الشمس ، وفي أول الصبح من ثلاثة وعشرين من شهر رمضان ينادي جبرائيل في السماء (ألا إن الحق مع علي وشيعته) ،

وفي أخر الشهر ينادى من الأرض (ألا إن الحق مع عثمان الشهيد وشيعته) [١] ويسمع الخلائق الصوتين ، يفهم كل بلغته ، فحينئذ تتقوى شبهة أهل الباطل ، فإذا كان يوم خمس وعشرين من ذي الحجة تقتل فيه النفس الزكية ، اسمه محمد بن الحسن بين الركن والمقام ، بظلم وجور .

وفي يوم الجمعة عاشر محرم يظهر نور الله الأكبر ، صاحب الزمان عجل الله فرجه، ويدخل المسجد الحرام ، وبين يديه ثماني عنيزات عجاف يسوقها ، ويقتل الخطيب على المنبر.

١ . روى يحيى بن أبي طالب ، عن علي بن عاصم ، عن عطاء بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي ، ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذابا كلهم يقول : أنا نبي الفضل بن شاذان ، عمن رواه ، عن أبي حمزة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفياني من المحتوم ؟ قال : " نعم ، والنداء من المحتوم ، وطلوع الشمس من مغربها محتوم ، واختلاف بني العباس في الدولة محتوم ، وقتل النفس الزكية محتوم ، وخروج القائم من آل محمد محتوم ، قلت له : وكيف يكون النداء ؟ قال : " ينادي مناد من السماء أول النهار : ألا إن الحق مع علي وشيعته ، ثم ينادي إبليس في آخر النهار من الأرض : ألا إن الحق مع عثمان وشيعته ، فعند ذلك يرتاب المبطلون) الإرشاد - الشيخ المفيد - ٢ / ٣٧١ – ٣٧٢ ، المستجاد من الإرشاد للعلامة الحلي ٢٥٨

الفصل الثاني

{ أحداث الإمام الحجة (عجل) في مكة وسائر البلاد }

الفصل الثاني

{ أحداث الإمام الحجة (عجل) في مكة وسائر البلاد }

فإذا قتل الخطيب غاب عن الناس ، ودخل الكعبة ، فإذا كان الليل صعد على سطحها ، ونادى أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر ، فاجتمعوا عنده في أقل مدة ، من المشرق والمغرب .

وإذا كان صبح يوم السبت دعا الناس لبيعته ، فأول من يبايعه طائر أبيض هو جبرائيل ، ويبقى في مكة إلى أن يجتمع عنده عشرة آلاف نفر ، والسفياني يرسل عسكرين : أحدهما إلى الكوفة ، والآخر إلى المدينة ، فيدخل عسكره الميشوم إلى المدينة ، ويخربون القبر الشريف المطهر ، وتروث بغالهم وخيلهم في مسجد رسول الله ﷺ .

ثم يرسل عسكراً آخر إلى مكة المشرفة لهدم الكعبة . فإذا وصل إلى البيداء ، التي قريب مكة ، خسفت بهم الأرض وهلكوا جميعاً ، ولا ينجوا منهم إلا اثنان : بشير ونذير .

يمضي النذير إلى السفياني ، ويخبره بهلاك عسكره ، والبشير إلى القائم عجل الله فرجه ، ويبشره بهلاك العسكر.

ثم يتوجه روحي فداه إلى المدينة ، ويخرج الجبت وطاغوت هذه الأمة من قبريهما ويصلبهما ، ثم يلتفت ويعطف عنان عزمه إلى العراق وسائر البلدان ، ويقتل الدجال ،

ويلاقي السفياني ، فيبايعه السفياني ، ثم تلومه أصحابه وأقرباؤه على بيعته وإسلامه ، ويقولون له : إنا لانوافقك على هذا الأمر أبداً ، ويغوونه متصلاً ، حتى يخرج عليه عجل الله فرجه .

ثانيا : فيقتله روحي فداه ، ويقتل عسكره ويفرقهم ، ثم يوجه العساكر إلى الأقطار والأطراف ، إلى أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

الفصل الثالث

{ عاصمة دولة الإمام المهدي (عجل) الكوفة }

الفصل الثالث

{ عاصمة دولة الإمام المهدي (عجل) الكوفة }

ثم يستقر روحي فداه في الكوفة ، ويكـون محـل عيالـه وحرمـه وأهلـه (في مسـجد السـهلة) ، ومحل حكمه وقضائه مسجد الكوفة ، ومدة ملكه سبع سنوات ، لكـن يطـول (الله سبحانه) الليـل والنهار ، حتى يكون كل سنة بقدر عشر سنين ، إذ يأمر اللـه سـبحانه الفلـك ببطء السير ، وعدم السرعة في أيام ملكه ، حتى تكون مدة ملكه سبعين سنة ، من هذه السنين.

فإذا مضـى مـن مـدة حكومتـه وسلطنته تسع وخمسون سنة ، خرج مولانا وسـيدنا الحسين عليه السلام مع اثنين وسبعين شهداء كربلاء أصحابه ، وملائكة نصرته ، الذين هم شعث غبر عند قبره المطهر وحوله .

فإذا انقضـت مـدة ملك القائم عجل الله فرجه سبعون سنة ، واستشهد - روحـي فـداه - وقتلته امرأة من بني تميم ، اسمها سعيدة ، ولهـا لحيـة كلحيـة الرجـال ، بجـاون مـن صخر ، لما يمر عليها ، وهي على سطح دارها ، فتضربه بـذلك الجـاون وتقتلـه ، قـام بـالأمر مولانـا الحسين عليه السلام ، وجهزه روحي فداه.

ثم يحشر يزيد بن معاوية ، وعبيدالله بن زياد ، وعمر بن سعد ، ومن كان معهـم فـي عرصة كربلاء ، ومن رضي بأفعالهم القبيحة ، من الأولين والآخرين ، فيقتلهـم جميعـاً الحسـين

عليه السلام ، ويقتص منهم ، ويقتل المنافقين ومحبيهم ، حتى تجتمع عليه الأشرار والكفار من الأطراف من كل جهة ، ويغلبونه ويحصرونه في بيت الله الحرام .

فإذا اشتد الأمر به ، خرج عند ذلك السفاح أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام ، مع الملائكة لنصرة ولده العزيز ، فيقتل مع الملائكة أعداء الدين ورؤساء المنافقين ، ثم يبقى ويمكث مع ولده مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين مدة ملك أصحاب الكهف ، ويقوم الحسين عليه السلام بدين الله وأمره ، ومدة ملكه خمسون ألف سنة حتى يشد حاجبيه الشريفين بعصابة من شدة الكبر .

ويبقى أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته أربعة آلاف ، أو ستة آلاف ، أو عشرة آلاف سنة ، على اختلاف الروايات

الفصل الرابع

{ رجعة أهل البيت عليهم السلام إلى الدنيا }

الفصل الرابع

{ رجعة أهل البيت عليهم السلام إلى الدنيا }

ثـم يرجـع أمـير المؤمنين عليه السلام إلى الدنيا مع جميع شيعته ، لأنه سلام الله عليه يقتـل مرتين ، ويحيى مرتين كما قال : (أنا الذي أقتل مرتين ، وأحيى مرتين ، ولي الكرة بعد الكرة ، والرجعة بعد الرجعة) [1] .

والأئمـة أيضاً كلهم سلام الله عليهم حتى القائم روحي فداه يرجعون إلى الدنيا ، لأن لكل مؤمن قتلة وموتة ، وهو عجل الله فرجه لما استشهد يرجـع حتـى يجـري عليـه حكـم الموت.

ويجتمع إبليس وجـميع أتباعـه فـي الروحـا قـريب الفرات ، وتقع المحاربـة بيـن الطـرفين ، فيغلـب جند إبليس أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، ويرجعون القهقرى حتى يقـع منهم جمع كثير في الفرات ويغرقون ، فعنـد ذلك يظهر تأويل قوله تعالى : ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ [2]

١. الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب للشيخ علي اليزدي ٢ / ١٤٦ ، مشارق أنوار اليقين للشيخ الحافظ رجب البرسـي ٢٠٧ ، الإيقاظ من اللهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي ٣٤٦ .

٢. سورة البقرة آية (٢١٠)

فينزل (رسول الله) ﷺ وبيده حربة من نار ، ولما يراه إبليس يشق الصفوف ويفر منهزماً ويقول : له أصحابه إلى أين تفر ولنا النصر ؟ فيقول : إني أرى مالا ترون .

فيضربه ﷺ في ظهره بتلك الحربة ، فتخرج من صدره ويقع ميتا ، ثم يقتل المؤمنون جميع أصحابه وأتباعه حتى لايبقى منهم واحد ، فعند ذلك يعبد الله سبحانه وتعالى في وجه الأرض ، ولم يجعل له شريك أبداً.

ويعيش المؤمن لا يموت حتى يولد له ألف ولد ذكر ١ ، والثياب التي ألبسوه عند ولادته تنمو مع الطفل ، كلما كبر طالت الثياب معه ، ولون الثياب بميله وإرادته ، أي لون شاء ينقلب تلك الساعة بذلك اللون.

وتظهر بركات الأرض ، ويأكلون فواكه الصيف في الشتاء ، وفواكه الشتاء في الصيف ، وإذا وقعت ثمرة من الشجرة إلى الأرض تنبت دفعة في محلها ثمرة أخرى ، وتظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وحولها .

فإذا أراد سبحانه إنفاذ حكمه في خراب العالم ، رفع رسول الله ﷺ وأوصياءه الطيبين الطاهرين من بين الخلق إلى السماء ، فيبقى الخلائق بعد رفعهم من بينهم أربعين يوماً في هرج ومرج ، كالمجانين ولايفقهون شيئاً ، إلى أن ينفخ اسرافيل في صوره ، وما ذكرناه من أحوال الظهور ، والرجعة مستفاد من جملة من الأخبار.

---

١. الموجود في كتاب أصول العقائد (ويعيش المؤمن ولا يموت حتى يرى من صلبه ألف ذكر ويولد له ألف ذكر) والصحيح ما هو مذكور في كتاب حياة النفس لأستاذه الشيخ أحمد الإحسائي ما نصه (ويعيش المؤمن لا يموت حتى يولد له ألف ولد ذكر) بينما ما هو موجود في أصول العقائد فيه تكرار لا حظ العبارتين .

ولابـد للمـؤمن مـن اعتقـاد رجعـتهم إلى الـدنيا ، ولايشـك فيـه مـن آمـن بتلـك الأخبار، والوجـه فـي عدم قولنا بالوجوب ، خلاف بعض العلماء ، حيث حكمـوا بـأن المـراد من الرجعة رجوع دولة وقيام القائم عجل الله فرجه ، لا رجـوع الأشـخاص بعـد المـوت ، والحـق الـواقع أن رجـعتهم حق بنص الأخبار المتكـثرة ، ولـو لم يكن في المقام دليل غير إنكـار المخالفين لكفانا وحده في حقيقة المراد ، إذ الرشد والحق في خلافهم [١] .

١. للشيخ الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين رضوان الله عليه كتاب مستقل اسمه الرجعة من أراد التفصيل فليراجع .

الفصل الخامس

من جملة ما يلحق بأصول الدين
الكلام في الآجال والأرزاق والأسعار

الفصل الخامس

من جملة مايلحق بأصول الدين
الكلام في الآجال والأرزاق والأسعار

{ الآجال }

أما الأجل فاعلم أنه عبارة عن وقت حدوث الشيء ، وأجل الموت عبارة عن انتهاء مدة البقاء في الدنيا ، وانتهاء ماقرره الله من الرزق والحياة وسائر التقديرات ، ويحصل هذا الأجل بالموت والقتل .

أما الموت فهو على قسمين : طبيعي ، وغير طبيعي .

أما الموت الطبيعي فهو مائة سنة ، أو ثمانون سنة ، أو مائة وعشرون سنة ، بناء على اختلاف الاحتمالات في الفصول الإنسانية ، فصل الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء ، إذ يحتمل أن يكون فصل ربيع الإنسان عشرين سنة ، أو خمسة وعشرين سنة ، أو ثلاثين سنة ، ولكل منها قائل وكذا سائر الفصول .

فالأجل يظهر عند انتهاء ماجرى به القلم الأعلى في اللوح المحفوظ من مدة بقائه في الدنيا ، ومن مدة أرزاق وإمدادات الدنيا ، وبالنسبة إلى الشخص من أنواع الأرزاق بحسب القابليات ، كالأكل ، والشرب ، واللباس ، والعلم والفهم .

فالشخص إن كان من ماحض الإيمان ، أو ماحض الكفر ، يبقى له مما قدر له في الدنيا في اللوح المحفوظ ، بقدر ماقدر له لبقائه عند قيام القائم عليه السلام مع الرجعة .

والأجل الذي يحصل بموت غير طبيعي ، فهو بحسب سبب يقتضي موته ، لأن المعصية قد تكون تمحو ماكتب للإنسان من الرزق والأجل ، فيموت فلا يبقى له من الأمور التي قدرت له ، إلا ما قدر لبقائه عند قيام القائم عجل الله فرجه ، إن كان ماحض الإيمان ، أو ماحض الكفر .

وأما الأجل الحاصل باعتبار القتل فأختلفوا فيه ، منهم من يقول يموت بأجله والقتل مطابق معه ، ومنهم من قال يموت قبل أجله بأربعين يوماً ، يعني لو لم يكن القتل لعاش أربعين يوماً ، ومنهم من قال إن الأمر مجهول لنا لانعلم أنه لو لم يكن القتل هل كان يعيش أو لا؟ ومنهم من قال غيرها ، والمستفاد من أخبار آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنه يموت قبل أجله، ولو لم يقتل لعاش في الدنيا مقدار سنتين ونصف يعني : ثلاثين شهرا .

{ الأرزاق }

وأما الرزق فهو خير ينتفع به صاحب الحياة في حياته ، وليس لغير الله سبحانه ، وغير رسول الله وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين ، أن يمنع الرزق من شخص صاحب الحياة.

فعلى هذا الحرام ليس برزق إذ ليس بخير ، والدليل عليه أخبار المعصومين الأئمة الطاهرين ، والقرآن العظيم قال تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون) [١] فمدحهم الله سبحانه

---

١. سورة البقرة آية (٣)

لانفاقهم من الرزق ، فلو كان الرزق حراماً لذمهم على إنفاقهم منه ، إذ هو تصرف في مال الغير بغير إذنه .

{ الأسعار }

وأما الأسعار :

فالرخص عبارة عن نزول قيمة الشيء ، عن السعر الذي جرت العادة عليه ، في وقت مخصوص ومكان مخصوص.

والغلاء : عبارة عن صعود الاقيام ، عما جرت العادة عليه ، في وقت مخصوص ومكان مخصوص .

وقال بعض : إن الرخص والغلاء قد يكونان من جانب الله سبحانه ، يقلل الأمتعة ، ويكثر رغبة الناس إليها ، فيكون الغلاء ، وقد يكون بالعكس فيكون رخص .

وقد يكونان من جانب الخلق ، كما إذا منع السلطان التجار جلب الأمتعة ومن شرائها فتغلوا ، أو يرخصهم لذلك ويمنع الاحتكار فترخص ، ويكون حينئذ وبال مايرد على الخلق من الآلام ، والهموم على الظالم.

والحق في المسألة : أن الرخص والغلاء كليهما بتقدير الله سبحانه ، وبحسب أعمال الخلق ، وبيانه أن الله سبحانه قد يكون يقلل الأمتعة ، أو أسباب وجودها ، كتقليل الأمطار ، وسبب هذا التقليل يكون أحد أمور ثلاثة :

الأول : العقوبة لبعض أهل المعاصي ، بما كسبوا فتنالهم العقوبة مع من معهم ، وإن لم يكونوا عصاة فتنالهم أيضاً ، بسبب أنهم كانوا مع أهل العقوبة قال الله سبحانه : ﴿ فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ ١ .

الثاني : الاختبار والامتحان كما قال تعالى حكاية عن سليمان ﴿ لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ٢ وكما قال أيضا : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ ٣ .

الثالث : هو رفع درجة الشاكرين على الرخاء والرخص ، ودرجة الصابرين على البلاء والغلاء ، إذ الدنيا سجن المؤمن .

والذي ذكرنا من تقليل أسباب وجود المتاع ، مرادي منه أسباب قابلية وجوده ككثرة الطالب ، وإيجاد من يشتري المتاع ، ويحتكره ويحبسه حتى يبيعه بقيمة زائدة على المعتاد، ومنع الأمطار ، وخوف الطرق ، وزيادة قطاع الطريق وأمثالها من الأمور ، حيث إن الله سبحانه يخلي ونفسه من يخالف محبته ، حتى تصدر منه أسباب المنع من المعاصي وظلم العباد وغيرهما ، وكل ما كان سبباً للغلاء علته التقصير في حق المعبود ، إن مقتضى كرم الله سبحانه الرخاء والرخص ، وخلاف للمقتضى علته وجود الموانع من تقصير قوابل المكلفين .

الحاصل إن قلت أن الرخص والغلاء من جانب الله سبحانه معناه ، أنه قدر أسبابه بتقصيرات المكلفين في الغلاء ، وبأعمال العباد في الرخص ، بعبارة أخرى عامل الله

---

١. سورة النساء آية (١٤٠)
٢. سورة النمل آية (٤٠)
٣. سورة البقرة آية (١٥٥)

سبحانه مع الخلق بعدله في الغلاء ، وبفضله وتجاوزه عن تقصيراتهم في الرخص ، فقد أصبت الحق ، واخترت طريق الصواب.

فالواجب على جميع العباد وعلينا الشكر له على جميع نعمائه ، والحمد على كرمه وآلائه ، والرضا في كل حال بقدره وقضاه ، إنه ولي الحسنات والمتجاوز عن السيئات ، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين ، أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

قد فرغ من الترجمة محرره ، في الساعة الرابعة ، من الليلة الثامنة عشر من شهر ربيع الثاني، سنة ألف وثلاثمائة وسبع وثلاثين من الهجرة ، على هاجرها ألف صلاة وتحية

المقالة الناصحة الزاجرة

بقلم آية اللّه العظمى المقدس
حجة الإسلام المولى الميرزا
علي الحائري الاسكوئي
قدس اللّه نفسه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقالة ناصحة زاجرة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على محمد المصطفى
وأهل بيته الطيبين الطاهرين الشرفاء

وبعد . فيقول الحقير الفاني (علي بن موسى الحائري) : أيها المسلمون المؤمنون؛ الذين يعتقدون بالبرزخ والمعاد ، والسؤال والحساب ، والميزان والصراط ، والذين يصدقون كلام الله تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [1] ويعتقدون بكلامه عز من قائل ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2] ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [3] .

هذا كتاب (أصول العقائد) للعلامة السيد كاظم الرشتي ((أعلى الله مقامه)) الذي ترجمه والدي المقدس ((أعلى الله مقامه)) إلى العربية في الأصول الخمسة ، ونظيره (حياة النفس) لأستاذه الأوحد الشيخ احمد بن زين الدين الا حسائي ((أعلى الله مقامه))

---

١. سورة ق آية (١٨)
٢. سورة الجاثية آية (٢٩)
٣. سورة يونس آية (٢١)

أيضا في الأصول الخمسة ، طالعوا هذين المؤلفين ، وانظروا ودققوا هل ترون فيهما مايخالف عقيدة المسلمين ولو بكلمة ؟ أو ينافي مايعتقده المؤمنون ولو بشعرة ؟ وأيم الله ماتجدون فيهما إلا مايوافق الكتاب والسنة ، وأخبر به ساداتنا الأئمة عليهم السلام ، واتفقت عليه كلمات علمائنا الحقة الامامية .

وهذان التأليفان كلما ذكر فيهما ، كلها من المحكمات ليس فيها شيء من المتشابهات، فارجعوا البصر فيهما هل ترون فيهما من فطور ، ثم ارجعوا البصر كرتين أو كرات سيرجع البصر خاسئا وهو حسير ؟ وهذان المؤلفان عدا المؤلفات الأخر ، كلاهما يحكيان عن ضمير مؤلفيهما ، وينطقان عن سريرتهما ومعتقداتهما ، وحاق باطنهما وخالص جنانهما ، فمن كان يدين الله بدين الإسلام ، وفيه عرق الإيمان ، وخوف من الله تعالى ، حجز نفسه عن الكلام فيهما أو في أتباعهما بما لا يليق ، ويكف يراعه وينزه تأريخه فيهما ، أو في أتباعهما ، ما لايناسب ولا ينسب إليهما والى أتباعهما غير الحق والصواب ، ولا يسجل إلا الذي يرى في تأليفاتهما بعينه الباصرة ، ولا يلتفت إلى مايسمعه من الأجانب بإذنه السامعة ، ولايتبع الهوى فيما يحرر ، ولا يصغ إلى مايتفوه الجاهلون ، أو يستمع ما يتداوله المغرضون ، من النسب والافتراء الخارجة عن حدود الإسلام ، فليعلم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولو وجد أحد شيئاً من المتشابهات في تأليفاتهما ، فعليه أن يرده إلى محكمات كلامهما ، ولا يتجاسر بالكلام الباطل والرمي بالغلو والكفر العاطل ، هذا طريق الإيمان ، ودستور الإسلام ، مع إنا لم نجد في تأليفاتهما ولا في تصانيف تلامذتهما كلها ما يخالف عقائد الإسلام ، أو ينافي طريق الحق والإيمان ، في الأصول والفروع ، مع تصفحنا كتبهم وتأليفاتهم شديداً ، بالأخص تصانيف الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه ، تفحصناها ورقة

ورقة ، صفحة صفحة ، ما وجدنا شيئاً من الباطل ، وخلاف الحق أبداً ، دونك إياها تتبعها وقلبها ظهراً لبطن ، مع جعل الإنصاف أمامك ، والخشية من الله تعالى ، وعذابه بين عينيك .

هذا مضافاً إلى أنه ما رأينا أحداً من علماء عصره ، وأساطين زمانه ، ممن عاشروه وباشروه ، أن يخدش في تصانيفه ، أو أن يطعن أو يتجاسر إلى مقامه ، بل كلهم عظموه ومجدوه ، وأجازوه واعترفوا بجلالته وعلمه وتقاه ، انظر إلى ترجمة ولد صلبه ، الشيخ عبدالله ، ثالث أولاده ، والى ترجمة تلميذه الأرشد السيد كاظم الرشتي أعلى الله مقامه في كتابه (دليل المتحيرين) ، قد فصل كاملاً ترجمة أستاذه ، وأتى بما فوق المراد ، وكذا صاحب روضات الجنات ، العلامة البحاثة الميرزا محمد باقر بن الحاج ميرزا زين العابدين الموسوي، أتى في ترجمته بما لامزيد عليه ، وأخيراً العلامة الحجة المرحوم ، الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه الآيات البينات ص/١٨ .

قال في ترجمته مانصه ((كان العارف الشهير ، الشيخ أحمد الإحسائي ، في أوائل القرن الثالث عشر ، وحضر على السيد بحر العلوم ، وكاشف الغطاء ، وله منهما إجازة تدل على علو مقامه عندهم ، وعند سائر علماء ذلك العصر . والحق أنه رجل من أكابر علماء الامامية وعرفائهم ، وكان على غاية الورع والزهد ، والاجتهاد في العبادة ، كما سمعناه ممن نثق به ممن عاصره ورآه ، نعم له كلمات في مؤلفاته مجملة متشابهة ، لايجوز من أجلها التهجم والجرأة على تفكيره)) . (انتهى ترجمته قدس الله روحه) .

ونظيره في الإطراء على مدحه كلام العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه (أعلام الشيعة) ج٢ /ص٨٨ وفي الذريعة ج٤ ص٨٩ / وكفى في علو شأنه ، وسمو فضله ، إجازات أساطين علماء عصره ، إجازة السيد بحر العلوم ، وإجازة كاشف الغطاء ، وإجازة

السيد الميرزا مهدي الشهرستاني ، وإجازة العلامة الشيخ حسين آل عصفور ، قال في إجازته ((وهو في الحقيقة حقيق بأن يجيز ولايجاز)) ، وإجازة السيد صاحب الرياض ، حتى ذكر في إجازته ((فسألني بل أمرني)) ، وإجازة غيرهم من علماء الإسلام والحكماء الفخام ، واتفاق علماء عصره ، من علماء مشهد الرضاء عليه السلام ، وعلماء طهران ، وعلماء أصفهان ، وعلماء يزد وكرمانشاه ، وعلماء العراق ، و علماء الكاظمية عامة ، وعلماء كربلاء ، وعلماء النجف الأشراف ، كلهم اتفقوا على جلالته وعظم شأنه ، وقدموه في موارد التقديم ، من الدرس والتدريس ، وصلاة الجماعة ، وصلاة الميت .

ففي كل مقام من موارد العبادة إذا حضر معهم قدموه ، ومن أراد التفصيل كاملاً فليراجع دليل المتحيرين ، لتلميذه الأرشد الأمجد ، السيد كاظم الرشتي ، الذي كان في خدمة أستاذه في الأسفار ، وملازماً له أينما توجه وسار .

وإذا كان مثل العلامة صاحب الرياض ، يخاطبه بالعالم الرباني ، ويلهج بذكره ، ويذكر في إجازته ((فسألني بل أمرني)) فإذاً لايعبأ بمن جاء بعده ، من أولاده ، كالفاضل السيد مهدي رحمه الله ، فانه يحمل على الاشتباه ، وتدليس بعض المدلسين عليه ، لأنه رحمه الله كان كفيف البصر ، وأتوا إليه بعبارات مقطوعة الأول والآخر ، فشبهوا عليه الأمر ، وصدر منه ماصدر .

وكذا إذا كان مثل السيد الميرزا مهدي الشهرستاني قدس سره ، أجازه بتلك الإجازة المطنطنة ، والمدح والإطراء ، فلا يعبأ ولايعتنى بمن أتى بعده من أولاده ، كالفاضل العلامة الميرزا محمد حسين الشهرستاني ، في رسالته ترياق الفاروق الفارسية ، فانه يحمل على عدم الأنس ، وعدم المعرفة بمطالبه ، وعدم الإحاطة خبراً باصطلاحاته أعلى الله مقامه .

وقد بين خطأه وعدم معرفته ، والدي الماجد أعلى الله مقامه في كتاب (إحقاق الحق) العربي ، وتنزيه الحق الفارسي بما لا مزيد عليه ، راجع الكتابين كي لايخفى عليك الحق الواضح ، والواقع اللائح.

وقد جاء بعده من بعض ذراريه ، من ينتحل الفضل والثقافة ، وهو في جانب عنهما بمراحل ، بشهادة مقالته التي كلها قاصرة عن الحق ، وبعيدة عن الصدق ، افتراءاً بلا مدرك ، وتغيير بعض العبارات بلا امتراء ، ودعايات باطلة ليس لها أصل ولا مدرك ، لاحاجة إلى ذكرها ، وتضييع العمر والوقت بالتعرض لها ، وقد رد عليه من أولادنا الفاضلان الحاج ميرزا صالح في رسالته (نقد وإيقاظ) ، والحاج ميرزا عبدالرسول في رسالته (الحجة البالغة) ، وكفى رداً عليه وعلى من قبله ، إجازة جدهم الأكبر المذكور ، وهو أبصر وأعلم وأتقى منهم ، قد جالس واجتمع مع شخص الأوحد أعلى الله مقامه ، وعرف مقامه وجلالته ، وعلمه وتقاه ، ومنزلته والثقافة ، من شرطها الإنصاف والتورع ، في نسبة فعل أو قول أو اعتقاد إلى أحد ، والتثبت فيما يحكى عن الغير بالتحقيق واليقين لا بالظن والتخمين .

والذي يحرر التاريخ فمن الحق اللازم عليه ، أن يحكم تاريخه ويجيده بالتحقيق ، ويتفحص تأليف ذلك المترجم ، إن كان له تأليف ، أو يتفحص عنه من تلاميذه ، أو يسأل من أصدقائه والملازمين له ، أو من علماء عصره المطلعين على أحواله ، أو من أهل بلاده وأهل خزانته وجيرته ، حتى يكون تاريخه وترجمته قيماً صحيحاً موثوقاً به يعتمد عليه ، لا أنه يترجم حاله من المقابلين له والأضداد ، أو الأجانب عن اصطلاحاته وتأليفاته ، أو يأخذ ترجمته من ألسن الناس وأهواء البعداء عنه ، أو يترجم حاله من أهل الغرض والمرض ، فان كل ذلك يكون بعيداً عن الصواب ، ولا يقع على ماهو عليه المترجم ، فمن أراد أن يذكر

أحوال وسيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، لابد وأن يفحص أحواله من أهل المدينة (يثرب) ، أو من خبراء أهل الكوفة المنصفين ، حتى يقع على الحقيقة وواقع الأمر ، لا أنه يسأل أحواله من أهل الشام ، الذين هم أشاعوا عليه (عليه السلام) كل غي وباطل .

ولا يسأل حال يهودي إلا من اليهود المطلعين عليه ، لا من المسيحي أو المسيحيين ، وكذا لايترجم حال المسيحي إلا من المسيحيين ، المطلعين على أخلاقه وسيرته ، لا من اليهود

وهكذا حتى لايكون نقله وترجمته إلا عن مدرك صحيح ، ومورد وثيق ، يكون عليه الاعتماد ، ولا يلام عند أولي الحجى والإنصاف ، وإلا فيخطيء كثيراً ، ويكون غالباً في طرف عن الحق والصواب.

فيا لله والإسلام أيجمل من صاحب المنجد المسيحي ، الذي مبلغه من العلم فقط اللغة ، وبعض الادبيات ، أن يتداخل في علماء الإسلام ، ويتعرض لمثل الأوحد الا حسائي ، حيث ذكر في مادة احمد بقوله الاحسائي (احمد) ، مؤسس فرقة الشيخية ، وكان من أتباع الفيلسوف الملا صدرا ومن الشيعة الحلولية ... الخ .

وذكر الأمور الثلاثة : أنه مؤسس الفرقة الشيخية ، وأنه من أتباع الملا صدرا ، وأنه من الشيعة الحلولية ، وقد أخطأ الصواب في هذه الثلاثة كلها .

أما الأول : فانه - أعلى الله مقامه - مااخترع طريقة حتى يكون مؤسساً لمن اتخذها، نعم كان من أكبر العلماء الحقة ، فتبعه ثلة من أهل عصره ، وثلة من الآخرين ، لخالص توحيده ، ونزاهة حكمته ، فانتسبوا إليه من هذه الجهة فقط.

وأما الثاني : فانه من المقطوع المتيقن والمشهور ، والمعروف الذي لايعتريه أي ريب وشك ، أنه أعلى الله مقامه رد على الملا صدرا ، وشنع عليه في شرحه ، على العرشية وعلى المشاعر ، ومنكر عليه أشد الإنكار فيهما ، وأن حكمته على خلاف حكمة الملا صدرا ، كيف يقول صاحب المنجد ، أنه من أتباع الملا صدرا ؟

وأما الثالث : وهو أنه من الشيعة الحلولية ، فإن معنى الحلول أن الله تعالى حل في أحد من البشر ، فيكون هو الله ، مع العلم بأنا مارضينا بما اعتقدوه في المسيح ، أنه ثالث ثلاثة ، أو أنه ابن الله ، وهو نبي من أولي العزم ، فكيف يرضى الشيخ الأوحد ، أن يكون واحد من البشر حل فيه ذات الله ؟

ما أدري هذا الكلام من صاحب المنجد ، أخذه من أي فم طاهر ، أو اقتبسه من أي يراع عفيف ، أو سجله من أي مصدر سخيف .

أهكذا سنة التاريخ ، أو شرع الترجمات ، يسجل ما ليس له أصل وأساس ، أو يحرر ما يقتبس من أهواء الناس .

أقول ليس من العجب أن يصدر مثل هذا الكلام ، من الأجنبي البعيد من جميع الجهات عن الحق والمنهج ، ولا عجب أيضاً ما صدر من ملا رضا الهمداني في هدية النملة ، مانسب إلى الأوحد ، لأن حاله معلوم ، وأنه ذو غرض بدت البغضاء من يراعه ، وما يخفي جوفه أكبر وأعظم ، وعلم حاله لدى عامة الفضلاء الأعلام ، حيث قابلوا مانسب إلى الشيخ الأوحد مع رسائله ، فما وجدوا كلمة حق ، مما نسب وثبت عندهم ، أنه كلما ذكر ونسب في حقه كذب وافتراء .

لكن العجب كل العجب ممن عد نفسه مؤرخاً بحاثاً ، كيف يسجل في تاريخه ما لا يليق ، ويحرر من غير أصل ولا مدرك ولا تحقيق ، كالفاضل العلامة ، السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة ، في ترجمة احمد بن زين الدين ، ذكر أموراً كلها مخدوشة باطلة ، تعرضنا لها في ترجمة حال المولى الشيخ علي نقي ابن الأوحد ، وزيفناها كلها ، واحداً واحداً ، كلمة كلمة ، فليراجع حتى يعرف حال بعض المترجمين .

وحذا حذوه ، بل أخذ من أتى بعده أو عاصره ،كالفاضل الشيخ عبدالله نعمة ، في كتابه فلاسفة الشيعة ، أتى بعين عبارة أعيان الشيعة ، وبينا في ترجمة الشيخ علي نقي (قدس الله سره) خطأه واشتباهه ، في ترجمة أحوال الأوحد ، واشتباهه أيضاً فيما ذكر في حق تلميذه السيد الأمجد ، السيد كاظم الرشتي فلا نعيده .

فيا سبحان الله كل حامل يراع ومؤرخ في هذا العصر إلا قليل ، لايخلو من جرأة وجسارة على الشيخ الأوحد وتابعية ، بلا سبب ولا مسوغ ، وبعض المؤرخين في هذه الأعصر الأخيرة ، نسوا أصول التاريخ ، وأهملوا يراعهم يسجلون في تاريخهم كل مسموع، ويقيدون في طومارهم ماليس بثابت ، ولا من أصل منقول ، ولا يراجعون المدارك الصحيحة ، والموارد المحققة الأصيلة ، ويعتمدون في تاريخهم على كل ناقد ، من غير تمييز بين العالم بالأحوال ، والجاهل .

هذا الفاضل الأستاذ السيد عبدالرزاق الحسني ، في تاريخ سنة وفاة الأوحد أعلى الله مقامه ، ذكر أنه سنة ١٢٤٣ هج تبعاً للسيد الأمين ، وقد عرفت خلافه ، وأن وفاته سنة ١٢٤١هج ، ولم يكتف بذلك ، حتى قال في كتابه (البابيون والبهائيون في حاضرهم

وماضيهم) إن فكرة الشيخية ، وليدة الفكرة الباطنية ، وليست الفكرة الباطنية وليدة تعاليم الإسلام ... الخ

أقول : إن الباطنية قد ظهرت في القرن الثاني الهجري ، والشيخية ظهروا في القرن الثالث عشر ، وبين الطائفتين فاصلة مدة عشر قرون من الهجرة ، ومن أين صارت الطائفة الأخيرة ، وليدة الطائفة الاولى ؟ أوتدري أيها الفاضل ما معنى الباطنية ؟ هم الذين يعملون بالباطن ، ويتركون الظاهر ، مثلا يقولون إن الصلاة حقيقة ولاية آل محمد عليهم السلام ، ويهملون هذه الصلاة الظاهرية ، ذات ركوع وسجود وهكذا ، يقولون في الحج هو قصد البيت المعنوي الباطني ، ويتركون الطواف على البيت الظاهري .

وهكذا سائر العبادات ، وحق أن يقال إنهم ليسوا وليدة الإسلام ، وقد قال إمامنا الصادق عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسلام (يا هيثم التميمي إن قوما آمنوا بالظاهر ، وكفروا بالباطن ، فلم يك ينفعهم شئ ، وجاء قوم من بعدهم ، فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر ، فلم ينفعهم ذلك شئ ، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن ، ولا باطن إلا بظاهر) [١].

أو ما تعلم أيها الفاضل الحسني ، أن الشيخية هم أحسن عملا بالأعمال الظاهرية من غيرهم ، وأقوى يقيناً بالأمور الباطنية على من سواهم ، وهؤلاء هم الذين يملأون المساجد والجماعات أحسن من غيرهم ، ويقصدون العتبات العاليات والحج وسائر النوافل والعبادات خيرا ممن سواهم ، ويخرجون الأخماس والزكوات والصدقات أرغب وأشوق ممن عداهم ، وأعمالهم لاتنكر ، وعقائدهم في حق مواليهم وساداتهم لاتخفى ولاتستر ، وقد

---

١. مختصر بصائر الدرجات للشخ حين بن سليمان الحلي ٧٨ ، البحار للشيخ المجلسي ٦٩ / ٩٧

اشتهروا في ذلك أجلى من الشمس في رابعة النهار ، حتى رموا بالغلو والتفويض ، وحاشاهم ثم حاشاهم من ذلك ، بل هم النمط الأوسط بين من غلا وأفرط ، ومن قلى وفرط .

فيا أيها الفاضل الحسني ، من أين أتيت بهذا التفسير ، إن فكرة الشيخية وليدة الفكرة الباطنية ؟ هل نزل إليك في ذلك وحي ، أو سول لك قرين مقيض ؟ ما هذا التهافت في التحرير ، والجسارة في التفسير والتعبير ، أما تعلمون أنكم مسئولون عن كل قول وفعل وتحرير ، حتى من كل صغير وحقير ؟

وأعجب كل العجب من هؤلاء كلهم ، الفاضل البحاثة الآغا بزرك الطهراني، وهو الذي مر مدحه باطرائه في حق الأوحد أعلى الله مقامه ، المنقول من كتاب أعلام الشيعة ج ٢ ص ٥٨ ومن الذريعة ج ٤ ص ٨٩ بمدح فائق ، وتمجيد لائق ، حيث قال في ج ٥ من الذريعة ص ٧٩١ مانصه جواب سؤال احمد السمناني عن التأويل والظاهر للسيد كاظم الرشتي ، خليفة الشيخ احمد الاحسائي ، في رئاسة فرقة الشيخية الغلاة ، القائلين بالنيابة الخاصة.

وقال أيضا في ص ١٧٢ جواب الشيخ احمد القطيفي عن النية في العبادات عن للشيخ احمد الاحسائي ، مؤسس الانقلابات الدينية الأخيرة ، إلى أن قال له تأليفات كثيرة ، غير جوامع الكلم المشتمل على اثنين وتسعين رسالة ، في مجلدين وأكثرها جوابات عن اعتراضات ، كانت ترد على آرائه العرفانية ، وتأويلاته للأخبار ... الخ .

أقول : مامعنى أن السيد كاظم خليفة الشيخ .. الخ ، إن كان من جهة أنه تلميذ الشيخ ، فله تلاميذ كثيرون مجازون من أستاذهم ، وكل منهم مرجع في بلده ، كالعلامة

الميرزا حسن كوهر في كربلاء ، بعد السيد الرشتي ، وحجة الإسلام الآخوند الملا محمد الممقاني في تبريز ، والعلامة الميرزا عبدالرحيم في قره باغ ، والعلامة الأخوند آغا علي في أورد باد ، وفي سمنان مثله ، وفي طهران كذلك وغير ، وغير ، فلم جعلت السيد كاظم خليفة للشيخ دون غيره ، هل رأيت من الشيخ الأوحد نصاً في ذلك ، ولم نره نحن ولا سائر الناس ؟ أو أن السيد بنفسه قد ادعى أنه خليفة ، ولم نسمع نحن ذلك .

ثم بعد ذلك ذكرت الشيخية الغلاة القائلين بالنيابة الخاصة الخ .

أقول أيها الفاضل الطهراني ، هب أن الشيخية معروفون ومتهمون بالغلو ، وهو ليس كذلك ، لكن من أين حكمت أنهم قائلون بالنيابة الخاصة ، ومن أين أتيت بهذه النسبة ، التي اختصصت أنت بذكرها من دون العالم ؟ من أي مدرك حكمت ؟ ومن أي أصل اقتبستها ؟ ومن أي فم طاهر تلقيتها ؟ أو من أي هوى من هوى المغرضين اكتسبتها ؟

ثم قولك في جواب القطيفي ، الشيخ أحمد الاحسائي مؤسس الانقلابات الدينية الاخيرة .. الخ

ليت شعري أي انقلاب ديني أسسه الشيخ الاحسائي ، فإن تأليفاته كلها موجودة عندك وعند غيرك ، تفحص أنت وغيرك ، هل ترى فيها تغييراً في حكم شرعي ؟ أو تبديلاً في شيء من السنة المحمدية ؟ أو مدعياً دعوى خارجة من دعوى العلم والدين ؟ حتى يكون مؤسساً للانقلاب الديني ، أو سالكاً غير طريق شرعي ، وإن كان حصل في زمانه أو بعد زمانه ، ذووا جهل باصطلاحه ، أو ذووا غرض ، أو حسد آخرين ، حتى كتبوا عليه ماكتبوا ، وهم الذين حصل منهم الانقلاب ، والتشويش في خواطر العوام ، فما ذنبه هو (أعلى الله مقامه) حتى ينسب إليه مايقولون .

ثـم قـولك له تأليفات كثيرة غير جوامع الكلم ، المشتمل على اثنين وتسـعين رسـالة في مجلدين ، وأكثرها جوابات عـن اعتراضـات كانـت تـورد عـلى آرائـه العرفانيـة ، وتأويلاتـه للأخبار الخ.

أقـول لـو تفحـص المـرء في المجلـدين المـذكورين وغيرهمـا ، رأى كلهـا رسـائل مسـتقلة ، لـيس فيهـا جـواب اعـتراض قـط ، أول رسـالة جوامـع الكلـم ، حيـاة الـنفس فـي الأصول الخمسـة ، ثم رسالة العصمة و الرجعـة ، في رجعـة الأئمـة عليهم السلام ، وعصـمتهـم ، ثـم الرسـالة التوبلية في الأسماء الحسنى ، ثم الرسالة القطيفيـة فـي جوابـات سـؤالات شـتى ، ثـم سؤالات الشاه ، والشاه زاده ، وتفسير آيـة النـور ، وتفسـير قـل هو الله أحد مرتين ، والرسالة العمليـة ، ومباحـث الألفـاظ ، ورسـالة فـي أقسـام الإجماع ، ورسـالة في شرح رسـالة ذي الراسين لكاشـف الغطاء ، وليس فيها جواب اعتراض كما زعم الفاضل الطهراني ، وكـذلك الجـزء الثـاني مـن جوامع الكلم ، أكثره مسائل فقهية ، والرسالة الصوفية ، الحيدريـة العمليـة ، وآخره قصائد الاثني عشر في رثاء الإمام الشهيد سلام اللـه عليـه ، والخـطب لـه (أعـلى الله مقامه) وشرح حديث كميل .

نعم ربما يوجد في مجموع المجلدين ، جواب سؤال أو سؤالين عن الاعتراض عليه، أو سؤال في حل بعض مطالبه ، فكيف تقول أيها الفاضل إن أكثرها جوابات عن اعتراضات كانت تورد ؟ الخ .

وأيضـا قال الفاضل الطهراني في ترجمة الشيخ المولى حسن القراجه داغي الشـهير بكوهـر ، فـي كتابـه طبقات أعلام الشيعة ج ٢ ص ٣٤ كان أي القراجـه داغـي ، مـن تلاميـذ الشيخ احمد بن زين الدين ، وتلميذ السيد كاظم الرشتي الحائري ، المتوفي سنة ١٢٥٩ ولكن

لايمكن القول بأنه من الشيخية ، لمجرد تلمذه على المذكورين فقد كان المترجم من المتشرعة ويعتقد موافقة أستاذه الاحسائي أستاذه للمتشرعة الخ.

أقول عفى الله عنك أيها الفاضل الطهراني ، وأحسنت ثم أجملت ، في أمثال هذه الترجمة .

أولاً إن المولى حسن القراجه داغي لم يكن من تلامذة السيد كاظم الرشتي يقيناً ، لكن كان يعظمه ويبجله ويقدمه على نفسه ، إذا اجتمعا ويخاطبه سيدي أستاذي ، احتراماً وتأدباً وإنصافاً منه ، لكن لما رجع من النجف الأشرف إلى كربلاء ، بعد ماصار مجازاً من علماء عصره ، ومسلماً عندهم في التقى والعلمية ، اجتمع مع السيد كاظم أعلى الله مقامه صدفة ، وجرى إليه منه مطالب مبتكرة .

قال : من أين لك هذه المطالب ياسيدنا ؟ قال : من أستاذنا الشيخ احمد بن زين الدين ، قال خذني إليه ، فصار السيد واسطة في وصوله إلى خدمة الشيخ وتلمذه عنده ، ولم يكن تلميذاً للسيد قدس الله سره ، وصلنا هذا التفصيل من والدي أعلى الله مقامه ، بواسطة جدنا المتلمذ على يد القراجه داغي المتقرب عنده ، والمقدم على سائر تلاميذه ، باجازته لجدنا، والنص عليه ، بأنه أعلم وأتقى تلاميذه ، أمره بجواب المسائل البحرانية عنه ، هذا أولا.

وثانيا قولك لايمكن القول بأنه من الشيخية بمجرد تلمذه الخ ، اشتباه صرف ، بل هو من لب الشيخية وابن أبجدتها ، كيف لايمكن ذلك ، وقد قال في رثاء أستاذه أعلى الله مقامه ؟

ياسماء في لحود الأرض والترب توسد

ماسمعنا قبل ذا أن السماء في الأرض تلحد

أو يواري الترب جسماً كان روحاً قد تجسد

أنـــت ذاك الجـــوهر الفـــرد الـــذي لازال مفـــرد

إلى أن قال في تأريخه

فسـألت الفكـر عـن تاريخـه يومـاً فأنشـد فزت بالفردوس فوزاً يابن زين الدين احمد

١٢٤١ -هجريه-

أفلمثل صاحب هذا المقال يقال في حقه ، أنه لايمكن القول بأنه من الشيخية ، ثم قولك إن المترجم كان من المتشرعة الخ ، هذا كلام أعظم ، بل أفضح وأشنع بـل أفحش مـن جميع ماذكر وسطر ، كيف يجعل الشيخية قسيماً للمتشـرعة ؟ أليسـت الشـيخية مـن أحسـن من يعملون بالشرع الشريف ، وأحرص المتـدينين بـه ؟ أي حلال حرموا ، أو أي حرام حللوا ، أو أي شرع بدلوا ، أو أي سـنة غيروهـا ؟ حـتى يجـعلوا قسـيماً للمتشـرعة ، إذا لالـوم عـلى المـلا رضا الهمداني حيث جعل الشيخية قسيماً للامامية .

والحـال أن الشـيخية هـم الامـاميون حقـاً ، والمتشرعون صحيحاً صدقاً ، فليسـتعد للجـواب أهـل هـذه التعبيرات يوم الحساب ، بـين يـدي رب الأربـاب ، وبيـن رسـول اللـه ﷺ يوم الحشر الاكبر ، ليت شعري مـاجوابهم ومـا عـذرهم عنـد الله وعنـد رسوله وأوليائـه عليهم السلام ويحسـبون أنهـم يحسنون صنعاً وأنه عند الله عظيم ، وجرمه جسيم ، وهي عثرة لاتقـال ، ولا للعذر عنها محيص ومجال.

إلى ديـان يـوم الـدين نمضـي وعنـد الله تجتمـع الخصـوم

هـلا عـبروا بمثـل مـاعبروا سـابقاً ، فـي أول الاخـتلاف والافـتراق ، عصر العلامـة السيد كـاظم الرشـتي ، كمـا سـجل فـي دليـل المتحـيرين ، الشـيخية والبالاسـرية ، أو يعـبر

بعبارة ترضي الله ورسوله وأولياءه عليهم السلام الشيخية ، وغير الشيخية ، ليت شعري هل يحصلون من سوء التعبير والتنابز غير الإثم ، وتفريق الكلمة والعداوة والبغضاء ، والخسران في الدارين ، عصمنا الله من زلل الأقدام ، وسوء المنقلب والختام .

ثم ماتنقمون من الشيخية غير أنهم يرون الأوحد الشيخ احمد أعلى الله مقامه من أحد العلماء الحقة ، ولايرضون بالطعن والقدح فيه بلا مسوغ ، وإلا فإن الشيخية لايقلدون الشيخ ، ولا السيد ، لا في الأصول ، ولا في الفروع ، فإن أصول الدين لاتقليد فيها ، وفي الفروع يقلدون العلماء الأحياء المتقين ، والمجتهدين العاملين ، ماترى فرقاً بينهم وبين سائر الجعفرية ، في مذهبهم ودينهم وعباداتهم وتقليدهم .

فيا أيها القاريء الكريم ؛ إنك بعد ماعرفت حال هؤلاء القادحين في الشيخ والشيخية ، وتأملت بالدقة والإنصاف فيما ذكرنا في حقهم ، وهم فضلاء البحث ، فقس عليهم حال غيرهم من أهل القدم كصاحب البارقة الحيدرية وأمثاله ، ممن سبقه وعاصره ، ولحقه من فضلاء عصرنا ، أو من قارب عصرهم ، وإن كان معروفاً ومشهوراً في العلم والفضيلة ، وهم على أصناف : مابين من هو غير مأنوس بمصطلحات القوم ، ولم يعض على العلم بضرس قاطع وهم الأكثر ، يرون في المعاد عبارة أن الجسد العنصري لايعود ، ولايعرفون المقصود منه ، مع أنهم شرحوا وبينوا مقصودهم منها ، ويرون في المعراج نظير ذلك ، ويجهلون مرادهم منه .

وما بين أنهم يأخذون من غير مدرك ، ويعتمدون على نقل أمثالهم ، ممن يجهل مقصودهم ومرامهم .

وما بين أنهم من أهل الغرض ، يتمسكون بالمتشابهات ولا يردونها إلى المحكمات ، وما بين أنهم ينقلون ما يسمعون من الأفواه والألسن ، من غير مراجعة إلى الأصول والمدارك ، فمن اللازم على كل مؤمن معتقد بالمعاد والحساب ، أن يراجع بنفسه تأليفات القوم ، ولايتخذ المنقول والمسموع مسلماً ثابتاً ، وإن كان الناقل من أكبر الفضلاء عند الناس ، فإنك غير معذور في أخذك الكلام من أهل القدح ، من دون مراجعة إلى تأليف المقدوح فيه ، فإنه كما قيل (رب مشهور لا أصل له) سيما مع اتفاق علماء عصر الشيخ الأوحد الاحسائي ، ممن أجازوه وغيرهم ، على علمه وفضله وتقاه وجلالته ، وعدم الطعن منهم فيه ، وفي مؤلفاته ، وهم لمعاصرتهم أعرف وأعلم بأحواله ممن أتى بعدهم ، وربما يساء الظن بمن أتى بعدهم ، من القادحين من وجوه كثيرة .

ثم إن كثيراً من المعاصرين من فضلاء زماننا ، يحاولون الجمع بين شتات فرق الإسلام ، والاتحاد بينهم ، والتأليف لكل قائل بالشهادتين ، وهم بين مجبر ، ومجسم ، وبين قائل بأن الله يرى إما يقظة أو نوماً ، أو في المعاد وغير ذلك .

لكن يدحضون حجتهم ، وينقضون عهدهم وقصدهم ، بتفريق كلمة الامامية الجعفرية ، الذين تجمعهم كلمة الشهادة الثالثة ، مضافاً إلى الشهادتين ، مع أن أصولهم واحدة ، ومصادر دينهم ومذهبهم واحدة ، من الكتب الأربعة ، للمحمدين الثلاثة : الكافي، والتهذيب ، والاستبصار ، ومن لايحضره الفقيه ، والكتب الجامعة الأخرى ، من البحار ، والوافي ، والعوالم ، ووسائل الشيعة ، ومعابدهم ومزاراتهم وعباداتهم ودعواتهم كذلك ، لاترى فرقاً وميزاً في تلك المذكورات ، وغيرها بوجه من الوجوه ، لا في الكلي ولا في الجزئي ، ومع ذلك ترونهم يفرقون كلمة هؤلاء الأقارب من جميع الجهات ، ويحاولون

جمعهاً بين الأباعد والأجانب ، في غالب المقامات ، ليت شعري من أين ساغ لهم هذا وحل لهم ذلك .

فهذه المعاملة منهم ، كاشفة عن كون دعوى الاتحاد ، لأجل بعض الأغراض ، والتقرب إلى بعض الذوات ، والشهرة بين الشتات ، لا لقصد جمع الكلمة حقيقة ، يقولون بأفواههم ، ويسجلون بأقلامهم ، ماليس في قلوبهم ، فنقول يا أمة الإسلام ؛ ويا فرقة الجعفرية الامامية ؛ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، فلنجعل كلام الله حكماً ، وليعامل بعضنا مع بعض بتعاليم الإسلام ، ودستور القرآن ، ويعمل بحدود الدين ، ولا يفرق بين المؤمنين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ ١ وقال عز من قائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ٢ وقال سبحانه ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ ٣ وقال عز وجل ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ٤ وقال سبحانه ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ ٥ إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المضمون . وقال جل وعلا ﴿ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ ٦ .

---

١. سورة النساء آية (٩٤)
٢. سورة الأحزاب آية (٥٨)
٣. سورة الحجرات آية (١٢)
٤. سورة الحجرات آية (١٠)
٥. سورة آل عمران آية (١٠٣)
٦. سورة الحجرات آية (١٢)

فأوجب الاجتناب من الكثير من الظن لأجل البعض ، إذ ليس لهم علم بما افتروا أو قدحوا ، لأنهم مارأوا بأعينهم في المقدوحين ، ولا رأوا شيئاً محكماً في مؤلفاتهم ، بل أكثرهم أوحى بعضهم إلى بعض ، ونقل بعضهم من بعض ، من غير تحقيق ولا دراية فالقرآن الحكيم ينهانا أن نعمل بالظن ، ويأمرنا للأخذ بالعلم واليقين.

فالواجب أن لايسمع أحد منا باطلاً في أحد ، إلا اذا سمعه منه شخصاً ، ورآه بنفسه منه عيناً ، أو من صريح كلامه في مؤلفه ، وإن رأى شيئاً من المجمل والمتشابه.

فمن اللازم أن يرده إلى نصه ومحكمه ، ولا يغتب بعضنا بعضاً ، ولاتنابزوا بالألقاب ، ولا بتهجم على أحد ، أو على صاحبه بلا مدرك ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، وسود ديوانه ، وخفف ميزانه ، وخالف قرآنه ، وارتطم في خسرانه .

والحق والإنصاف ، أنه قد ضعف الاعتماد ، وقل الوثوق بالنسبة إلى تواريخ وتراجم هذا العصر ، بعد الذي رأينا من أمثال هؤلاء الفضلاء ، ومدعي البحث والتحقيق ، والأسف كل الأسف على ضيعة التاريخ والترجمة ، بل و عليهما السلام في عصرنا ، هذا وما قاربه .

والسلام على من اتبع الهدى ، وخشي عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى ، ونهى النفس عن الهوى ، والى الله المشتكى.

ميرزا علي الحائري الإحقاقي

فهرس